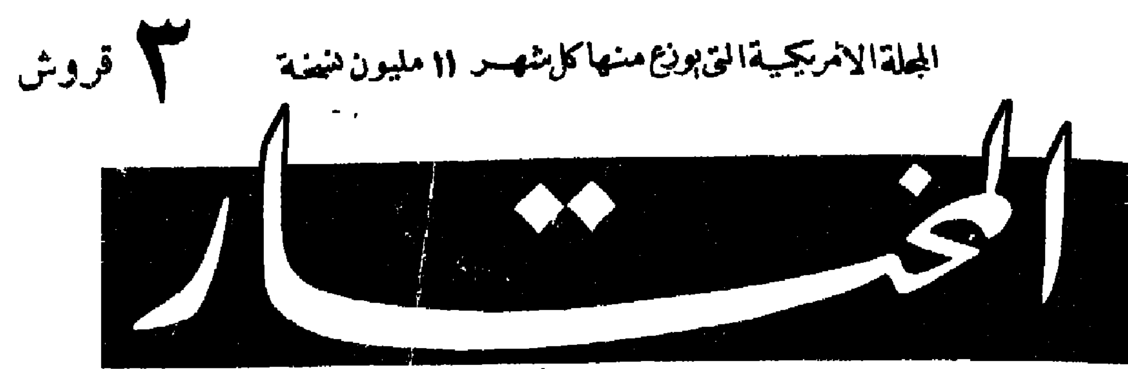


من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

ديسمبر ١٩٤٣

احد عشر مليون نسخة من كل عدد

طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية

إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

فأحد عشر مليون نسخة من هـذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغـة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العـدد الرابع من الطبعة العربيـة . وقد وُزّع منهُ ثمانون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسـوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملـكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول

الأبعة المصرية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة ، تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملا — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٢٥ قرشاً

- الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون



كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الأولى المجلد ١ العدد ٤

الملكات يمتن كريمات

وليم ل . هوايت

« الملكات يمتن كريمات » — قصة عهد إلى المحرر الطواف وليم ل . هوايت أن يكتبها ، وهي تسرد قصة القلاع الطائرة ، أولئك الملكات المستوليات على عرش الجو اللاتي قاتلن حتى الموت في سماوات الفلبين وجاوة وأستراليا . و « الملكات يمتن كريمات » قصة لن ينساها القارئ ، تحفر حوادثها بأحرف من نار في الذاكرة ، وتقوى القلب وتنعشه ، إذ كانت سجلا مشجعاً للبسالة والإخلاص للواجب ، وتلك آية الوعد الصادق بالنصر » .

وقفت القلعة الطائرة القديمة الشهباء على مدرّج في مطار أمريكي متهيئة للرحيل إلى قارة أخرى ، ومنطقة حرب أخرى . وهذه الخدوش التي على بدنها أحدثتها فيها حبات الرمال في جزيرة « ويك » ، حين كانت في طريقها إلى الشرق الأقصى قبل الحرب . وهذه النقرة الصغيرة في جناحها ، جاءتها من شظية قنبلة في اليوم الذي شبت فيه الحرب، حين دمر اليابانيون كل طائرات سلاحنا الجوي في الشرق الأقصى في مطار كلارك بالفلبين ما عدا قليلا منها ، وكانت هذه إحدى الناجيات القلائل . وقد أكلت

الشمس بعد ذلك ، فى سماء جاوة وصحراء أستراليا،لونها الذى دهنت به للحرب ، والآن وقد نزعت مدافعها فقد صارت كجواد حرب قديم نقل إلى المرعى .

ويجلس فى ظل جناحها رجال عنـدهم قصـة يروونها : الطيار فرانك كورتز ، بطل الغطس فى الألعاب الأولمبية سابقاً ، وكان قبل عام ملازماً فى فرقة القذف التاسعة عشرة ، وهو يحمل أوسمة رفيعة ، وقد صار بكباشياً ومازال فى الحادية والثلاثين من عمره ، ومعه مارجو زوجته الجميلة ، واليوزباشى هرى شريبر ، ملاح الطائرة ، وغـيرهم من رجالها .

ويقطع فرانك الأرض جيئة وذهاباً ، لأنه لا يجد الكلام سهلا ، ثم يقول : « لا أكاد أدرى أين تبدأ القصة ؟ ولعل البداية كانت مع الطائرة رقم ٩٩ التى كانت أولى طائراتى ، ومع « تكس » أول زميل لى فى القيادة ، وبقية رجال الطائرة — الذين رأيتهم راقدين فى مطار « كلارك فيلد » — ثمانية فى صف . وهذا ماوجدت بعد أن عادت قاذفات القنابل اليابانية ، حين وثبت إلى دراجتى واندفعت بهـا على المدرج فى خلال الدخان المتصاعد من القلاع الطائرة الأخرى المحترقة ، لأرى ماذا أصاب الطائرة رقم ٩٩ . وكان فى الطريق مرتقى ، وإنى لأدفع الدراجة مصعداً فيـه وإذا بقلبى يخفق خفقة قوية ، فقـد أخذت عينى مثبتها العمودى ، القوس الكبيرة من ذنبهـا ، ذاهباً فى الهـواء كأنه زعنفة ذيل سمـكة ، وكان يلمع فوق الطـريق فخثت الدراجة وإذا بى ، يا إلهى ...

«ولست أدرى هل ترجلت عن الدراجة أو سقطت من فوقها ، وكل ما أذكره أنى ذهبت أمشى على مهل إليها ، وأنا مشفق من الدنو منها جداً ، والإسراع إليها جداً ، فما كان بقى منها سليما سوى هذا الذيل الفضى الذى لا يزال ذاهباً فى الهواء .

«وقد تلوثت ضلوعها المسكينة واسودت ، وذاب عنها ما كان يكسوها من الألومنيوم كالجلد ، فتعرّى هيكلها حتى لتستطيع أن ترى من خلالها مكان القيادة ، حيث كنت أقعد أنا وتكس . وهوت محركاتها الأربعة إلى الأرض ، وكان كل ما تألفت منه الطائرة رقم ٩٩ باقياً هناك ، إلا أنه ذائب وملتو ، وأن ظهرها هابط ومكسور — كما تأخذ سمكة طيارة فى يديك وتكسر ظهرها ، وتلقى بها على الأرض لتموت .

« كان كل شىء هناك ، وشىء آخر أيضاً ولـكنى لم أستطع أن أتبينه ، على أنى لا بد أن أكون قد خمنت ما هو ، فقد بدأت أشعر كأن شيئاً يعصر قلبى ويقطع أحشائى حين أبصرت تلك الـكتلة الغريبة المحترقة

تحت الجناح المهيض ، فلما ازددت منه قرباً لم أستطع حتى أن اغالط نفسى فيه ، فقد كان أحد رجالى ، وكان راقداً هناك ، متردياً ، وإلى جانبه آخر ، ولكنى لم أستطع أن أرى الثمانية كلهم إلا بعد أن درت بالذنب .

« كانوا جميعاً رقوداً فى سكون فى ذلك اليوم الجميل الساجى — رجالى الثمانية الذين كانوا يعملون معى فى الطائرة رقم ٩٩ يرقدون فى صف غير منتظم ، يتجه إلى الغابة التى أرادوا أن يلجأوا إليها، فقتلوا من فوقهم وتركوا منكبين .

« وأذكر أنى وقفت هناك إلى جانب الذيل، وأنى عددتهم — واحد ، إثنان ، وهكذا إلى الثامن ، رجالى الذين كنت أعرف كل واحد منهم معرفته ، وكنت أرى ولكنى لا أستطيع أن أدرك ، وإن كنت أعرفهم جيداً — أيهم ينتظر أن تكون فى جيبه صورة امرأته أو فتاته . وأذكر كيف رحت أخطو من واحد إلى واحد ، وأحادث كلا منهم كما كنت أفعل ، وأربت على أكتافهم ، لأنهم فيما أحس لم يكونوا موتى ، وكيف بكيت ؟ ولست أخجل أن أقولها .

« كلمت كلا منهم — من الجاويش بيرجس الطبيب الذى كان أدناهم إلى حطام الطائرة ، إلى تكس صديقى العزيز وزميلى فى القيادة فى آخر الصف وقد مزق الانفجار ثيابه كلها . وقد عرفته من كتفيه فقد كانتا عريضتين ككتفى المصارع . وكان تكس فى آخر هذا الصف من الرقود فقلت له أناجيه، إنى لا أدرى ، كما لا يدرى هو ، لماذا أصابه هذا ، ولكن عليه ، بغض النظر عما حل بساحته ، أن يدرك أن هذه ليست النهاية ، وأننا لم نغلب على أمرنا ، وإنما هى البداية لا أكثر ، وأننا جميعاً سنعمل من الآن فصاعداً — نعمل معاً وننتصر . وقلت له : أيّا كانت الطائرة التى سيعطوننى قيادها فيما بعد، فإن (رقم ٩٩) ستظل دائماً مع السرب ، وسأظل أرى نور جناحيها كلما بعثوا به فى مهمة ليلية ، وأعلم أنها تحمينى بنيرانها ، وأنها تسقط طائرات « زيرو » التى تحاول أن تصعد إلى ما فوق ذنب طائرتى . نعم ! لعل هذا هو الموضع التى تبدأ منه القصة . »

فقالت مارجو : « ولكنها يا حبيبى تبدأ قبل ذلك بشهور وشهور — على الأقل فيما تحس زوجات الرجال الذين يعملون فى سلاح الجو . وحتى قبل الحرب كانت تقع كل تلك الحوادث أثناء التدريب . وأنا أعلم أن لا حيلة فى ذلك ، فقد كانوا يبذلون قصارى ما يدخل فى الطوق لتدريب عدد كاف من الطيارين لقيادة الطائرات

ذوات المحركات الأربعة ، استعداداً للحرب التي كانوا يعلمون انها آتية .

« وإن شاباً قليــل التجربة يضل فى الضباب ويصطدم بجبل ويتحطم ، لبطل فى نظر زوجته ، كالطيار الذى يقتل وهو فى مهمة . ومذ قامت الحرب صار الموت يجئ ومعــه رنين المداليات ، وشرائط الأوسمة الجميــلة المــكتسبة فى المعارك ، ولــكنا نحن اللواتى عرفن السلاح الجوى قبــل الحرب قد تدربنا على مواجهــة الموت حين لم يكن معباً هذه التعبئة الجميلة .

« وإن إحدانا لتعلم ، حين يطير زوجها فى مهمة ، أن هؤلاء الفتية هم أشجع وأقوى الشــبان وأخفهم أجساماً وأحدُّهم فؤاداً . وأن العمل الخطر الذى يقومون به الآن لهو الذى يؤمن العــالم فى المستقبل . وإن إحدانا حين ترى زوجهــا يتضاءل فى الجو لتعلم أنها لا ترضى بغــيره فى الدنيا بديلا ، ويخجلها أن تمر بها فترات ضعف ، ويزهيها أن تقول لنفسها إنها تدع لغيرها من الفتيات أولئك الرجال الثقال البطاء الذين يغادرون مساكنهم فى الثامنة كل يوم ، ويعودون إليها دائماً فى الخامسة . نعم هــذا ما شعرت به حين صدر الأمر إلى فرانك بأن يطير بقلعته إلى الفليبين ، وكان علىّ أن أتخلف » .

فقال فرانك : « هذا كان فى أكتوبر ، وبعد أن نزلنا فى بيرل هاربر . وفى ويك ، بدأنا نعيش فى أكواخ فى كلارك فيــلد خارج مانيلا .

« وكانت فرقة القذف التاســعة عشرة مؤلفة من خمس وثلاثين قلعة طائرة جديدة لماعة الأديم جميلة المنظر ، وكانت الطائرة رقم ٩٩ إحداها ، وكانت جميعاً من طراز « د » ، وهو أحدث وأبدع ما أخرجتــه المصــانع إلى ذلك الوقت . وكان حوالى اثنتى عشرة من الخمس والثلاثين فى « ديل مونتى فيلد » فى جزيرة منداناو الجنوبية ، والبقيــة فى القاعدة الرئيسية للقــاذفات فى كلارك فيلد ، على مسافة ٤٥ ميلا فى مانيلا التى كان فيها ديوان الجنرال ماك آرثر القائد العام . وكان قائدنا الجوى الجنرال بريرتون لا ينفك يزورنا فى كلارك .

« وفى أحد الأيام خرجت بالطــائرة رقم ٩٩ فى تجربة دورية فى طبقات الجو العليا ، فوجهتها إلى الشمال ونحن نرتفع ببطء فوق « إيبا فيلد » ، حيث كانت قاعدة طائراتنــا القاتلة من طراز ب ٤٠ الأمريكى . وصوبت عينى وأنا لا أزال أرتفع فرأيت الشاطىء ، وكنت أرى زبد الموج إذ يتكسر عليه كأنه خيط من القشدة على المــاء الأزرق ، ولكنى

هذا ما نستطيع أن نتعلمه من صغارنا

جورج كنت

كثر التحدث والكتابة فيما ينبغي أن ننشئ عليه أطفالنا . فلنصدُق أنفسنا السؤال : ما الذى يأخذونه عنا غير تلك الحزمة العتيقة المهلهلة من الشعوذات الاجتماعية ، كآداب السلوك ، والمحافظة على الوعود ، والنظافة ، وما إلى ذلك من معان وأغراض؟ وإذا كانت الحياة هى أن ننعم بأقصى ما يمكن من خيرها ، فالأطفال — وخاصة الصغار منهم — يعلموننا أكثر مما نعلمهم .

وإذا ما خلصنا من الوهم السائد : من أن الكبار قوم أرقى من الأطفال عقلا ، فراقبنا الأطفال فى هدوء ، ووجهنا إليهم من تقديرنا مثل ما نوجهه إلى غيرهم من العاملين ، أمكننا أن نأخذ عنهم الكثير ، لأنهم يعرفون بفطرتهم كيف يعيشون ، وقد ولدوا مسلحين لمقاومة الهموم ، مهيئين للسعادة فى الحياة .

ولننظر أولا فى هذه الحقيقة : فهم صغار الأجسام ، يعيشون فى عالم من الجبابرة ، ويعتمدون كل الاعتماد على هؤلاء العمالقة الشواذ فى أمور غذائهم ومنامهم ، يتلقون أوامرهم فى الواقع طول ساعات يقظتهم ، ويتلقون العقاب لأية هفوة ، ويأخذون أنفسهم بأعمال رتيبة يؤمرون بها ، وهم لا يرون فيها إلا سخافة وهذراً . ولكنهم مع ذلك يتشبثون بحريتهم الشخصية ، فإن الذى يتمتعون به فى العالم المحيط بهم كثير موفور ، فهم يستطيعون أن يتقبلوا ، دون كثير من المعارضة ، ما يطلب إليهم عمله . إن الحياة فى نظرهم عجيبة مخيفة رائعة معا .

ولعلنا جميعاً قد أحسسنا مرة بهذا الشعور ، إلا أن أكثرنا قد فقده . وإنا لنلتمس لذلك كثيراً من المعاذير ، فنحن نشكو قلة المال ، وقلة الفراغ ، ونقص الحرية ، على حين أن الأطفال أقل فراغاً منا ، ولا مال لهم ، وهم فى الواقع كالأسرى ، ومع ذلك فإن كل دقيقة من ساعاتهم مليئة بالاستمتاع بالحياة .

أراقت يوماً ابنتى الصغيرة دهاناً على المائدة ، فأمرتها أن تحضر خرقة لتنظيفها ، وكان ذلك عقاباً لها ، ومع ذلك فقد برقت

عيناها وهى تمسح البقعة وقالت : هذه خرقة عجيبة الصنع ! أليس كذلك يا أبتاه ؟ وأنا وأنت لا نراها إلا خرقة مبللة لا أكثر ، ولكنها عند الطفل شيء له جماله ومعناه .

ولعل أكبر خطأ نقع فيه ، نحن الكبار ، هو أننا نجنح إلى التفكير فى النتائج فقط ، بدلا من الاستمتاع بالوسيلة التى نتخذها حتى نبلغ هذه النتائج . أما الأطفال فإن حب الوسيلة فى ذاتها ينسيهم النتيجة ، لأن حب الوسيلة هو — وإن بدا ذلك متناقضاً — أمثل طريقة لإنجاز الأعمال ، إذ أنه يطرد الشك القاتل الذى يخامر المرء فى مقدرته . فالعلماء والفنانون والمربون ، بل كل من أصاب نجاحاً فى الحياة ، يعرفون هذا السر ، سر التمتع بالعمل لذاته . ولعل « فورد » كان يحلم بالثروة فى ورشته الصغيرة ، ولكنه لم يكن جل وقته إلا رجلا منهمكا فى تركيب الصواميل والسامير وتروس نقل الحركة ، ويجد فيما يعمل لذة بالغة .

راقب طفلا فى قبضته قلم ملوّن ، تره يبدأ يخط بقوة خطاً من أعلى إلى أسفل ، محركا يده بلا تردد . وقد تبلغ بنا الغفلة أن نتساءل : ماذا يريد أن يفعل ؟ فيجيب الطفل : « ماذا يهم ؟ ليكن ما يكون » ، إنها مسلاة له وحسب ، فإنما يحب أن يرى اللون وهو يتكاثر أمامه على الورق .

إن الحياة تقتضينا — لأننا كبار — أن نفكر ، وأن نعمل لغرض بعينه . فإذا لم نستمتع بالوسيلة ، ونحن نكدح لبلوغه ، فقد أضعنا شيئاً ثميناً لا يقدر بثمن ، شيئاً يمكن أن نعود فنتعلمه من الأطفال .

وقد تسأل كيف يطبق هذا على توافه الحياة اليومية ؟ إنك تستطيع أن تعزم على التمتع بما تعمله وأنت تعمل ، سواء اطهيا كان ذلك أم إدارة آلة من الآلات . إننا جميعاً ندير ساعاتنا لنملأها ، ولا نلقى إلى ذلك بالا ، أما الصغير فيستخفه الطرب إذا سمع طقطقة الترس وهو يدور ، كما يستطيب صرير الطباشير على السبورة ، وملمس الصابون الزلق فى طست الحمام ، وآلافاً من توافه الأشياء التى لا نلقى إليها بالا — وكل ذلك يدخل السرور على نفسه حين يحدث . إن لكل عمل تفاصيله التى تتغير من يوم إلى يوم ، وما علينا إلا أن نلاحظها وأن نستطيبها كما يستطيبها الطفل الصغير ، وبذلك نجد فيما نعمله ألواناً جديدة لم نعهدها من قبل .

سألنى يوماً طفل عمره أربع سنوات : « ألا تسأم الأكمام أحياناً مابها من أذرع ؟ » هذا شيء مضحك ولكن له دلالته . تنبه إلى ما تفعله أو تحس به ، إلى الطريقة التى تزرر بها سترتك ، إلى ما تحس به قدماك داخل حذائك ، وأصغ إلى نبض الإفطار

وهو يقلى ، فستجد صوته إذا أغمضت عينيك كصوت وقع المطر على زجاج النافذة.

إنك تمر كل يوم من باب إلى محل عملك فلا تلقى إليه بالا ، ولا يفوت الطفل أن يلقى باله إلى أكرة الباب مهما تتكرر مرات دخوله منه ، وإلى نعومة ملمسها وشكلها ولونها ، وإلى صريرها عند فتحها.

كانت إحدى الشخصيات الروائية لجوزيف كونراد ، الكاتب المعروف ، لا تفتأ تقف عن العمل ، ويهتف صاحبها إلى نفسه : « يالها من مغامرة شائقة ! يالها من مغامرة شائقة ! » ، وتلك هى وجهة النظر التى يجب أن نأخذ بها ، فكل شىء يمكن أن يكون مغامرة شائقة ، إذا كلفنا أنفسنا مؤونة أن نعده كذلك .

إن من أجمل صفات الأطفال وأروعها أنهم يأبون أن يحملوا ضغناً . خذ مثلا ذلك الحادث العادى حين يعاقب الطفل ، ولاحظ ما يجده فى نفسه كل من الطفل والرجل : تجد أنت شيئاً من الندم على ما فعلت ، وتهرع فى الصباح إلى غرفته لتسترضيه . فيدهش الطفل ويعجب بعض العجب ، ولا يتورع عن أن ينتهز الفرصة ليستحثك على إجابة طلب له منع عنه طويلا . فماذا يهم ما حدث فى الليلة الماضية ؟ هذا يوم جديد ، وله من الأعمال كل جديد .

قال أحد الفلاسفة : إذا أراد رجل وامرأة أن يعيشا فى سعادة ووئام ، فعليهما أن يفضا ما يقوم بينهما من مشاكل فى مدى أربع وعشرين ساعة . والأطفال وهم أساتذة العلاقات الاجتماعية ، يعرفون ذلك بفطرتهم من المهد . تسأل مارى أمها ، وهى فى التاسعة : « هل لى أن أدعو كارلوتا إلى العشاء معنا هذه الليلة ؟ » ، فتقول لها أمها : « ولكنك قلت البارحة إنك تبغضين كارلوتا ! » ، فتجيبها مارى منكرة عليها قصور فهمها : « كان ذلك أمس ! » .

والأطفال إذا لم تكن طبيعتهم قد فسدت بإيحاء من الكبار ، لا يميزون أبداً بين الأجناس أو الطبقات أو المقامات . فهم لا يتحرجون من أن يصطحبوا معهم إلى المنزل أولاداً رثة ثيابهم ، أو قذرة وجوههم ، أو أفاقين لا عمل لهم . إنهم ديموقراطيون صادقون ، والرجل فى عرفهم هو الرجل . إنهم ليشيرون فى هيبة واحترام إلى شخص نحيل مهلهل حاز إعجابهم بأسلوبه فى قص القصص ، أو موهبته فى الفهم الثاقب . وكم سخروا بضيوف الشرف الذين نكرمهم ! ! إنهم قد يخضعون لسلطاننا عليهم ، ولكنهم لن يخضعوا لتقديرنا فى تفضيل رجل على رجل.

وقلما يلحق الأطفال الضجر ، لأنهم يستطيعون أن يغيروا وجه الكآبة والجمود

والملل بخيالهم السحرى . فإذا أضعت ذلك ، فقدت أسمى موهبة، ولا ينبغى أن يحول شىء بينك وبين تعلمها من الأطفال . إنهم يستطيعون دائماً بقوة هـذه الموهبة أن يضفوا على عود من الخشب ، أو حصاة ملونة ، أو ربوة فى الأرض ، سحراً وروعة وجمالا .

إن الخيال هو ينبوع تصرف الطفل فيما يعمل . فقد يأبى الطفل حش عشب حديقة المنزل ، ولا يعبأ برأى جاره فيها . فإذا حشها ، فإنما يحشها لما يجده من سرور حين يرى العشب يتناثر كالرشاش الأخضر، ويحس بوقعه على قدميه العاريتين . بل إنه ليجمع ما جف من أوراق الأشجار لا لشىء إلا ليوقد ناراً يصطلى بها ، أو ليتخذ منها مضجعاً يستكن فيه . علينا أن نتعلم من الأطفال كيف نرى المألوف من الأشـياء ناضراً جديداً . فلطالما طربنا إلى وصف الأطفال لما يرون . يقولون : «هذا البحر المتجعد» ، و « هذا المطر يسرح العشب الأخضر كما يسرح الشـعر » . وهى نظرات شعرية طريفة ، أقرب إلى أن تكون وليدة البصيرة ، من أن تكون وليدة الألفاظ . هى وليدة أسلوب فى النظر إلى الحياة ، أضعنا حين رضيناه الخضوع المعتاد ، وحين أخـذنا نردد الجمـــل القديمة المأثورة .

فإذا جال بخاطرك أننـا نعـد الأطفال ملائكة ، فقد أخطأت خطأ كبيراً فإنهم جميعاً ممثلون من الطراز الأول ، لهم مثل يقظة القط البرى ، يستغلون ما يبدو من ضعف الكبار . وهم من هذه الناحية يعلمو ننا الكثير ، فهم مبرزون فى معرفة الطبيعة البشرية ، وفى حذقهم تطبيق هذه المعرفة .

إننا إذا استطعنا أن ننفض عن أنفسنا عادات التفكير المكتسبة ، والأسلوب الخانق الذى نتخذه فى النظر إلى الحياة ، مما أخذناه عن الكتب أو المعلمين أو الآباء ، ثم سمونا إلى ناحية من مستوى الأطفال ، فستتجلى أمامنا دنيا جديدة تفتن الألباب. ولكى نتعلم من الأطفال ، يجب علينا أن نرخى عن أنفسنا قيود العادة ، وأن نرفض أن نكون عبيداً يسيرون معصوبى الأعين على جادّة الإلف والعادة . قد يكون الرجل منـا ، أصلع أ كرش ، مقيداً بعمل من الأعمال ، ولكنه مع ذلك يستطيع أن يجعل كل دقيقة من حياته حافلة بالمعانى .

وليس علينا إلا أن ندرك براعة الطفولة فى استخدام جميع الحواس ، وفى إبائهم أن يسمحوا لهموم الأمس أو نُـذُر الغـد ، أن تتلبد غيومها على جمال اليوم وروعته .

« إن القدرة على حصر الذهن مما أعطيت ،
فهل تعرف كيف تستخدمها ؟ »

احصر ذهنك فى الموضوع

وليم مولتون مارستن

ملخصة عن مجلة « الروتيريان »

أتيح لى منذ وقت قريب أن أرى جراحاً يجرى جراحة صعبة فى المخ ، وكانت زلة طفيفة من يده خليقة أن يكون مؤداها الفالج أو الموت للمريض . ولم تكن براعته هى التى وقعت من نفسى ، بل سكينته المدهشة ، وكنت أعرف أنه كان مضطرباً قبل ذلك بلحظات ، ولكنه ما كاد يقف أمام طاولة العمليات حتى راح يعمل بإحكام آلىّ اذهلنى .

ولا شك أن مثل هذه القدرة على تركيز الخواطر أمر يجرى مجرى العادة عند كل رجل بارز فى كل باب من أبواب الحياة ، ففى أية لحظة معينة يركز الزعيم أو الرجل الفائق فى أمر ما ، خواطره كلها فى العمل المفرد الذى يكون عليه أن ينهض به . وأكثرنا تنقصه هذه القدرة على التركيز ، ويحيره ويفسد عليه أمره الاضطراب والشواغل والأهواء المتعارضة .

وليس بالنادر أن تقرأ عن أناس أوتوا التوفيق فى ميدانهم ، وفى وسعهم كذلك أن يرسموا قليلا، وينظموا أبياتاً من الشعر، ويجيدوا لعبة التنس ، والبريدج أيضاً ، ويرتجلوا خطبة فى مأدبة عشاء — ففيهم خصوبة يحسدون عليها . ونحن نغبطهم على ذلك لأننا نحسبه استعداداً خاصاً . وقد يكون الأمر كذلك إلى حد ما ، غير أن الحقيقة هى أن هؤلاء الناس اكتسبوا القدرة على التركيز بسهولة ، وهم يولون كل عمل من الأعمال المتعاقبة فى يومهم عنايتهم كلها ومقدرتهم أجمعها فى قوة ويسر ، ولا يكتفون بأن يمنحوه التفاتاً موزعاً .

وقد صار التركيز اليوم ألزم مما كان من قبل وأوجب لتمام الاستمتاع بمسرات الحياة ومباهجها ، ولأداء العمل على وجهه ، فإن هذا عصر يشتت العقل . ولا يزال التليفون، والأصدقاء، والضوضاء، والمخاوف ، وخفتنا نحن أيضاً، من دواعى التعطيل لاطراد العمل إذ تزداد كل يوم سوءاً الأحوال التى نزاوله فى ظلها ، والتى ليس من شأنها أن تعين على

الاخصائى فى علم النفس ومؤلف كتابى «جرب العيش» و «آلة اكتشاف الكذب»

التركيز . ولـكن التركيز هو الذى يتوقف عليه نجاح المرء فى عالمنا القائم على التخصص . والتركيز حيوى لا للعمل فحسب ، بل لجعل حياتنا الخاصة أخصب وأمرع . وما أسهل أن تنقلب المتع العقلية الفاتنة خليطاً لا معنى له من اللهو ، إلا إذا رزقنا القـدرة على اختصاص عمل مفرد فى وقتــه بجهدنا ، والاستمتاع به إلى أقصى حد .

والعقــل الإنسانى يصبح أداة مدهشة الـكفاءة إذا ركز تركيزاً قوياً حاداً . وقد كان من عادة المؤرخ الانجليزى اللورد ماكولى أن يمشى فى شوارع لندن الغاصة ومعه كتاب يقرأ فيه ، وكان بعد أن يقرأ الصفحة يستطيع أن يتلوها عن ظهر قلب . وقد تبدو مثل هذه القدرة ، لأول وهلة ، فوق الطاقة العامة ، وعسى أن تعزوها إلى « العبقرية » التى لا يخالجك شك فى أنك لم توهبها ، ولـكن أواثق أنت أنك لم تعطها ؟ إن معظم الناس العاديين قد أوتوا الخصائص والملـكات الأساسية على السواء ، وإنما يقع التفاوت بينهم تبعاً للطريقة التى يستخدمونها بها . وقد قال وليم جيمز — وهو أبو علم النفس الحديث — : إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من النـاس العاديين ليس مرجعه إلى صـفة أو موهبة فطرية للعقل ، بل إلى الموضوعات والغايات التى يوجهون إليها همهم ، وإلى درجة التركيز التى يسعهم أن يبلغوها .

وقد أوتينا جميعاً هــذه القدرة على التركيز ولـكنا ندعها تغيض وتضيع . وتأمل مثلا مايسمى طيش الأطفال وقلة تبصرهم ، يقول « ألدوس هكسلى » : إن كل طفل عبقرى حتى يبلغ العاشرة ، وهل هناك مظهر استغراق أعظم مما يبدو على الطفل حين يعكف على كتاب ، أو يسترعى اهتمامه شىء جـديد ؟ وكثيراً ما نؤنب الطفل حينئذ لأنه لا يلقى باله إلى مانقول ، ولـكن الواقع أنه منصرف بقلبه وعقــله انصرافاً رائعاً إلى أمر يعنيه ، ومن واجبنا أن نتقى على قدر الإمكان أن نفسد هـذه القدرة المباركة على الاهتمام الجدىّ بشىء ما .

وليس التركيز حالة غير طبيعية تنافى أو تعارض ميلنا الطبيعى ، فليس الأسـتاذ الذاهل ، بعد كل مايقال ، إلا رجلا استطاع أن يحتفظ بعبقرية الطفل وقدرته على استغراق عمــله له . وقد رأيت المرحوم الأسـتاذ يوشع رويس ، فيلسوف جامعة هارفرد المشهور ، واقفاً فى المطر المنهمر فى ساحة الجامعة وليس معــه مظلة ، ولا عليه معطف ، وهو يبحث مســألة من مسائل الميتافيزيقية (ما وراء المادة) مع طالب خفيف الثياب يحاول عبثاً أن يفر ، ولم

يكن الأستاذ رويس يدرى أو يدرك أن السماء تمطر . ولقد كنا نضحك من مثـل هذا الشذوذ، ولكنا أدركنا أيضاً ما يقر به علماء الدنيا من أن رويس بلغ الذروة فى ميدانه العقلى ، وما بلغها إلا بفضـل هذا التركيز الحاد الذى كان يتركه ، إلى حين ، ذاهلاً عن الأحوال الخارجية المحيطة به التى تشغل معظم الناس .

وخذ أى شخص ناجح تعرفه أقدر على إجادة شىء ما ، من غيره ، وحاول أن تشغله عنه وهو يزاوله . لقد كان المرحوم جورج جراى برنارد ، الذى يعد من أعظم المثالين الأمريكيين ، يدهش أصدقاءه ويحيرهم بعجزه فعلا عن رؤيتهم حين كانوا يدخلون عليه فى حجرة عمـله وهو يعمل . فإذا لم تستطع أن تحمل نفسك على أن يستغرقك على هــذا النحو ما تريد أن تعمل ، فما أقل الأمل فى أن تبلغ من الإتقان مرتبة ملحوظة!

وبديهى أن السر فى هذه القدرة على التحليق فوق مشاغل الحياة ، راجع إلى فرط الاهتمام بالأمر ، فإن مثل هذا الاهتمام يخلق العناية ، كما تخرج الشجرة ثمرها ، فتلفى نفسك مقبلا بجميع نفسك على ما أنت فيه ، بغير جهد .

غير أن هــذا يصدق طرداً وعكساً ، فالتركيز يجىء تبعاً للاهتمام ، ولكن الاهتمام يجىء أيضاً تبعاً للتركيز . وقـــد سئل « جوته » كيف أنجز عمله العظيم ، فقال برصانة : « كل ما فى الأمر أنى نفخت فى يدى » . ويمكن أن تقول بعبارة أخرى إن إنماء ملكة التركيز يستوجب أولا أن تتعلم الإقبال على كل عمل تؤديه ، مهما يكن بغيضاً إليك ، فإنك إذا غمست نفسك فيه لا تلبث أن ترى أنه قد استولى عليك .

ومن الجوهرى أن تدرك هــذه الحقيقة ، فإذا كنت تعرف أنك ستصبح معنياً بالأمر متى شرعت فيه ، فلن تتردد فى الشروع ، ومع ذلك يرحب معظمنا كل يوم بما يعطله بل يسعى لذلك ، لأننا لا نفطن إلى أن المهمة الثقيلة التى سنقوم بهـا ، ستستغرقنا فعلا إذا أمكن أن نحمل أنفسنا على الانغماس فيها .

وهذا ولا شك هو تفسير ما يقوله وليم جيمز من أن المهم هو « أن تؤدى الحركات المقررة » أى أن تضع نفسك موضع العمل . وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما ، وقد يكون نصيب جسمك طفيفاً أو غير جلى ، كأن يقتصر على الجلسة أو على التوتر العضلى ، ولكن البدن يبذل جهداً على كل حال . وحتى بعـد أن نشرع جادين مصممين فى حصر أذهاننـا فى العمل ، تهاجمنا طائفة منوعة من الخواطر وأنصاف الخواطر والأصوات ، وغيرها من المؤثرات.

ولا يكفى أن تحاول إقصاء هـذه المؤثرات الخارجية ، فإن علينا دائماً أن نحل محلهـا الشىء الوحيد الذى يتطلب اهتمامنا . فليس فى وسعك أن تطرد خاطراً من ذهنك ، وإذا كنت فى شك من هذا فما عليك إلا أن تجرب أن تقضى الثوانى الثلاثين التـالية فى أن لاتفكر فى كلمتى «فرس البحر» . ومع ذلك يحاول كثيرون أن يحصروا أذهانهم فى امر ما ، بأن يقصوا الخواطر والفكر التى لا علاقة لهـا به ، بدلا من أن يحاولوا أن يوجهوا عقولهم إلى ما يعالجون .

وتقلقك وأنت تعالج أمراً ، عدة أمور أخرى كان ينبغى أن تباشرها — أمور تزعم أنها لا تحتمل الإرجاء . أم تراها تحتمل الإرجاء ؟ لاشك أنها تحتمله ، وعليها أن تحتمله . إن القلق يسايرنا كأنه شبح مرئى لنا وحدنا ، ويجعل عين العقل عليه بدلا من أن تكون على ما نحن فيه من عمل . ولـكن مهما تـكن الصورة التى يتخذها القلق ، فإن فى وسعك أن تقول لعقلك الباطن : « صحيـح ، إن هذا مهم ، ولـكنه لا بد من إرجائه حتى يتم هذا الأمر الآخر — وعندئذ أوليه عناية تامة » . وستدهشك السهولة التى يقتنع بهـا عقلك الباطن إذا أنت واثقتــه ، وحرصت على إنجاز وعدك له أن تعنى بالأمر الذى يدعوك إليه . وهــذا هو الذى ينبغى علينا جميعاً أن نتعلم — أن لا نتولى سوى أمر واحد فى وقت واحد ، وبغير ذلك لا نصل إلى شىء ، لا فى العمل ولا فى اللعب واللهو .

وقـــد عرف أرنولد بنيت الروائى الإنجليزى حصر الذهن بأنه « القدرة على أن تملى على العقل واجبه وأن تكفل طاعته » . وهذه القــدرة تـكتسب بالمرانة ، والمرانة تتطلب الصبر ، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيناً محكماً ، هو ثمرة الجهــد الملح ، فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى ، وخمسين مرة ، ومائة مرة ، إلى الموضوع الذى اعتزمت معالجته ، فإن الخواطر التى تتنازعك لاتلبث أن تخلى مكانها للموضوع الذى آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلفى نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار .

والذى يتطلب الدربة والمرانة هو ضبط القدرة على حصر الذهن ، وامتلاك زمامها ، لا القدرة فى ذاتها فإنها مما أوتيت . فادأب على رياضتها حتى تراها تخف إلى الاستجابة لدعوتك ، وستجد ، متى تعلمت أن تحصر كل قواك بدون بعثرة أو تشتيت فى الأمر الذى تتولاه ، أنك قد فزت بحسنيين — أن ما تستطيع أن تؤديه يزداد زيادة كبيرة ، وأن السرور المستفاد من أدائه مضاعف .

أسر الألمان الجنرال جيرو فى الحرب الماضية وفى هذه الحرب – وقد فر من الأسر فى الحالين

فرار جيرو العجيب من معتقل نازى



فردريك سابنتون

فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ تدفقت جموع المشاة الألمان من الغابات التى على مقربة من بلدة ليكاتليه فى فرنسا وأحاطت بوكر فرنسى من أوكار المدافع الرشاشة ، وبعد أن دقته بمدافع الهاون دقاً ساحقاً ، دعا الضابط الألمانى فلول القوة الفرنسية إلى التسليم . فكانت دهشته عظيمة حين رأى بينهم رجلا يبلغ من الطول ست أقدام ، أشيب الشارب ، وعلى سترته العسكرية نجوم الجنرال الخمس . وهكذا وقع هنرى أونوريه جيرو للمرة الثانية فى خمسة وعشرين عاماً ، أسير حرب فى أيدى الألمان .

كان ذلك إذلالا مر المذاق لرجل لم يكد يبلغ من حياته الذروة . ولقد كان جيرو ضابطاً ممتازاً منذ سنة ١٨٩٨ ، حين كتب لنفسه صفحة مجيدة فى مدرسة سان سير الحربية . ولكن سوء الحظ لاحقه فى ميدان القتال . ففى الحرب العالمية الأولى — وكان إذ ذاك برتبة (كابتن) — جرح وهو يقود هجوماً بالحراب قامت به فرقة من الزواف فى شارلروا ، وحسبوه قتيلا فتركوه مكانه فى ساحة المعركة ، ثم أسره الألمان ونقلوه إلى معتقل الأسرى فى البلجيك ، ولكنه استطاع الإفلات من الأسر قبل أن تبرأ جراحه ، وادعى أنه بلجيكى وتمكن بذلك من العمل فى (سرك) متنقل . فلما وصل مع الفرقة إلى بروكسل اتصل بالممرضة إديث كافل ، ووصل بمساعدتها إلى هولندة ومن ثم اتخذ طريقه إلى إنجلترا . وعلى الرغم من إصابته بعرج دائم بسبب جراحه فإنه عاد آخر الأمر إلى اللحاق بفرقته فى فرنسا .

وفى سنوات السلم خدم فى الجيش خدمة ممتازة فى أفريقية ، ثم محافظاً لمدينة ميتز ، وتولى كذلك التدريس فى المدرسة الحربية حيث كان بين طلبته شاب اسمه الكابتن شارل دى جول . ثم نشبت الحرب الثانية فعين قائداً عاماً لقوات الحلفاء عند لاون ، ولما اخترق الألمان غابة آردين ، هرول إلى ساحة القتال ليرى كيف يستطاع وقف التيار . وهناك بينما كان يقوم بعمل

الاستكشاف ، أسر فى وكر أمامى من أوكار المدافع الرشاشة .

لقد سبق لجيرو أن هرب من الأسر ، ولـكنه الآن فى الحادية والستين ، والفرار من الأسر يحتاج إلى الشباب ، ومع ذلك فإنه أبى أن يعد بألا يحاول الفرار ، فنقل إلى قلعة كينجشتين الموحشة ، القائمة على جرف يبلغ ارتفاعه مائة وخمسين قدماً ، ويتولى حراسة كل مدخل من مداخلها حرس مزدوج ، ويحيط بها رواق للديدبان يجتازه الحراس مرة كل عشر دقائق .

وراح جيرو من فوره يضع خطة الفرار ، فأتقن الألمانية حتى أصبح يتكلمها بلا شائبة من شوائب اللهجة الغريبة على أبنائها ، وحصل على خريطة للمنطقة التى تحيط به ، وحفظ منحنياتها واحداً واحداً عن ظهر قلب . وظل فى صبر وأناة يضفر من (الدوبارة) التى كانت ترسل إليه مع (الطرود) حبلا يتحمل وزنه الذى يبلغ مائتى رطل . فلما تبين أن الحبل لا يحتمل هذا الوزن ، بعث إليه أصدقاؤه من فرنسا مائة وخمسين قدماً من أسلاك النحاس ، أحكموا إخفاءها فى فخذ خنزير محفوظ . وكان مصرحاً له بطبيعة الحال بكتابة الخطابات ، فلم يفطن حراسه إلى أن أسيراً من المرضى الذين أعيدوا إلى وطنهم حمل إلى زوجة الجنرال رسالة رمزية (شفرة) . وبهذه الوسيلة ، وتحت ستار الخطابات البريئة المظهر ، بعث بتفاصيل خطته جزءاً جزءاً ، وقد استغرق تدبير ذلك بقية سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤١ .

ولم يكن لديه من الملابس سوى سترة البيت الزرقاء التى يرتديها القواد الفرنسيون ، ولـكن معطف المطر الذى لديه يمكن أن يلتبس أمره فيبدو كملابس المدنيين . وسرعان ما وصلت بين الطرود المرسلة إليه ، فخذ أخرى محفوظة بديعة . ولو نظر الألمان إلى ما بداخلها لوجدوا قبعة من قبعات التيرول البهيجة .

وفى صبيحة ١٧ أبريل سنة ١٩٤٢ كان هنرى جيرو واقفاً فى شرفة تطل على رواق الديدبان ، وقد لف حول وسطه ربطة تحتوى قدراً من الشوكولاته والبسكويت ، ومعها القبعة التيرولية ومعطف المطر . فلما أدبر الحارس ، ربط الجنرال الحبل الذى صنعه بيديه بالشرفة وبدأ يهبط مسافة المائة والخمسين قدماً . وكان يلبس فى يديه قفازاً ومع ذلك تسلخ جلد راحتيه . وكان قد وضع خاتم زواجه فى جيب ساعته ، فاحترق القماش باحتكاك الحبل ، وسقط الخاتم بين الصخور إلى غير رجعة . وهاجت جراحه القديمة فأحس منها بألم ممض ، ولـكنه تمكن

أخيراً من الوصول سالماً إلى الأرض .

ومضى يعرج إلى حيث استخفى ببعض الشجر ، فحلق شاربه ، ووضع قبعتـه التيرولية ومعطف المطر . وبعـد ذلك بساعتين وصل إلى جسر شانداو ، على مسافة خمسة أميال ، واستند إلى حاجزه ، وتناول طعامه من الربطة التى معه . وهناك فى الساعة الواحـدة ، تقدم إلى جيرو طبقاً للخطة المرسومة ، شاب نحيل يحمل حقيبة وقبعة فى يد واحدة ، وهى العلامة المتفق عليها ، وكان الشاب موفداً من قبل بعض الأصدقاء .

وذهب جيرو مع الشاب إلى محطة السكة الحديدية ، وصعد إلى أول قطار قدم إليها ، وذهب إلى دورة المياه ، حيث فتح الحقيبة فوجد ملابسه الباريسية نفسها ، كما وجد أوراقاً لتحقيق الشخصية تحمل اسم أحد أصحاب المصانع ، وعليها صورة فوتوغرافية تشبهه بلا شارب ، ووجد كذلك بعض النقود . وبعد دقائق معدودات خرج من دورة المياه رجل وقور وجيه من رجال الأعمال . . .

وعندئذ بدأ جيرو فى تنفيذ الشطر الثانى من خطته للهرب ، فقد دق ناقوس الإنذار ووقف رجال الحدود على أهبـة التربص والحذر ، وليس له من أمل فى تفادى الاعتقال إلا بتغيير القطارات التى يركبها بغير انقطاع حتى يهدأ الضجيج . وهكذا بدأ جيرو أسبوعاً كاملا من الرحلة المستمرة خلال ألمانيا بالسكك الحديدية .

وقد حدث ، على مقربة من شتوتجارت أن بدأ رجال الجستابو مهمتهم فى تفتيش القطار ، وراحوا يراجعون طول القامة على الأوراق الشخصية التى يحملها الركاب ، ولم يكن فى استطاعة جيرو أن يخفى طول قامته الذى يبلغ ست أقدام ، ولكن المصادفة تأبى إلا أن يجلس قبالة ملازم شاب من « الفيلق الأفريقى » ، فابتسم لهذا الشاب وقال : إنه هو أيضاً قضى وقتاً طويلا فى أفريقية ، فما كان من الألمانى إلا أن ألقى مجلته مبدياً سروره بالعثور على شخص يعرف الصحراء ، ومضيا يتحدثان فى حرارة واهتمام .

فلما وصل رجل الجستابو إلى مقعـد جيرو كان يصور بيديه كيف يستطيع رومل أن يهزم البريطانيين ، بينما كان الملازم الألمانى يرقب بعينين مشغوفتين ، ويدين مرهفتين ! . .

ولمس رجل الجستابو كتف جيرو وهو يقول : « أوراقكم أيها السادة ، إذا تفضلتم » ، وتلهف الملازم على إبداء بعض آرائه فالتفت إلى الرجل غاضباً وصاح فيه :

«اذهب ! كيف تجرؤ على قطع حديثنا ! »، واندفع فى سورة من الغضب انتهت بأن فعل الرجل ما توقع جيرو تماماً : إذ اعتذر وانصرف .

وفى مناسبة أخرى بينما كان الجنرال على وشك الصعود إلى أحـد القطارات رأى رجال الجستابو يفتشون جميع المسافرين ، فتلكأ فى الخارج حتى بدأ القطار يتحرك ، وعندئذ ، وبمجهود فائق وإرادة جبارة ، أخذ هو يعدو دون أن يعرج ! وأخذت نظارته تهتز ووجنتاه تنتفضان ، وبدت عليه كل مظاهر الرجل المضطرب من رجال الأعمال الألمان وهو يحاول اللحاق بالقطار ، ومضى يصيح بعبارات تدل على الخطر الذى يعلقه بلحاقه بهذا القطار ، فكانت جرأته وحدها كفيلة بنجاح المحاولة ، إذ أن أحد رجال الجستابو ساعد فعلا ذلك الشيخ الذى يلهث على ركوب القطار !

وأخيراً عبر الحدود إلى فرنسا المحتلة ، وكان يأمل اجتياز الخط الفاصل ودخول المنطقة غير المحتلة ، ولـكنه وجد الحرس الألمـانى يستوقف كل رجل يزيد طوله على خمس أقدام . فعاد بالقطار مجتازاً جنوب ألمانيا الشرقى إلى الحـدود السويسرية . وهذه أيضاً بدت محكمة الاغلاق ، بيد أن هناك دروباً جبلية لا يمكن أن تحكم مراقبتها جميعاً ، فقصد ذات ليلة إلى درب مهجور من هذه الدروب . وبينما هو يتسلق ويتلوى بين القمم الصخرية إذ وجد نفسه فجأة أمام ثلاثة من الجنـد ، فشهروا بنادقهم ذوات الحراب . . .

ثم تكلم أحد هؤلاء الجنود — بلهجة سويسرية . وعندئذ علم أنه وصل بسلام ، فقد أخذه الحراس إلى بال حيث كشف عن شخصيته . واحتدم الألمـان حنقاً وغيظاً ولـكن سويسرا رفضت أن تسلمه إليهم .

وأخيراً أسرع جيرو إلى فرنسا غير المحتلة ، ملتجئاً إلى حيلة قديمـة هى تغيير السيارة مراراً فى طرق سويسرا المنعزلة لكى لا يدركه أحد . ولما كانت السيارات تدخل فرنسا غير المحتلة من طرق متعددة ، كانت السيارة التى استوقفها الجستابو غير السيارة المقصودة .

وكان جيرو ، فى سنة ١٩١٤ ، حين هرب من الألمان أول مرة ، قد أرسل إلى زوجته بمجرد وصوله سالماً إلى هولندة برقية يقول فيها :

« الصفقة أبرمت ، الصحة جيـدة . حبيبك هنرى » .

واليوم أيضاً أرسل برقية نصها: «الصفقة أبرمت ، الصحة جيدة ، حبيبك هنرى ! »

ومع ذلك لم يكن الجنرال هنرى جيرو

حراً مطلق الحرية ، إذ أن فراره على تلك الصورة الرائعة ألهب خيال الشعب الفرنسى الذى طغى على قلبه الحزن ، فأصبح جيرو معبود الجماهير ، وثارت لذلك ثائرة الألمان . فلما أبى المارشال بيتان أن يستجيب إلى طلب الألمان إعادته إلى الأسر ، حاول النازيون اغتياله، واضطر إلى ان يختفى عن الأنظار ، وهكذا وجد جيرو أنه إنما هرب من سجن إلى سجن أكبر .

على أن التاريخ أبى إلا أن يبعث هنرى جيرو من ظلام عزلته . ففى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، فى بيت ريفى عربى بالجزائر كان اللفتانت جنرال مارك كلارك الأمريكى يفاوض سراً ضباطاً فرنسيين من الموالين للحلفاء ، بشأن احتمال غزو الحلفاء أفريقية الشمالية الفرنسية(*) .

وفى أثناء هذه المفاوضات أثار الضباط الفرنسيون مسألة اختيار قائد يمكن أن تلتف حوله مختلف العناصر الفرنسية ، فقال الجنرال ماست : «لا أستطيع أن أقترح سوى رجل واحد ــ الجنرال جيرو » .

فاعترض الجنرال كلارك قائلا :

ــ ولكنه فى حكم المعتقل فى فرنسا !

ــ يجب أن يخرج منها : بالغواصات !

وتلك كانت الخطة الجريئة التى وضعت موضع التنفيذ بعد ذلك بليال معدودات ، حين وصلت إحدى الغواصات إلى شاطىء فرنسا الجنوبى ، وكان قلم المخابرات البريطانى قد اتصل بجيرو ، فكان على تمام الاستعداد ، وقد وصل إلى شمال أفريقية فى الوقت المناسب ليتولى قيادة الجيوش الفرنسية التى قاتلت ببسالة إلى جانب الأمريكيين فى تونس . واليوم يعود الجنرال هنرى أونوريه جيرو وهو فى الرابعة والستين من العمر ، إلى مقاتلة عدوه القديم .

* بعثة سرية إلى شمال أفريقية : المختار سبتمبر ١٩٤٣ صفحة ٧٣ ــ ٨٣

تلقت فتاة أمريكية ظرفاً كتب عليه عنوانها بخط تعرفه وكان مرسلا من أحد مواقع الجيش النائية . على أنها لم تجد فى الظرف الخطاب الذى كانت تتوقعه وتتوق إليه ووجدت بدلا منه قصاصة ورق كتب عليها :

(إن فتاك لا يزال مقيما على حبه لك ولكنه كثير الكلام ! ــ المراقب)

يهوى ثلاثة أميال في الدقيقة !

مقتبسة عن رسالة « للأسوسييتد برس » وعن « النيويورك تايمز »

في يوم غامت سماؤه من شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ ، ألقى « آرثر ستارنس » بنفسه ، وهو أحد هابطي المظلات الجسورين ، من طائرة تقل كانت على ارتفاع ستة أميال ، فسقط ، كأنه حجر مقذوف ، خمسة أميال ونصف ميل ، ثم فتح المظلة ، فتهادى إلى الأرض . وسجل ستارنس بذلك رقماً عالمياً جديداً لأطول مسافة قطعها رجل وهو يهوى بغير مظلة ، دون أن يفقد الحياة . وعلاوة على ذلك فإن ملاحظاته الوجيزة ، الواضحة المعنى ، قدمت للأدب أول بيان عما يشعر به من يهوى أميالا في الفضاء .

امتطى ستارنس ، بعد الظهر بقليل ، طائرة من نوع « لوكهيد لودستار » وهي إحدى الطائرات التجارية القليلة القادرة حينئذ على الارتفاع أكثر من ٢٥٫٠٠٠ قدم . ودوّمت الطائرة الفضية اللون في السماء مدة ساعة وخمسين دقيقة ، وهي دائبة في الارتفاع ، فلما بلغت ٣٠٫٠٠٠ قدم اعتدلت ، وخطا ستارنس نحو الباب .

ولما كان الغرض من هذه القفزة جمع معلومات لسلاح الجيش الأمريكي الجوي ، فقد حمّل ستارنس بخمسة وثمانين رطلا من المعدات ، فحمل مظلة على ظهره وأخرى

على ارتفاع ستة أميال ، وبرودة الجو تبلغ ٤٦° تحت الصفر — يخطو رجل من طائرته إلى الفضاء الرحيب .

على صدره . وكان رداؤه يستر الجسم كله مدفئاً تدفئة كهربائية ببطاريات في الجيب الخلفي . وكان يحمل سماعتين في خوذته المصنوعة من جلد الغزال . وكانت زجاجة الأكسجين في جيب على ساقه اليمنى . وثبت حول وسطه جهاز إرسال لاسلكي ضئيل الحجم ليذيع صوت دقات القلب . وكان على صدره جهاز آخر ، خلف لوح واق من الألمنيوم ، لتسجيل حركة القلب ، وجهاز لتسجيل حركة التنفس ، وجهاز ثالث لتسجيل تغيرات الضغط الجوي . وربطت حول فخذه اليمنى آلة تصوير سينمائية تسجل تسجيلا آلياً ، وكانت عدستها إلى أسفل .

وكان المتفرجون على الأرض لا يكادون يميزون الطائرة وهي على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، ومرت هذه الطائرة فوق المطار بسرعة . ولم يلبث المنصتون إلى محطة لاسلكية أرضية متنقلة ، أن سمعوا غمغمة : « الطريق خال » ، صادرة عن جهاز ستارنس الصغير للارسال — وكانت هذه

هى الإشارة المتفق عليها، حين يشرع فى قفزته فى الجو الذى بلغت برودته ٤٦° تحت الصفر.

فلما هبط ستارنس فى مرعى للماشية بعد أربع دقائق وربع دقيقة ، قال للجمع المحتشد وهو يلهث : « مرت بى لحظتان فقط استشعرت فيهما الخوف .

« الأولى : حين وقفت على عتبة باب الطائرة المفتوح ، وأنا أحاول أن أملأ خوذتى بالأكسجين الكافى ، متسائلا: هل يسمح إطار الباب للمعدات التى أحملها بالنفاذ منه ؟ أما الثانية : وكانت أدعى إلى الهلع ، فحين غشى الجليد نظارتى ، وأنا فى عارض من السحاب المنبسط على ارتفاع ٢٣٫٠٠٠ قدم ، وجعل جسمى ينفتل بعنف ويتقلب ، مرة بعد أخرى .

« فجعلت أباعد بين ساقى، ثم أعود فأضمهما حتى تتقاطعا ، مرة بعد مرة ، وقد كان هذا مما ينقذنى عادة من حركة الانفتال فى أثناء السقوط ، ولكنه لم يأتنى هذه المرة بنتيجة. وكنت صافى الفكر ، فبدأت أعد بينى وبين نفسى ، إذ كنت أعلم أنى أهوى بسرعة ٢٥٠ قدماً فى الثانية . فلما مرت بى حوالى نصف دقيقة ، شعرت بأنه يجب على أن أرفع نظارتى لأنظر إلى عداد الارتفاع ».

وكانت هذه الآلة مثبتة حول معصمه ، فرفعها إلى وجنته ، ورفع إحدى عدستى النظارة عن خوذته ليرى إبرة العداد الطويلة الدقيقة ، وكانت تشير عندئذ إلى ١٥٫٠٠٠ قدم . وبعد أن عد إلى أربعة أو خمسة ، نظر إليها مرة أخرى ، وهو يدفع نظارته إلى أعلى حتى يراها بكلتا عينيه. فلما بلغ ارتفاع ٥٫٠٠٠ قدم تبخر الصقيع فأضحى زجاج نظارته صافيا .

وقال : « وعلمت حينئذ أنى خلصت من أشق مرحلة » .

وأخيراً اعتدل بجسمه ، بأن بسط ذراعه اليمنى إلى الجنب ، كأنه ذراع إشارة السكة الحديدية ، ثم فتح مظلته الخلفية على ارتفاع ١٫٥٠٠ قدم ، فاهتز اهتزازا عنيفاً وأظلمت عيناه . وعندئذ بدا أول ما بدا تمييز المتفرجين على الأرض، فرأوا مظلته الأمامية تنفتح بعد ثلاث ثوان ، ثم مس الأرض ؛ وما إن لحق به المساعدون حتى كان قائماً على قدميه ، خالعاً خوذته ، مفتر الثغر .

وقد سجلت ساعة حاسبة ، ثبتت بخيوط المظلة الواقية ، زمن سقوط الهاوى ، قبل فتح المظلة ، فكان دقيقة و٥٦ ثانية ، فيحتمل أن تكون أقصى سرعة ستارنس قد بلغت ١٨٠ ميلا فى الساعة . وقرر إحصائى فقال : لو لم يفتح ستارنس مظلته على ارتفاع ١٥٠٠ قدم ، لارتطم بالأرض فى خلال ست ثوان أخرى .

سحر البنيسيلين الأصفر

ج . د . راتكليف

هـذه أخبار تستوقف النظر وتثير الاعجاب عن بحث طريف فى عقار جديد ، لعل الأيام تثبت أنه من أعظم المكتشفات فى الطب . ومما يؤسف له أن البنيسيلين ليس متاحاً الآن للجمهور ، وما يحضر منه قليل لا يكاد يسد حاجة القوات المسلحة ، وقد لايتاح للمدنيين قبل زمن طويل .

من القصص الرائعة فى تاريخ الطب ، قصة نشوء هذا العقار الجديد ، بنيسيلين . فقدكان منذ سنة نادرةً من نوادر المعمل ، ولا يعرفه إلا قليل من رجال البحث . وقد أصبح العلماء اليوم مقتنعين بأنهم وجدوا فى البنيسيلين أمضى سلاح ضـد كثير من الأمراض ، ومنها تسمم الدم وذات الرئة والسـيلان . وهو فى قوة تأثيره كعقاقير السلفانيلاميد المتنوعة فى مقاتلة الميكروبات السبحية (ستربتوكوكوس) . إلا أنه هو نسيج وحده فى محاربة الميكروب القيحى المسمى (ستافيلوكوكوس) . وهذه الجراثيم البكتيرية التى تغزو الجروح وتترعرع فيها ، من أفتك الأشياء بالحياة البشرية ، فى زمن السلم وفى زمن الحرب على السواء .

وقد ابتدأت قصة البنيسيلين سنة ١٩٢٩ حين كان الدكتور اسكندر فلمنغ يفحص فى معمله فى جامعة لنـدن ، صحفة من الزجاج عليها زرع بكتيرى ، وقـد جعلت ملايين الميكروبات ذلك الزرع لبنياً عكراً . فلمحت عينه النافذة شـيئاً ما ، غير مألوف ، إذ رأى بقعة من العفن الأخضر فى الصحفة ، ومن حولها هالة من سائل صاف .

إن ههنا شيئاً يدمر البكتيريا ! إن عفنا هبط من الهواء فأهلكها بغتة فى نطاق لم يسبق له مثيل . وكذلك ابتدأت قصة البنيسيلين بحظ أعمى سعيد ، مقترن بملاحظة دقيقة .

والعفن شكل دنىء بدائى من النبـات ، وهو أحد الفطريات . والنوع الذى جعل يتلف البكتيريا فى صحفة الزرع يعرف باسم « بنيسيليوم نوتاتوم » ، وهو أخو العفن الأخضر فى جبنة ركفور . وكانت المادة التى يفرزها هذا العفن هى التى تدمر الجراثيم .

اكتشف الدكتور فلمنغ هذا العفن ، ولـكن البحث فيـه وقف ولم يتقدم عشر سنين . فلماذا كان هذا الإغفال الطويل ؟ كان هناك فتور فى العناية بمعالجة الأمراض بالمواد الـكيميائية ، لأن كثيرين كانوا قد

طلبوا هـــذه المواد السحرية الفاتكة بالميكروبات فأخفقوا. أما المواد الكيميائية التى ظفروا بهـا فكانت أسرع إلى قتـل المريض منها إلى قتل الميكروبات. ثم جاءت عقاقير « سلفا » فأيقظت اهتمام الباحثين بالمواد الكيميائية فى هذا الميدان.

وأسفرت عقاقير السلفا عن نتائج باهرة فى علاج بعض الأمراض البكتيرية، ولكنها خابت خيبة ذريعة فى علاج أمراض أخرى. وكان لا بد من عقار أفضـل منها لمحاربة العفونة الرهيبة التى تطرأ على الجروح فى زمن الحرب. وحدث أن الدكتور هوارد فلورى أحد أسـاتذة أوكسفورد تذكر بحث الدكتور فلمنغ، وأن المادة العفنة الخضراء سطت على البكتيريا فى صفحـة الزرع ففتكت بها. أفلا تفعل هذا الفعل فيها فى جسم الإنسان؟

ولم يكن الدكتور فلورى ولا زملاؤه يعلمون شيئاً من هذا. ولكنهم قرروا أن يبحثوا، ومن حسن حظ الأنام أنهم قرروا البحث. فشرعوا يعملون عملهم الممل فى تربية العفن على قوارير من فخار، فلما صار العفن حصـيراً متلبداً يكسو القوارير، بدأ عمل الكيميائيين. ففى هذا العفن، مهلك البكتيريا!

وأخـذ الكيميائيون ينبذون منه المركبات الكيميائية التى ليس لهـا تأثير مضاد للبكتيريا، إلى أن حصلوا أخيراً على قدر تافه من مسحوق ضارب إلى الصفرة، لعله هو مهلك البكتيريا.

وقد أجريت التجارب الأولى على هذا المسحوق الأصفر فى أنابيب الاختبار، فظهر أن قليلا منه، كجزء من ١٦٠ مليون جزء، يبطئ نمو البكتيريا. حقيقة مذهلة!! فهذه مادة أقوى مئـات المرات بل ألوف المرات من السلفانيلاميد.

هـذا نجاح باهر فى أنابيب الاختبار. ولكن لم تزل ثمت عقبة لابد من تذليلها، فهذه المادة تسمم الميكروب، أفلا يخشى أن تسمم الإنسان أيضاً؟ فقد حدث كثير مثل هذا من قبل. وليس هناك إلا طريقة واحدة للتثبت من هذا الأمر.

أعد فلورى ومساعـدوه نقيعاً لتسمم فريسـتهم، وهى الميكروب، المسمى « ستربتو كوكوس پايوجينس » أحـــد مسببات العفونة فى الجروح، ثم حقنوا خمسين فأراً بمقادير قاتلة من هذا الميكروب الفتاك. ثم قسموا الفئران فريقين متعادلين وعالجوا أحدهما دون الآخر بالبنيسيلين.

وفى غضون ١٧ ساعة ماتت الفئران التى تركت كلها لرحمة الميكروب. وأما الفئران الأخرى فبقيت تتواثب فى أقفاصها لاتحس بالصراع الدائر فى أبدانها. ومضت عليها

أيام وأسابيع ولم تصب إلا واحدة منها ماتت بعد حين . فكسب هذا المسحوق الأصفر الجولة الأولى فى الصراع بنسبة ٩٦ ٪ أى فى ٢٤ من ٢٥ حالة . وأعيدت التجربة فى مئات الفئران فأسفرت عن نتائج باهرة كالنتائج السابقة. وأخيراً استعد فلورى لكى يتخطى بتجاربه الفئران إلى الناس. فى صيف ١٩٤١ اختار عدداً من المرضى لامتحان العقار الجديد الذى سمى «بنيسيلين»، وكان الفريق الأكبر منهم قد أنهكهم الداء ، ولم ينجع فيهم دواء ، حتى أشرفوا على الهلاك .

وقد نمضى فى بسط رواية البطولة فى إنقاذ حياة المرضى ، فنذكر ثلاثة مرضى كانوا فى عداد الأموات من جراء تسمم الدم ، أوطفلا فى الشهر الثانى من عمره كان ميكروب « الستافيلوكوكوس » ينخر فى سلسلته الفقارية متطرقاً إلى عظام أصابعه وعنقه وساقيه ، أو رجلا كان الالتهاب السحائى الناجم عن نوع من « الستربتوكوكوس » قد أسقمه حتى أدناه من الموت . هذه الحالات كان ميؤساً من شفائها كل اليأس حتى ذلك الحين ، وقد عولجت - هى وما ضارعها ، بالمسحوق الأصفر — فقد حل فى الماء ثم أفرغ فى مجارى دمائهم ، وهم اليوم جميعاً أحياء .

وقد ظهر من أول الأمر ، أن البنيسيلين سلاح قوى جداً ضد ميكروب « الستافيلوكوكوس » المسمى بالميكروب القيحى ، لأنه هو السبب الرئيسى فى تقيح الجروح . وإذا هاجم العظام أورثها داء مدمراً هو التهاب النخاع . وهذا الميكروب هو الذى يغزو الدم ، ويسبب تسمم الدم الستافيلى ، فيميت تسعة أعشار المصابين به ، وهو الذى يحدث جروحاً كبيرة فاغرة تنقضى عليها سنوات وهى لا تلتئم .

لقد فعل البنيسيلين العجائب فى مقاتلة هذه الميكروبات الخبيثة الشريرة ، فهو لم يخفض الحرارة خفضاً سريعاً كما تفعل عقاقير السلفانيلاميد ، ولكن المرضى الذين عولجوا به تحسنت حالهم عاجلا ، وقويت شهيتهم للطعام ، ورجع النشاط إلى أصوات جعلها المرض خافتة حتى كانت همساً. وأهم من ذلك كله أن الناس الذين كان قد قضى عليهم أن يعدوا من الأموات ، لم يزالوا أحياء .

وللبنيسيلين مزايا عظيمة الشأن ، منها أن المرضى الذين لم يحتملوا تعاطى السلفانيلاميد تعاطوا البنيسيلين من غير أن يحدث لهم رد فعل مؤذ على الإطلاق . فهو لا يؤثر تأثيراً ساماً فى خلايا الجسم ، ويظهر أن البكتيريا لم تستطع أن تتحصن منه.

ولكن فيه نقص واحد خطير الشأن ، وهو أن تحضيره صعب جداً ، لأن أنواع

العفن التى يستخرج البنيسلين منها تأبى أن تفرز عصارتهــا السحرية فى كثير من الأحيــان ، فإذا ما لان إباؤها لم تفرز عصارتها إلا فى مقادير يسيرة جداً . فإذا كان الإفراز سخياً فالسنتيمتر المكعب من السائل الذى يحصل من إناء الزرع الفخارى يحتوى على وحــدتين من البنيسيلين — والوحدة هى قدر معين مصطلح عليه من قوة هــذا العقار . وفى بعض الإصابات الشديدة يقتضى إنقاذ الحياة استعمال مليونى وحدة إلى ثلاثة ملايين وحدة! وقد قل المتاح من البنيسيلين حتى اضطر الدكتور فلورى أن يسترد البنيسيلين من بول المرضى ، لأن العقار يفرز مع البول سريعاً . وفى إحدى الحالات انتهى القدر الموجود منه فى أثناء المعالجة ، فمات المريض الذى كانت حالته تبشر بالشفاء، إذ لم يتيسر القدر الكافى لإتمام العلاج.

كان البنيسيلين يعد عند هذا الحد فلتة من فلتات معامل الأبحــاث . كان أمضى ســلاح عرف لمحاربة البكتيريا ، ولــكنه لن يسعف فى أعمال المستشفيات ، مالم تبتكر طريقة لتحضير مقادير كبيرة منه . ولما كانت بريطانيا تعانى جهد الحرب فى جميع الميادين ، ولم يتسن لها أن تهيء له الوسائل الإنتاج الوافى ، انصرف فلورى إلى أمريكا يلتمس المعونة هناك .

بسط مقترحه للجنة الأبحاث الطبيــة فى مكتب المباحث العلميــة ، وللمجلس المباحث الأهلى ، ولوزارة الزراعة . فهل تهتم كل منها بما يخصها من هذه المهمة ؟ أجل ! فلم تلبث أمريكا أن عبأت المواهب للعمل .

فتولت وزارة الزراعــة فى معملها فى بيوريا بولاية الينوى جانباً عظيم الشأن من هذه المهمة ، إذ سلك الباحثون هناك كل الطرق الممكنة لتذليــل العفن الحرون . فتبينوا أن سائل نقيع الحنطة — وهو من بقايا صناعة النشاء — خير غــذاء يغريه بزيادة ما يفرزه . ثم استنبتوا ســلالات جــديدة من العفن تنتج مقادير أوفر من العقار . وأسفر هذا العمل عن زيادة الإنتاج إلى مئات أضعاف الإنتاج البريطانى الأصلى ، فتحولت الفلتة المعملية إلى مادة لها مستقبل طبى تجارى . وشرعت ثلاث من شركات المواد الصيدلية تربى العفن ، وتستخلص منه العقار العزيز المنال . وهذه الشركات هى مرك ، وسكويب ، وبفيزر .

ولــكن هناك مشكلة أخرى ، فالبنيسيلين هو خير عقار لمحاربة عفونة جروح الحرب ، وهو ينقذ حياة الجنــود المصابين بجروح خطرة حين يفشل كل دواء آخر ـــ ولــكن على الجراحين العسكريين أن يحسنوا استعماله. وقد كان لزاما أن يمتحن العقار امتحانا

دقيقاً فى المستشفيات الأهلية ، وكان لزاما على الأطباء أن يعرفوا فعله ، والقدر الذى يستعمل منه، والقاعدة المثلى لاستعماله: أعن طريق الفم ، أم فى الوريد ، أم فى العضل، أم بالاستعمال الموضعى ؟

وقد عهد فى مهمة تقرير هذه الأمور إلى لجنة العـلاج الكيميائى التابعة لمجلس المباحث الأهلية برآسـة الدكتور تشستر كيفر مدير مستشفى إيفانس التذكارى فى بوسطن . فوضعت الخطة وتقرر أن يرسل كل جرام من البنيسـيلين إلى الدكتور كيفر ، فيوزع مايصل إليه على ٢٢ مستشفى اختيرت للتجارب السريرية .

ولا يستعمل هـذا العقار الثمين إلا فى الأحوال التى أعيت حيل الأطباء فى أكثر الأحيان ، أى فى الأحوال الميئوس من شفائها. ويستعمل خاصة لمقاتلة التعفنات المسببة عن الميكروب القيحى (ستافيلوكوكوس)

وقد مضت سنة وهذه التجارب تجرب ، وقد عولج به مئات من المرضى . وقد أنقذ البنيسيلين من التسمم بالميكرب القيحى اثنين من كل ثلاثة مرضى عولجوا به . ولولاه لضاع أمـل الفريق الأكبر من هؤلاء المصابين . وكثيرون منهم تأخر علاجهم لقلة الموجود أو عولجوا بمقادير غير وافية .

ولكن نتائج معالجة التهاب النخاع أفضل من نتائج معالجة الجروح المتعفنة . وقد كانت معالجة هذا المرض المخيف فيما مضى أخطر مهمة للجراح . كان الجراح يفتح الجرح ، ثم يكحت بعض نواحى العظام المتعفنة الفاسدة ، ويولج فيها أنابيب لنزح الصديد . ولم يكن نادراً أن يقضى العليل أشهراً بل سنين فى المستشفى يعالج هـذا العلاج ، وقد يخرج من المستشفى كسيحاً، وقد تنتشر العـدوى فى جسمه كله فتعجل بموته . على أن المرضى الذين عولجوا بالبنيسيلين شفوا سريعاً فى بضعة أيام ، إذ كان هذا الدواء المحقون فى الوريد أو فى العضل كل ٣ ساعات ، يقتل جميع الجراثيم التى كانت تأكل العظام ، ثم يخرج المريض من المستشفيات صحيحاً فى بضعة أسابيع .

وقد عولج ، فى مستشفى بشنل العام فى مدينة بريام فى ولاية يوتاه الأمريكية جماعة من الجنود المصابين بجروح كبيرة عفنـة مضت عليها أشهر ولم تلتئم ، فلمـا عولجوا بهذا العقار برئوا فى بضعة أسابيع .

وقد استعمل البنيسيلين فى مستوصف مايو ، فى ثلاث حالات سيلان استعصت على عقاقير السلفانيلاميد ، وبعد ١٧ ساعة أسفر الفحص العملى عن نتيجة سالبة : أن السلفانيلاميد يشفى فى خلال عشرة أيام إلى أسبوعين ٨٠ ٪ من المصابين بالسـيلان

وأما البنيسلين ، الذى يسهل استعماله ، فينقذ الـ ٢٠ ٪ الباقين . وإذا أثبتت الامتحانات التالية صحة هـذا ، فسيتاح لنا أخيراً أن نستأصل هذا الوباء .

كيف يعمل البنيسيلين عمله ؟ لا يدرى أحد على وجه التحقيق . على أن هناك بضع حقائق واضحة . ففى أنبوبة الاختبار ، لايقتل البنيسيلين الميكروبات قتلا مباشراً ، وإنما يقف نموها وتكاثرها . والسلفانلاميد يفعل هذا الفعل نفسه . حتى إذا ما وقف تكاثر الميكروب أو أصبح نموه بطيئاً ، تغلبت عليه كريات الدم البيض وقتلته .

ليس للبنيسيلين أثر ناجع فى التهاب غشاء القلب الداخـلى حيث تغزو البكتيريا القلب . ولا فى حالات السـل والتهاب المفاصل . واحتمال تأثيره فى أمراض شلل الأطفال أو الحمى الصفراء احتمال ضعيف . ولا يستطيع أحد حتى الآن أن يقطع : هو يجدى فى معالجـة التيفود أو التيفوس أو الزهرى أم لايجدى ؟ لأنه لم يجرب بعد فى هذه الأدواء .

وقد فعل فعلا عجيباً سريعاً فى حالات قليلة من مرضى ذات الرئة التى لم ينجع فيها السلفانيلاميد ، وهو يبشر بأنه سيكون سلاحاً ماضياً ضد الالتهاب السحائى . وهو سلاح قوى ضـد الدمامل وفروخ الجمر وبعض أنواع الرمد المزمنة . وقد أثر تأثيراً ناجعاً مدهشا فى التهـاب عظمة الأذن الخلفية المسماة « مستويد » . ويرجح أنه ينجع فى أكلة الغاز (غنغرينة) التى كانت تقضى على حياة الجنود . وقد استعمل فى تعفنات الحروق فأتى بنتائج باهرة . وكذلك عولج به عدد ممن أصيبوا بحروق فى النار الكبيرة التى شبت فى نادى بوسطن الليلى .

ولكن لا تزال المقادير المتاحة من هذا الدواء قليلة جداً ، وقد طلب جيش الولايات المتحدة الأمريكية مقادير منه هى أضعاف ما ينتج منه الآن . فتأهب ثلاثة عشر معملا صيدليا ، علاوة على الثلاثة التى ذكرت سابقاً ، للمساعدة فى إجابة هذا الطلب . وبالرغم من كل هذا ، لا يحتمل تحضير ما يطلب منه للمدنيين قبل أن تنتهى الحرب .

والأمل الوحيد فى تحضير قدر وافر منه إنما هو فى التوفيق إلى تحضـيره صناعياً بالتأليف الكيميائى. فإذا نجح الكيميائيون فى ذلك تيسر إنتـاج المقادير الكبيرة فى الحـال . على أن تحقيق هـذا الأمل لا يزال بعيـداً .

وكيفما قلبت وجوه المسألة ، فالواضح الآن أن البنيسيلين سلاح لا مثيل له فى الصراع ضد الموت . وسيعدّ فى المقام الأول بين مآثر البحوث الطبية الخالدة .

أيام سباستوبول الأخيرة

خلاصة الكتاب الذي ألفه
بوريس فويتيخوف



« ظلت مدينة سباستوبول ثمانية أشهر ثابتة أمام الجيش الألمانى القوى ، الذى أراد فتحها فى أسبوع أو أسبوعين . وبفضل بسالة الدافعين عنها أمكن منع الألمان من تنفيذ خطتهم فى الزحف على ستالينجراد ، وعلى آبار البترول بالقوقاز فى صيف عام ١٩٤٢ . ولا شك أن دفاع سباستوبول كان من العوامل التى ساعدت على الهزيمة الساحقة التى حاقت بالألمان فى ستالينجراد فى أواخر تلك السنة .

«وكاتب هذا المقال: بوريس فويتيخوف شاب ذكى وصحفى بارع، وصل إلى سباستوبول فى مدمرة ، ورأى المدينة فى آخر وأجل ساعات دفاعها المجيد . والقصة التى يرويها هنا ، هى تدوين لما شاهده بعينيه ، يصف لنا فيها حادثاً من أفظع ، ومن أروع ، حوادث الحرب » .

***

لم يلبث ظلام الليل أن انتشر بسرعة عظيمة ، حينما اقتربت مدمرتنا من مدينة سباستوبول المدمرة، وأخذ النور ينبعث من فنار (خرسن) ، وهو النور الوحيد الذى لم يتناوله أمر الإطفاء العام . ولم يكد الفنار يبذل لنا هذه التضحية الجليلة ــ بأن أنار لنا طريقنا ــ حتى أخذت جدرانه تشتعل بنيران القنابل المنفجرة فيها .

كان الملاحون فى مدمرتنا يعلمون تمام العلم أن هذا الشعاع الذى يعرفونه ويحبونه لم يضىء لهم طريقاً توصلهم إلى منازل الراحة والأمن ، بل كان يهيب بهم ، وهو يرتعش : « لن تلبثوا حتى تجتازوا أعتاب دياركم المخربة ، ولن تلبثوا حتى تروا ما أنزله الألمان من الويل بمدينتكم » .

خفضنا من سرعتنا ، وأخذنا نسير فى خط ملتو ، وسط حقول الألغام المنتشرة من غير نظام . فى بداية الهجوم ملأ الألمان الميناء بالألغام ، ولشدة ازدحامها بالسفن كان كثير منها معرضاً للدمار . وكان رجال

البحرية الروسية يقفزون عن ظهور سفنهم ويدفعون الألغام العائمة أمامهم نحو الشاطيء. وكم من رجل مزقت جسده الألغام المنفجرة وهو يقوم بتطهير الطريق أمام سفينة تريد أن تبرح الميناء ، لكي تعود إليها وهي تحمل الذخائر اللازمة للمدافعين عن سباستوپول .

وأخيراً وصلنا إلى المرفأ الداخلي ، فرأينا المدينة وقد غطاها اللهيب والدخان المنبعث من قنابل الألمان المحرقة . في تلك اللحظة كان خنجر الفاشستيين معروضا على حلق المدينة التعسة . وفي السماء مئات الأشعة الكشافة ــ روسية وألمانية ــ يقطع بعضها بعضاً ، كأنها سيوف من الفضة في مبارزة جوية . والرصاص المضيء الخطاط ينطلق في الهواء ، ويرسم أشكاله النارية المهلكة . وقد انعكست على صفحة الخليج الراكد ، صورة ذلك الجحيم الثائر على الشاطيء . وإلى يسار الرصيف الذي وقفنا به كانت الثكنات ومخازن البضائع تتأجج ناراً . ولما وقفت أرقب ما حولي ، رأيت الجدار الوحيد الباقي من أحد الأبنية ينهار شيئاً فشيئاً حتى سقط في الماء .

قال الربان : « إن الحظ معنا ، فهذه إحدى الليالي الهادئة ! » فسألته : « فكيف تكون الليالي غير الهادئة ؟ » قال : « هذا ما ستراه غداً بنفسك في النهار » .

وبادرنا إلى إفراغ حمولتنا من الذخيرة والرجال ، ثم شحن المدمرة بالجرحى واللاجئين ، في سرعة خارقة للعقل . أما أنا فكان عملي متصلا بالإدارة البحرية في البر ، فقادني إليها أحد الضباط .

كان مركز القيادة البحرية ــ وهو الجهاز العصبي للدفاع عن سباستوپول ــ في نفق محفور في وجه صخرة قائمة . ومن داخل هذا النفق تتفرع دهاليز ضيقة ، ممتدة في جوف الصخر . وهنالك أضواء كهربائية ضئيلة تعين المرء على تلمس طريقه في الظلام . وفي جوانب تلك الدهاليز أبواب عديدة ، من ورائها حجرات صغيرة الحجم ، يعيش ويشتغل فيها قوم قد امتلأوا جداً وجلداً . ولقد تسمع منها أحياناً نبذاً من أحاديث تليفونية أو صوت الآلة الكاتبة . وينبعث أحياناً منها صراخ الجرحى ، أو صوت الإجابة الجافة السريعة من الضابط المكلف ، أو غطيط النائمين الجافي .

وكان عمال الراديو يحملون رسائل مستعجلة ، وقد طرقت أذني قطع منها : « إلى عمال الأشعة الكشافة رقم ٢٤ ! أنيروا مدخل البوغاز لسفينة النقل القادمة . السفن الحربية الحارسة أخذت تلتقط النساء والأطفال اللاجئين ، الذين كانت تقلهم سفينة نقل أغرقت . الألمان يقذفون المرفأ

بقنـابلهم . أخطروا البطارية الخامسـة والثلاثين بأن تضرب الألمان بمدافعها » .

ولهذه الحجرات التي في باطن الأرض ، نظام لماء الشرب ، ونظام للمجاري ، ومطعم وحلاق ، وعدة منافع أخرى ، في صميم قلب الصخر . ولكن كان ينقصها شيء واحد : وهو الهـواء . فإذا تعطلت آلات الترويح أصبح التنفس أمراً صعباً . وبين العاملين هناك كثير من النساء ، وإنه ليحزنك أن تراهن في عملهن المرهق ، قـد احمرت مقلهن الشاحبة ، وتقطعت أنفاسهن ، فهن جالسات يلهثن إلى جانب آلات الكتابة أو التليفون . ولقد تساعد إحداهن الأخرى لحظة ، فينهض فريق منهن محتضناً أطفاله الراقدين ، وقد تصبب العرق منهم ، ثم يمضي بهم إلى بعض الخنادق الخارجيـة المفتوحة حيث يملأون صدورهم من هواء البحر المنعش . ولكن هـذه المساعدات كانت من الأشياء النادرة ، وكثيراً ما عاق دونها سقوط القنابل أو الشظايا .

هذه الأصوات المختلفة التي تحت الأرض لا تلبث أن تختفي تماماً ، حين يطغى عليها صوت القنابل المنفجرة على الصخور التي فوقنا . كان سقوطها يبـدأ كل يوم قبيل الفجر ، باطراد وانتظام . وقـد يبلغ من العنف بحيث يخيـل للمرء أن الصخر قد تصدع في غير موضع ، وأن هـذه الدهاليز والسراديب والحجرات توشك في أية لحظة أن تندك ، وأن تغدو مقبرة لهؤلاء العاملين المجدين الذين لا يدركهم فتور ولا نصب .

أقمت في مركز الإدارة العام في باطن الأرض أربعة أيام ، لم أبصر فيها شيئاً مما يجري فوق ظهرها . ولـكن أحد الضباط وصف لي ما أصاب المدينـة من التخريب والتدمير : « لم يبق شيء يسمى مدينـة ، وجميع المنازل لا سقوف لها ، والشوارع غاصة بالأنقاض والجدران المهدمة » .

وليس في البـلدة مكان لم تسلط عليه آلات الهلاك ، وليس بها مكان آمن من غوائل القنابل والألغام الأرضية ، ونيران القذائف . وكل شيء يتحرك ، سواء أزورقاً كان أم سـيارة أم دراجة ، كان يطارد ويهاجم . وأسراب طائرات العـدو تفتش عن النساء والأطفال المختبئين وسط الصخور ينتظرون دورهم لكي ينقلوا إلى السفن ، فترسل عليهم القذائف الشديدة التدمير ، فتدفنهم تحت الأنقاض بجوار البحر .

وفي كل يوم يجيء الغواصون فيبلغون مدير البحرية عن الأشياء التي استخرجوها من قعر البحر في الميناء . وهؤلاء الرجال الخبيرون بخفايا أعماق البحار كانوا يغوصون في كل ليلة ، ويستخلصون ، من بين حطام

السفن وأجساد الموتى ، قنابل وقذائف لم تنفجر ، فيملأون بها حقائبهم .

ومدير البحرية رجل نهم لا يشبع ، فتراه يتناول باهتمام عظيم « فواتير الشحن » التي أمكن إنقاذها ، ثم يسأل الغواصين : « هذه المحركات الست للطائرات ، أين هي ؟ وأين الضمادات والقطن ؟ وأين الأدوية ؟ ما عساكم تصنعون في قاع البحر ؟ تلعبون الشطرنج مع القتلى والغرقى ؟ » .

فيجيبه زعيم الغواصين : « أجل هو ذلك ! وجدير بك أن تشترك معنا مرة . إذن لرأيت بنفسك أن من المستحيل إنقاذ تلك المحركات ، فهي في جوف السفينة ، ومن دونها أكداس جثث من الخيل والفرسان . أما الأدوية فإني لا أستطيع أن أصل إليها ! » .

« ولم لا ؟ » .

« لم أزل غواصاً ثلاثين عاماً ، وقد مارست أشياء كان الذين معي يجنون من هولها . كل ذلك لم يزعجني ، أما أن أقتحم تلك الغرف التي لا أكاد أفتح بابها حتى تندفق عليَّ جثث الأطفال ، فلا أطيق » .

فيقول له القوميسار : « إن معنى هذا أنك ستدع أطفالا أحياء يموتون لأنهم لم يجدوا الغذاء ولا الضمادات ! » .

وينتهي الجدال دائما بإذعان الغواصين وعودتهم إلى جوف البحر ... وفي الصباح التالي أرسلت المحركات إلى المطار ، ووضعت الضمادات في الشمس لتجف . أما القنابل المستخرجة من البحر ، فكانت تخترق سماء سباستوبول في طريقها إلى معسكر العدو .

كانت سفننا لا تنفك كل ليلة من الدخول خلسة إلى الميناء ، تحمل للمدينة المدد من الرجال والمؤن ، ثم تعود وهي تحمل النساء والأطفال . وكان الألمان يضيئون الأرصفة بما يلقونه من مظلات تحمل المشاعل ، وبما يرسلونه من الضوء الكشاف ، ثم يقذفونها بقنابلهم بغير رحمة . ومن المستحيل أن أفي هذا المنظر حقه من الوصف : فمن صهاريج بترول تشتعل ، إلى صناديق ذخيرة تنفجر . وكان سائقو سيارات المطافىء يهجمون بسياراتهم ، وهي محملة فوق طاقتها ، وسط اللهيب المشتعل ، والدخان الخانق ، بينما يكافح الآخرون النار جهد طاقتهم .

وكان لا بد من بذل مجهود عنيف ، لكي يتم تفريغ كل سفينة وشحنها بسرعة هائلة . وهذه السرعة كانت في ازدياد دائماً إذ لا بد لكل سفينة أن يتم تفريغها وشحنها وأن تبتعد عن رصيفها ، قبل أن يبزغ الفجر ، فإن خطر التخلف عظيم جداً . ولدرء هذا الخطر لم يكن بد من استخدام كل وسيلة ، مهما تبعد عن الرأفة والرحمة .

وقد حدث أنْ كان بين عمال الأرصفة جماعة من المسجونين الذين أفرج عنهم ، فجمع رجل منهم حوله طائفة من المتذمرين كانوا سبباً فى تعطيل العمل ، فلم يلبث أن جاء أحد الضباط إلى ذلك الزعيم وقال له : « افتح فاك وقل : آه ! » ، فلم يكد يفعل حتى رماه برصاصة بين فكيه ، وتناثر دمه ومخه على الذين حوله . والتفت الضابط إلى العمال وقال : « أريد السرعة المتناهية » .

* * *

واستطعت بعد لأى أن أتشجع ، وأن أخرج فى رائعة النهار من مخبأ الإدارة البحرية فى جوف الأرض . ولم أكد أفعل حتى أحسست بأعصابى تنهار من هول ذلك المنظر المفظع الهائل : فهنالك سفن غرق أكثرها ، ولم يبق منها فوق الماء سوى مقدمها أو مؤخرها ، وهى تحمل فى بطنها حمولتها من اللاجئين المساكين ، الذين لايستطيعون خلاصاً . وهناك سفينة شراعية محملة بأقصى ما تتسع له ، وقد مالت على جنبها ، حتى امتدت شراعها على صفحة الماء كأنها أذرع غريق يستغيث .

كان من عادة سكان المنازل القريبة من البحر أن يتخذوا من أجسام هذه السفن مأوى يلجأون إليه من الغارات الجوية ، ودفعتهم سذاجتهم إلى الظن بأن القنابل لا تقع مرتين فى مكان واحـــد . وقد أخطأوا ، فإن الألمان كثيراً ماعادوا فضربوا الأنقاض وبقايا السفن .

وكان الناس فى المدينـة لا يجدون وقتاً للجنائز ، فيكتفون بأن يغطوا الموتى بطبقة رقيقة من التراب . وقد طالعت على رأس أحد الكثبان ، حيث تناثر حطام إحدى الطائرات ، العبارات الآتيـة ، مكتوبة على قطعة من مروحة الطائرة :

« افسحوا لى مكاناً يا سكان المقابر ! أفسحوا أيها الجنود القدماء! إن زائراً جديداً قد جاء ليثبت لكم حبه للحرب والقتال ، فاقبلوه بينكم ، فإنه بهذا جدير » .

لقد نسف الألمان بعض المقابر نسفاً تاماً ، وهم يبحثون عن مستودعات البترول ، فبعثرت بقايا الموتى ممن قضوا نحبهم فى حرب القـرم ، واختلطت بالدماء الطرية . ومن وراء المقابر بقعة من المدينـة قد مزقتها القنابل ، حتى ليستحيل على المرء أن يتبين مكان المنازل والشوارع منها . ولقـد ترى حفراً مستديرة ، حفرتها القذائف ، وقـد امتـلأت بالماء الملوث بالدم ، تسبح فيـه الأيدى والأشلاء وأجسام الأطفال .

ومما أدهشنى أن رأيت وسط هذه البقعة امرأة شابة ترتدى ثياباً متواضعة ، وهى تتلمس طريقها بين الأنقاض ، وفى يدها باقة

من الزهر الجنى . كانت تمشى فى الشوارع المخربة مرفوعة الرأس لا تهاب شيئاً . وقد علمت أنها تجتاز كل يوم خرائب سباستوبول فى طريقها إلى المقبرة التى ثوى فيها زوجها ، وهو من الرجال الذين نالوا شرف الموت دفاعاً عن المدينة . نصحوها مراراً أن تغادر المدينة مع المهاجرين ، فأبت وقالت : « بل أظل هنا ، حيث ثوى قرينى . » والمحاربون يفخرون بها من أجل موقفها هذا ، ويعجبون أشد الإعجاب بهذه المرأة المتواضعة التى رضيت أن تبقى إلى جانبهم ، وقلبها يفيض بالحب الطاهر النبيل .

* * *

إن الرسوم الفوتوغرافية التى التقطتها طائرات الألمان ، أثبتت لقوادهم أن مدينة سباستوبول لم يعد لها وجود . وقد قيل للجنود الألمان إنه لن يمضى يومان ، حتى يكونوا قادرين على الاستحمام فى الخليج ، وبعد ذلك يمنح كل منهم إجازة طويلة .

وبرغم هذا فإن المدينة لم تزل حية ، تغلى نشاطاً وبغضاً . ولئن كانت أبنيتها قد تطايرت ، فإنها ما برحت تعضّ على الأرض باثة دامية . ولما حيل بينها وبين الحياة على ظهر الأرض ، اتخذت من بطنها ، ومن المحاجر المهجورة ، ومن الحفر والخنادق ، ملجأ ومعتصما ، واستمرت فى كفاحها .

ومن أصدق الأمثلة على هذه الحياة مصنع ألغام زرته بنفسى . كانت الضوضاء فيه فوق ما يتصوره العقل ، وهو عبارة عن كهف أو جب عظيم ، مقسم بحواجز معدنية إلى عدة أقسام ، فى كل منها مئات الآلات ، لا ينقطع طنينها ورنينها ، يمدها جميعاً بالكهرباء محرك ضخم يتصاعد منه الدخان والبخار بلا انقطاع ، كأنه غلاية شاى من الطراز الروسى العتيق . فإذا توقف هذا المحرك عن السير ، وانطفأت الأنوار ، بادر كل عامل إلى إشعال سيجارة ، فأضاء الكهف بمئات من الأضواء الضئيلة ، ذلك أن العمال قد اتفقوا فيما بينهم على أنه لن يكون هنالك تدخين ، إلا إذا تعطل العمل بسبب انقطاع التيار الكهربائى .

كانت الآلات تعمل ٢٤ ساعة فى كل يوم . وحين زرت المصنع رأيت امرأة عجوزاً ، تدير آلة من آلات اللحام ، وكانت يدها اليمنى مقطوعة بانفجار قنبلة ، وبعد مغادرتها المستشفى أبت أن تهجر المدينة . وكانت إلى جانبها شابة حسناء ترضع طفلا حملته بإحدى يديها ، وتدير بالأخرى آلة من آلات الثقب . وربما سحرت الألباب من آن لآن بلحن جميل من ألحان المهد .

وقد بنيت للعمال مضاجع على شكل رفوف مثبتة فى الجدران فى ثلاث صفوف بعضها

فوق بعض ، ينام عليها كل عامل – إلى أن يأتى دوره – بين الحقائب والأمتعة التى لم يكن لها مكان آخر . وعلى الرفوف السفلى صغار الأطفال يلعبون ألعاباً مشتقة من الحرب ، ويتخذ الفتيات من القنابل الصغيرة عرائس ، بعد أن يلففن حولها قطعاً من الأقمشة ذات الألوان البراقة .

وترى الرسل تروح وتغدو ، ورؤساء العمل ، ورجال الصحافة والسينما ، يمرون مسرعين فى الدهاليز والسراديب ، ومن حولهم تلك الرفوف المصفوفة على الجدران . وها هنا أحد المهندسين قد انحنى على مائدة ليحلق لحيته ، وهنا الصراف يدفع الأجور لطائفة من العمال ، وتلك فتاة من عاملات التليفون فى فترة الاستراحة تعزف بالجيتار ، هؤلاء وأضرابهم كانوا يعيشون ويعملون فى ذلك الكهف العظيم .

* * *

أما ميدان القتال نفسه ، فكانت ترد منه أنباء غريبة ، وقصص مخيفة . ففى يوم من الأيام كانت إحدى سفن الركاب تغرق فى الميناء ، فانفجرت فى جوفها قنبلة ، فانسد باب حجرة الطعام تماماً ، وكان الجرحى راقدين فى داخلها . وبعد قليل أخذ ينبعث من الات الباخرة وقود ملتهب ، وجعل يسيل من باب حجرة الطعام متسرباً إلى الداخل ، دون أن يستطيع وقفه أحد . فلما رأى الجرحى أن الوقود الملتهب يوشك أن يغمرهم ، جاهدوا فى الخروج من نوافذ السفينة — وهى أضيق من ان تتسع لأكتافهم . . . لقد رأوا الهلاك البشع ماثلا لأعينهم ، فأرادوا تخفيفه بالانتحار العاجل ، ولكن لم يكن معهم سلاح . وقد استطاع أحد اللاحين أن يصل إلى سطح الباخرة ، فأطل منها على تلك النوافذ الضيقة ، فرأى صديقاً قد أخرج رأسه من إحداها وعلى وجهه الألم المفظع ، فتوسل إليه أن يجهز عليه ، فأخرج الملاح مسدسه وأطلق الرصاص ، ثم أشاح عنه بوجهه . لقد فعل كل ما كان فى وسعه .

* * *

فى اليوم الحادى عشر من الهجوم الألمانى الرابع ، صمتت أبواق الإذاعة التى أقامها الفريقان المتحاربان ، فوق المنطقة الحرام التى تفصل بينهما ، ولقد استخدم كلا الفريقين هذه الأداة من أدوات الدعاية . وكان كل بوق ينطق بلغة الفريق الآخر . وبمضى الزمن عرف كل مذيع غريمه فى المعسكر الآخر ، وكثيراً ما كان يؤنبه على ارتكاب غلطة فنية ، أو خطأ نحوى ، أو نكتة باردة ، أو لما قد يبدو فى صوته من أثر السكر .

كان الألمان يوجهون معظم دعايتهم إلى

بحارتنا ، إذ كانوا يخشونهم أكثر من أية طائفة أخرى . وكانت دعايتهم تنتهى فى العادة بعبارة كهذه : « أفيقوا من أحلامكم التى خدرتكم بها الدعاية البلشفية ! إن بحاراً ألمانياً يخاطبكم . . إن شعورى يتفق وشعوركم ، فإذا كنتم تحبون البحر الأسود فانضموا إلينا ، يرجع إليكم البحر كما كان . وزعيمنا الفوهرر خير من يقدر عملكم حق قدره ، وسيمنح كلا منكم زورقاً بخارياً » . فيكون الرد أن نذيع عليهم أسطوانة سجل عليها ضحك عال مستمر . وكثيراً ما كانت هذه السخريات يرن صداها فى التلال ، فتملأ الليل بصيحات منكرة كأنها أصوات السعالى والغيلان .

ولكن فى صباح اليوم الحادى عشر من الهجوم الرابع كان يجرى فى خنادق العدو شىء غير مألوف . إنها أناشيد دينية ، ترتلها فرقة عظيمة ، وصداها يدوى فوق الأرض الصخرية الجامدة . إنهم الرومانيون يبتهلون إلى الله فى طلب النصر وهم يائسون ، وقد ولوا وجوههم نحو الشمس المشرقة من فوق تلال القرم .

وبينما أنا أصغى لأناشيدهم التفت إلىّ أحد الجنود ، وهو يرتب صناديق ذخيرته الاحتياطية ، وقال : « إن دين هؤلاء القوم لا يخلو من المرح ، يا رفيقى القوميسار السياسى ! »

كان من الواضح أن هجوماً يوشك أن يبدأ . ولما دخلت مركزاً من مراكز المراقبة ، سمعت صوت القائد يقول : « أزفت الساعة فاستعدوا للألعاب النارية ! » وفى تلك اللحظة رأيت الدبابات تزحف من الجانب الأيسر للوادى ، ومن خلفها أشباح المشاة ، وهى تسعى مهرولة . فتناولت منظارى ، فرأيت أنهم نصف عراة ، وقد أسندوا مدافعهم الرشاشة إلى أجسامهم التى تتصبب عرقاً ، وقد حشوا أنوفهم قطناً اتقاء لرائحة الجيف . ورأيت بعضهم يحمل أدوات السينما لتسجيل مناظر المعركة .

ثم أخذ الدخان يلف كل شىء ويغشى كل مكان ، فلا تستطيع العين أن تبصر شيئاً . وأخذنا نطلق رصاصاً على غير هدى فى هذا الثرى المتطاير . والساعات تمضى ، والمعركة تدور ، ووقع القذائف المنفجرة يضغط أشد الضغط على الرأس والمخ ، والعين والأذن .

ولا تلبث الدبابات المتقدمة أن تصل إلى خنادق العدو ، فتعوقها بعض العوائق فتعود أدراجها فجأة ، وهى تدك أجسام الألمان والرومانيين الذين سقطوا أثناء الهجوم . ومع هذا فإن كثيراً من مدافعنا قد أسكت .

فى هذه اللحظة يبدأ الألمان الضرب من الجو ، ضرباً مسدداً . وطائراتهم تفوقنا عدداً بنسبة عشر إلى واحدة . وليس هجوم الطائرات المنقضة حرباً بل هو الفناء ، هو القضاء المبرم على الأرض ومن عليها من الرجال . وبعد أن تتم الطائرات هجمتها الاكتساحية ، تتقـدم على أثرها دبابات العدو . . . وقد رأى المدافعون عن الخط الثانى كل ما حدث ، رأوا أقرانهم يمحون من الوجود ، كما رأوا عـدداً كبيراً من بطارياتنا تعطل . ولـكنهم ثبتوا فى مكانهم لم يحاول أحد منهم أن ينجو ، وكلهم يعلم أن هجمتين أو ثلاثاً ستمكن العـدو من اختراق خطوط دفاعهم .

* * *

والخاتمة حادث من حـوادث التاريخ الرائعة ، وإن لم يتح لى مشاهدته . فلقد أمرت بالسفر على آخر غواصـة برحت سباستوبول ، وحين وصل الألمان إلى خط الدفاع الرابع لم يجـدوا مقاومة تستحقق الذكر ، وكذلك لم يكن تسليم ؟ فلم يبق من الفرقة التى كلفت الدفاع عن هـذا الخط سوى ١٣٠ جندياً من رجال البحرية .

وكان الألمان فى تقدمهم يوجسون خيفة من الجثث الهامدة ، فكانوا يطعنون أجساد الموتى بحراب بنادقهم ، أو يفرغون فيها رصاص مسدساتهم ، ثم يتسللون إلى الأمام تحميهم الدبابات الخفيفة ، ووجهتهم مجموعة المدافع المسماة « بطارية قسطنطين » . وكان الاستيلاء على هـذه البطارية يمكن العدو من السيطرة التامة على الميناء ، وعلى البوغاز الموصل إلى البحر .

وقد صدر الأمر منذ وقت طويل إلى المائة والثلاثين رجلا بالتراجع عن أماكنهم، فتجاهلوا الأمر . واختاروا أضيق موضع أمام البطارية ، وأخذوا يدافعون عنه بشدة وعزيمة ، حتى اضطر الألمـان إلى الانتظار ريثما تصل إليهم الأمـداد . هؤلاء المائة والثلاثون ، كانوا يحاربون من أجل حياة رفقائهم الجرحى ، الذين كانوا ينقلون فى تلك الساعة من البر إلى السفن .

أما هؤلاء الجرحى ، فكانوا رقوداً على شاطىء البحر ، وكثير منهم قد شوه تشويهاً قاسياً ، وقد نفد كل ما كان لديهم من أدوية أو ماء ، ولم يبق شيء يستعان به على تخفيف ويلاتهم . والجميع يعرف هـــذا : يعرفه الطبيب والمريض على السواء . فلم يكن هنالك مكان للوم ولا لشكوى . وقد مات من الجرحى من مات ، بعد الذى عاناه وقاساه . وكان هناك عدد كبير من الشابات الروسيات ، قد اشـتركن فى الحرب منذ بدايتها ، واليوم كن يحملن الجرحى إلى

الزوارق ، فإذا أصيب أحد الزوارق غرقن مع من يغرق ، أو عمن مع من يعوم .

أما الرجال الذين دافعوا لكى يجعلوا هذا الإنقاذ ممكناً : هؤلاء المائة والثلاثون فكانوا يعلمون بما يقوم به أولئك النسوة ، فلم يستطع الألمان — حتى بعد أن جاءهم الإمداد — أن يخترقوا خط الدفاع الأخير هذا ، الذى يذود عنه حماة لهم هذا العزم الصارم . ولكن عددهم لم يلبث أن تناقص بسرعة ، بحيث لم يبق منهم سوى أربعين رجلا ، هم الذين وقفوا الوقفة الأخيرة لدى بطارية قسطنطين .

وقد ظل الرجال الأربعون يحمون تلك البطارية ثلاثة أيام ، وثلاث ليال . . وهى ليال وأيام لم ينقطع فيها هجوم الألمان لحظة . أجل ! لقد ظل أولئك البحارة ثلاثة أيام ، وثلاث ليال مغلقين فى وجه العدو أبواب سباستوبول ، ولم تنته مقاومتهم إلا بعد أن نفد جميع ما لديهم من القذائف والقنابل . وفى تلك اللحظة فقط ، انتهى الدفاع عن الخط الرابع من خطوط دفاع سباستوبول ، ولكن لم يقع مدفع واحد فى أيدى العدو ، ومضوا واحداً فى أثر أخيه ، فمتى استنفد أحدهم كل ما لديه من الذخيرة ، أو عجز عن متابعة القتال ، بادر بتدمير نفسه ، وبتدمير كل شىء يمكن أن ينتفع به العدو .

* * *

وهكذا انقضت ثمانية أشهر ، وهذه المدينة التى لم تكن كبيرة الحجم ، والتى بنيت وحصنت لمواجهة الخطر الآتى من البحر لا من البر ، واقفة تصد تقدم القوات الألمانية والرومانية ، فى طريقها إلى القوقاز. واليوم قد تراجعت سباستوبول — أمام ضغط العدو الساحق القاسى — ومعها أولئك البحارة الصاخبون المعذبون، تتصبب أجسامهم عرقاً ودماً . . لقد ارتدوا جميعاً وصدرهم مفتوح للعدو ، فتراجعوا إلى الفنار الأخير فى جزيرة القرم وهو فنار خرسُن . إن سباستوبول المدينة قد زالت من الوجود ، ولكنها استحالت إلى مثال يحلق فى جميع أنحاء بلاد روسيا .

وقفت على أحد الموانىء فى الساحل الشرقى من البحر الأسود أراقب واحدة من أواخر السفن التى غادرت سباستوبول ، كانت قلاعها محطمة ، ومرقبها اكتسحته القنابل ، وجوانبها مخرقة كأنها غربال ، ولكن الألمان عجزوا عن إغراقها . وكانت أول عبارة فاه بها البحارة الجرحى حين بلغوا الساحل : « سنعود إلى سباستوبول ، لقد رأينا مصابيح فنار خرسن وهى تطفأ ، ولكنا سنوقدها مرة أخرى ! » .

بنزر من المال وكثير من الجرأة والاقدام ، تسعى المكسيك إلى حل مشكلة الصحة فى الأرياف

ثورة الطب فى المكسيك

ميخائيل صكلى

ملخصة عن مجلة « بان أميريكان »

كانت الأرقام تثير المخاوف عندما راجعتها وزارة الصحة المكسيكية فى سنة ١٩٣٦ ، فبمقتضى القاييس العصرية كان يجب أن يكون فى المكسيك ثمانية عشر ألف طبيب ، أى بنسبة طبيب واحد لكل ألف نسمة . ولكن البلاد لم يكن فيها سوى أربعة آلاف وخمسمائة طبيب ، وتسعون فى المائة منهم يقيمون فى المدن الكبرى ، أى أن ثلثى السكان أو نحو اثنى عشر مليوناً من سكان المدن الصغيرة والفلاحين وعمال المناجم والهنود كانوا محرومين عناية الأطباء . وأدهى من ذلك أنهم كانوا ضحايا الدجالين ، والمشعوذين . ولذلك كانت نسبة الوفيات بينهم أعلى مما عرف فى أى مكان آخر .

وما فعلته المكسيك لملافاة تلك الحالة جدير باهتمام العالم كله ، فقد حلت مشكلة لا تزال مستعصية على المهيمنين على الشؤون الصحية فى جميع أنحاء العالم كله . ذلك أنها حولت تيار الأطباء الشبان من المدن الكبيرة إلى القرى حيث الحاجة إليهم على أشدها .

وأول من أوقد نار هذه الثورة هو الدكتور غستاف باز العميد الشاب لكلية الطب بالجامعة الأهلية . كان يعوزه المال ولا تعوزه الجرأة ، فاستدعى ٢٦٠ طالباً من طلبة السنة النهائية بتلك الكلية، وأخبرهم أنهم قد أصبحوا أطباء « مؤقتين » قائلا لهم : إنكم تدرسون الطب منذ ست سنوات تقريباً ، ولو سارت الأمور فى مجراها الطبيعى لأصبحتم بعد قليل أطباء مقيمين بالمستشفيات . ولكن بدلا من ذلك نعرض عليكم أن تقوموا بتجربة طبية كبيرة، فيقضى كل منكم ستة أشهر فى جهة من الجهات الخالية من الأطباء، ويتولى فيها عمل طبيب الصحة . ونحن نرسل الأدوية اللازمة لكم على أن لا تطالبوا أحداً بأجر . وستمنح الحكومة كلا منكم ١٨ دولاراً وعليكم أن تمرنوا الممرضات اللواتى تحتاجون إليهن ، وأن تنظموا « عياداتكم » . وسيعمل أكثركم بين قوم لا يزالون على الفطرة ، ولا يعلمون شيئاً عن الطب الحديث . وفى

نهاية الستة الأشهر يتقدم كل منكم برسالة يجب أن تكون أنفس رسالة قدمت لدرجة طبية ، فتشمل بياناً عن تاريخ الجهة ، وأهلها ، وأحوالها الجوية ، والغذائية ، ودخل القوم وشؤونهم الصحية ، ومعدل انتشار الأمراض بينهم ، وأسباب تلك الأمراض . ومتى أنجزتم ذلك كنتم جديرين بلقب « دكتور » .

ونجحت هذه التجربة حتى أصبحت برنامجاً مقرراً فى المكسيك . ووضع الطلبة المائتان والستون أول تقرير كامل عن المشكلة الصحية فى أرياف المكسيك ، فأصبح لتلك البلاد برنامج صحى يصح اتخاذه نموذجاً . وأنشئ نظام « مقرر » للدراسة الطبية للشبان الفقراء بالأرياف الذين لايستطيعون أن يلتحقوا بكلية الطب . وصار يرى اليوم أطباء رسميون فى أكثر من ألف مكان كان خالياً قبل من الأطباء . وأنشئ أربعون مستشفى أقليمياً ، والعمل جار لإنشاء ثمانية وعشرون مستشفى آخر . وهنالك جهات نائية تزورها وحدات متنقلة تستعمل الحمير والمركبات فى الانتقال ، ويفحص الأطباء الريفيون الآن فى المكسيك أكثر من مليون مريض كل عام ، ويلقحون نحو نصف مليون بالألقحة الواقية من الجدرى والتيفوئيد وغيرها من الأمراض المعدية . وقد كانت موارد الماء الصالح للشرب فى أول عهد هذا البرنامج أقل من ١٠ ٪ من مجموع موارد المياه فى البلاد ، أما الآن فتزداد موارد المياه المحمية من التلويث لمئات من المدن والقرى ازدياداً مطرداً .

وقد عاد الأطباء « المؤقتون » الذين كانوا طليعة هذا النظام ، وقد كسبوا خبرة ما كان يمكن أن يكسبوها فى أى مستشفى من مستشفيات المدن . فقد أنجزوا عمليات جراحية فى ظلال أشجار الأدغال ، واستحدثوا جبائر للعظام من الخيزران ، وولدوا النساء على حصر من ورق الموز . وأحضروا معهم صوراً تمثل أسواق المواد الغذائية فى القرى وهى مغطاة لأول مرة ، لوقايتها من الذباب والكلاب والخنازير . وكذلك صوروا عيون الماء النقى ، حيث كان القرويون والبهائم قديماً يستحمون ويقذفون الأقذار .

على أن أحد أولئك الأطباء لم يعد ، فقد حاول أن يعالج فتاة هندية مصابة بداء الخناق (الدفتيريا) ، ولكن والديها الهنديين طرداه من البيت إذ خشيا أن تكون «إبرة الحقن» من أدوات السحر . وفى اليوم التالى أقنع أحد معلمى المدارس والديها بأن يسمحا للطبيب بأن يبذل ما فى وسعه لإنقاذها ، فحقنها ، ولكن بعد فوات الأوان ، وتوفيت

الفتاة . وبعد أيام كمن أحدهم للطبيب وقتله .

ومرت الأيام ، وتخرجت فرقة إثر فرقة من طلبة السنة النهائية على الوجه المشار إليه ، وذهب أحـد عشر طبيباً آخرين ضحيـة الأهالى الهنود الذين كان دجالو القرى يحرضونهم عليهم غيرة منهم . فكذلك أصبح « المسدس » كميزان الحرارة من الأشياء التى يجب على الطبيب أن يحملها معه .

ورأى أحـد أولئك الأطباء الشـبان أن الحاجة تدعو إلى ضرب أول نطاق صحى عرفته إحـدى القرى بسبب تفشى الحصبة وهى من الأمراض الفتاكة الكثيرة الانتشار فى البلاد الحارة . وقد اضطر ذلك الطبيب مرتين إلى إطلاق بندقيته على جماعة اخترقوا نطـاق الحجر الصحى وتهددوه . وأخيراً طلب إلى الجيش أن يمـده بجنود أقام منهم نطاقاً حول ثلاثة أبنية ، ثم أخذ يتنقل مع ممرضة هنـدية من بيت إلى بيت ، يعالج ويشرح ، ثم يترك أمام كل منزل حارساً . وبهذه الطريقة وقف انتشار الوباء .

وقد نجح كذلك فى تحسين تلك القرية ، فجاء فى تقريره أنه — فضلا عن تطهير ماء الشرب وسوق المواد الغذائية ، وهما أهم مصادر العدوى ، فحص ١٢٦٦ مريضاً ، وحقن ألف شـخص باللقـاح الواقى من الجـدرى ، وأرشـد ٢٩ حاملا ، وعالج ٤٢٩ ولداً ، وألقى ١٢ محاضرة على معلمى مدارس البلدة فى علم الصحة ، وأنشأ داراً لرعاية الأطفال .

وكان نساء تلك البلدة يقمن بالأعمـال المنزلية الشاقة كالاحتطاب وذبح الماشـية . فأفضى ذلك إلى ازدياد مخيف فى معـدل الأمراض والإصابات بين الأطفال المتروكين فى بيوت قذرة ، أو فى رعاية أولاد أكبر منهم . فجمع بضعة من أذكياء الأهالى ووجههم إلى العمل . فسـوروا بيتاً غير مأهول وبيضوه ، وبنوا أكواخاً ومدوا أنابيب للمـاء . وفى أثنـاء ذلك كان يمرن ثلاثين فتاة من تلميذات المدرسة على أصول العناية بالأطفال ، ثم عهد إليهن فى الإشراف على دار رعاية الأطفال . ولم ينقض على ذلك شهران حتى هبطت الحاجة إلى العناية الطبية بين أطفال تلك البـلدة بمقدار ٤٠ ٪ .

ففى خلال ست سنوات أخرج الدكتور باز ٢٤٠٠ طالب طب قبيل تخريجهم من الجامعة الأهلية، وقد انضم إليهم أخيراً أربعمائة طالب آخر من ثلاث مدارس طبية صغيرة وأخذوا يحذون حذوهم . وعاد الكثيرون منهم بعد تخرجهم إلى المدن التى عينوا فيها.

وحيثما يستقر طبيب منهم تفتح صـيدلية واحدة على الأقل . ومن الممكن الآن — ولأول مرة — الحصول على الأدوية

اللازمة فى تلك الجهات . وقد درب هؤلاء الأطباء أربعة آلاف فتاة على التمريض . نعم إنهن لسن ممن قد استوفين دراستهن ، ولكنهن قد تعلمن مبادئ الصحة العامة والخاصة ، ويصح أن نقول إنهن سبقن نساء القرية الحكيمات بما لا يقل عن خمسمائة سنة ، وهذا شئ يعتد به . وطلبة الدكتور باز يستقر معظمهم ، بعد أن ينالوا ، الإجازة فى الطب ، فى المدن الصغيرة التى يختلف عدد سكانها من خمسة آلاف إلى اثنى عشر ألفاً حيث يجدون بين زبائنهم فريقاً من الناس ممن يستطيعون أن يدفعوا أجرة الطبيب . على أن المشكلة الكبرى هى جاليات الدساكر التى يبلغ عددها سبعة آلاف ، وسكان المزارع التى لا تحصى ، وتتألف كل مزرعة من أكواخ ، وسكانها ، وهم سواد أهل الريف ، لا يستطيعون دفع أجور الأطباء .

وقد شرعت وزارة الصحة فى المكسيك فى تنظيم وحدات صحية ريفية ، تتألف كل منها من طبيب وصيدلى وممرضة ومساعد عام . وقد عينت لكل مزرعة هندية وحدة صحية ، وأعطيت الوحدة سيارة ، وعهد إليها فى مراقبة الحالة الصحية فى بقعة مساحتها مئات من الأميال المربعة .

ولما تولى الدكتور غستاف أوروتشورتو إدارة التعليم الصحى أدرك أن أهالى تلك الجهات لا يفهمون مايقال فى شرح الوسائل الطبية ، فأخذ ينشر صحيفة صغيرة الحجم بعنوان « هيجين » أى «الصحة» ، وعهد إلى الوحدات الطبية وطلبة الطب ومعلمى مدارس الأرياف وزعماء جماعات الفلاحين فى توزيعها مجاناً . وفى هذه الصحيفة أخبار أعظم الاكتشافات الطبية مفرغة فى قالب قصص شعبية . مثال ذلك كيف استعمل هنود بيرو الكينا أولا . ويصوّر الماء والهواء والشمس فى صور أشخاص هى من أخلص أصدقاء الإنسان ، وتصور الظلام والأقذار والجراثيم فى صور أعدى أعدائه. ثم تمثل الصور ما يحدث حين يبنى المرء بيته على أرض مرتفعة قد توافرت لها شروط الصرف . وما يحدث حين يبنيه على أرض رطبة محرومة نور الشمس . وهنالك أيضاً إرشادات تعطى بالصور المتحركة ، تجتذب حتى الكبار إلى المدارس حيث تعرض . وتدار فى الأسواق البعيدة اسطوانات، ومنها كثير باللغات الهندية لترشد المستمعين . وبمثل هذه الوسائل تسنى شرح مبادئ الصحة الأساسية وإيصالها إلى ثلاثة ملايين نفس من المكسيكيين . ولوزارة الصحة اليوم ١٢٥ وحدة صحية ريفية .

وقد نظمت الجاليات الريفية ، واحدة بعد أخرى ، على أساس مشترك ، فتدفع

الأسرة ، للمعالجة الكاملة فى السنة نحو خمسة ريالات . وفى المناطق الفقيرة يهبط مبلغ الاشتراك إلى ريالين ونصف ريال . ويدل تقرير سنة ١٩٤١ على أن الفلاحين دفعوا ٣٥٪ من نفقات البرنامج الصحى الأهلى .

وقد كان معظم الأطباء حتى الآن من أسر تستطيع أن تدفع نفقات دراسة ست سنوات ، على أن عددها قليل . ولذلك قامت المكسيك بتجربة أخرى تكاد تكون ثورة فى نظم التعليم ، ذلك أنها قررت أن تستمد ألوفاً من طلبة الطب من الأقاليم الريفية الفقيرة .

وراسم خطة هذه التجربة هو الدكتور اجناسيو ميلان وهو جراح مشهور ، وقد عرضه فى سنة ١٩٣٧ على الرئيس كرديناس قائلا له : « إن لدينا معيناً لا ينضب من فتيان يمكن أن يصبحوا أطباء ، ولكن ليس فى وسعهم أن يدرسوا الطب . فلننتق خيرتهم ممن يستطيعون أن يكملوا دراستهم العلميـة وينالوا درجة ٨٠٪ ، ولندخلهم كلية الطب على نفقة الحكومة . ولنشترط عليهم أن يدخلوا خدمة المصلحة الطبية الريفية مدة ٥ سنوات على الأقل متى فرغوا من دراستهم » .

وفى السنة التالية أنشأ الدكتور ميلان برأس مال قليل مدرسة الطب الريفى فى معهد الفنون والصناعات . وهو يقضى نصف يومه فى التدريس فى هذه المدرسة ، ولا يتقاضى عن ذلك سوى عشرين ريالا أمريكياً فى الشهر ، ويتقاضى المدرسـون الآخرون أجراً مماثلا .

وقد تمكن الدكتور ميلان من تقصير مدة الدراسة من ست سنوات إلى خمس ، باجتناب كل ما لا لزوم له ، واقتضاب كل عطلة . وإطالة ساعات الدراسة . وسيكون المتخرجون ملمين كل الإلمام بعلم الطب بوجه الإجمال وسيدربون تدريباً تاما على أمراض المناطق الحارة ، وسيستطيعون أيضاً ممارسة طب الأسنان فى أحوال الضرورة الطارئة .

ويبلغ اليوم عدد طلبة مدرسة الطب الريفى مائتين ، وهم منتقون من خيرة الطلبة . ويعطى كل منهم من ستة ريالات إلى عشرة كل شهر ، لنفقات معيشتهم ، ويقدم لبعضهم أماكن لإقامتهم . وستتخرج الفرقة الأولى منهم فى هذا العام ، فيرسل أفرادها إلى الجهات الخالية من الأطباء بعقد مدته ٥ سنوات .

ولا يزال مجال العمل واسعاً جـداً ، إلا أن المكسيك قد وفقت إلى حل مشكلة الصحة الريفية بفضل نظام الأطباء الريفيين الذى ابتدعه الدكتور باز ، والوحـدات الصحية الريفية التابعـة لوزارة الصـحة ، وخطة الدكتور ميلان فى تعليم شبان الأرياف الفقراء الطب .

لوبـو ، مَلك الذئاب

إرنست طمسون سيتون

منـذ سـنوات مضت جاءنى صـديق كانت له ضيعة لتربية البقر فى وادى كورمبو فى شمال المكسيك الجديدة بالولايات المتحدة ، وكان يعـرف أننى كنت يوماً ما صائد ذئاب ، فجعل يحضنى على زيارة ضـيعته لأطهر الناحية من عصابة من قطاع الطرق وهى ذئاب طلس خبيثـــة ، ذهبت تتحدى صائدى الحيوانات الوطنيين ، فتجبي بذلك منهم ضريبة من أثمن الأبقار . لبيت الدعـوة فى شـوق ، وانطلقت إلى وادى كورمبو فى عربة ومعى اثنـان من المساعدين : بيـلى ألين ، وشـارلى ون ، وبعض فخاخ لصيد الذئاب .



ولما وصلت إلى الوادى ، عرفت أن سرب الذئاب يقوده ، ذئب طاغيـة جبار أطلق عليه المكسيكيون الوطنيون اسم «لوبو العجوز ، الملك» . وكل أصحاب الضياع يعرف لوبو خير معرفة ، وإن لم يكد يراه إلا فئة قليلة منهم . ولا يخطىء السمع صوته ، وإن يـكن أضعف من صوت زملائه . أما آثاره فلا تكاد تخطئها العين ، إذ كان طول قدمه الأمامية خمس بوصـات ونصف بوصة ، فى حين أن طول قدم الذئب العادى أربع بوصات ونصف .

ولقد كان لهذا الطريد العجوز دهاء وقـــوة تتناسبان مع جـرمه .

وراحت عصابة الذئاب تتفادى كل جهد يبذل فى سبيل اصطيادها بالسم أو بالفخاخ ، وذلك بما لقائدهم من مكر شيطانى . وفى النهاية أرصد الملاك مبلغ ألف ريال مكافأة لمن يحتز رأس لوبو — مكافأة منقطعة النظير لمثل هذا العمل . غير أنه يتراءى أن لوبو وعصابته عاشوا حياة طيبة ، فلقد فتكوا ، فى مدى خمس سنوات ، بما لا يقل عن ألفى رأس من الماشية . وكانوا جميعاً يتأنقون فى غذائهم ، فما يمس واحد منهم شيئاً من الفريسة سوى الأجزاء الرخصة من العجول الصغيرة السن ، وهم يقتلون واحداً منها كل ليلة تقريباً .

أما لوبو فما كان ليخشى إلا شيئاً واحداً : هو الأسلحة النارية . فكان يتحاشى أن يواجـه إنساناً ، لأنه يعـلم أن كل رجال الناحية مسلحون . ثم إنه لا يسمح لعصبته بالتجوال إلا ليلا . وبإزاء مثل هذا الخصم كانت فخاخى جد صغيرة ، فأخذت أحاول تصيده بالسم ريثما أستحضر ما هو أكبر منها.

وأردت أن ألقى لهـا طعماً ، فطهيت خليطاً من الجبن وشحم كلية عجل حديث الذبح ، ولكيلا أصبغ الطعام برائحـــة الإنسان ، لبست قفازاً غمس فى دم العجل الحار ، وتحرزت حتى من أن أتنفس على اللحم . ولما برد الطعام قسمته قطعاً بسكين من العظم ، وحشوت كل قطعـة بكبسولة لا رائحة لها ، من الإستريكنين والسيانيد ، وختمتها بقطعة من الجبن . ووضعت هذا الطعم فى حقيبة من جلد غير مدبوغ مدهونة كلها بالدم ، ثم امتطيت حصاناً ، أجر ورائى الحقيبة معلقة فى حبـل ، وانطلقت أدور مسافة عشرة أميال ، وألقى قطعةً من اللحم على كل ربع ميــل ، وأنا حريص على ألا ألمس اللحم باليد العارية .

وفى اليوم التالى ركبت ودرت الدورة نفسها ، وأنا أشتاق أن أرى نتيجة عملى . فتبين لى من آثار الذئاب على الثرى أنها استروحت رائحة عقاقيرى وسمى . ثم تتبعتها ووجدت حيث ألقيت القطعـة الأولى من الطعم ، أن لوبو قـد شم من حواليها ثم التقطها أخيراً. الآن خيل إلى أنى ظفرت به غير أنى لم أجد ذئباً ميتاً على الوادى المنبسط. ثم تقدمت إلى الثانية والثالثة فوجدتهما قد فقدتا أيضاً . وعند الرابعة تبينت كل ما كان فإن لوبو لم يطعم اللحم ، ولـكنه حمله فى فمه ، ثم قذفه جميعاً عند الرابعة ، ثم سلح عليهـا وبال ، ليعـبر عن احتقـاره المطلق لـكل ما دبرت من حيلة ومن خدعة .

لا ريب ، فهذا الملك كان أذكى من أن يصاد بالسم ، فرحت أهيىء مائة من فخاخ الذئاب الثقيـلة ذوات الزنبرك المزدوج من الصلب . وأخذت أعمــل أنا ورفيقاى أسبوعاً لنحكم وضعها عند كل طريق يوصل إلى ماء ، وعند مدخل كل واد فى هــذه البقعـة . وكان كل فخ موثقا إلى كتلة من الخشب ، مدهوناً بالدم الطرى . ودفنت عند كل شرك أربع مصايد كل واحدة منها على بعد قدم واحدة تقريباً من الأخرى . ووضعت كتل الخشب على جانبى الطريق ، ثم واريتهـا بالثرى والحشـائش ، ورحت أسوى الأرض بجسم أرنب . ولقـد أحكم إخفاء المصائد حتى أن أحدنا لا يستطيع أن يكشف عنها ، ولو كان فى ضوء النهار . ولكن لوبو لم يكن ممن يخدع .

ولما ذهبت أفتش عن مصايدى بعد أيام ، تراءى لى ما كان ، حين رأيت آثار الذئب على الثرى . ذلك أن لوبو حين اقترب من المصيدة الأولى ، أنذره أنفه القوى الشم أنه بإزاء أمر مريب ، فراح ينكت الأرض حوالها بحذر ، فبدت له المصيدة والسلسلة وكتلة الخشب ، فانطلق ليعيد هذا العمل نفسه فى اثنتى عشرة مصيدة أخرى .

وحين درست حركاته ألفيت أنه بعد أن يكشف عن المصيدة ، يتحول عن الطريق من الناحية التى يهب عليها الريح . فأوحى لى ذلك بفكرة جديدة ، فوضعت مصيدة واحدة على الطريق مباشرة ، وثلاثاً أخر على كل من جانبيها لتكون جميعاً على شكل حرف H والآن خيل إلى أنه حين يبلغ المصيدة الوسطى التى تكون الخط الأوسط من الحرف H ، سيقع حتما فى واحدة من المصايد الجانبية .

ولكنه كان فطناً غاية فى الفطنة ، فحين واجه المصيدة فى الطريق وقف فى مكانه ، إذ أنذرته حاسة شمه القوية قوة فوق التصور فبدلا من أن يتجه نحو أحد جانبى الطريق ، كما هى عادته ، ارتد القهقرى ، وهو يحرص أشد الحرص على أن يضع براثنه على آثارها الأولى التى تركتها على الثرى ، وظل يفعل ذلك حتى تجاوز منطقة الخطر . ولما خلص ، دار دورة واسعة حول الحرف H وانطلق ظافراً ليفترس عجلا آخر على مسافة أميال .

وانقضت أربعة أشهر وأنا أتقصّص أثر العجوز الذكى الشرير وعصابته ، فى غير فائدة ، وعجزت حيلتى . وكان له أن يتجول ويقطع الطريق كيف شاء حتى آخر لحظة من عمره ، لولا أنه وقع فى خطأ ... غلطة العمر ، تلك هى أنه اتخذ زوجة شابة رعناء قليلة الحذر .

وكان بعض المكسيكيين يوقد ناراً على يفاع من الأرض ، فكانوا ربما لحوا على ضوئها هذه العصابة من الذئاب ، فأخبرونى أن الزوجة بيضاء ناصعة البياض ، ولهذا سموها « بلانكا » .

الآن ، فى النهاية ، اعتقدت أننى قد وضعت يدى على نقطة الضعف فى سلاح المحارب القديم ، فرسمت خطتى للمعركة الفاصلة . فذبحت عجلا ، ووضعت مصيدتين حول جثته بحيث يسهل أن تراهما العين ، ثم حززت الرأس وألقيته على الأرض على مسافة قريبة ، كما لو كان ملقى فى غير عناية . وأوثقت به مصيدتين لا رائحة لهما ، ودفنتهما ، ثم سويت الأرض بجلد ذئب ، ووضعت على الثرى آثاراً بمخالب ذئب أيضاً فوق المصيدتين .

وفى الصباح التالى ، لحسن حظى ، لم أجد للرأس أثراً ، والآثار تعلن على أن

لوبو قد قدم ، وقد غررت به رائحـة لحم العجل الزكية ، ثم راح يدور حول جثـة العجل على مسافة بعيدة . ولزم باقى العصابة ، إلا واحداً ، حذره القديم ، وظل ينتظر على مسافة من هـذه البقعة . أما هذا الواحد ، وهو ذئب صغير ، فقد اندفع فى طيشه ليختبر رأس العجـل ، فسقطت رجله فى إحدى مصايدى ، ثم انطلق يجر الرأس والمصيدة . وعلى مسافة ميـل أدركنا الذئب السيىء الطالع ، فإذا هو « بلانكا » .

لقد كانت أجمـل ذئبة رأيتها ، وكان فروها أبيض ناصع البياض . وكان لوبو إلى جانبها ، لم ينأ عنها إلا حـين رأى رجالا يسرعون اليها وفى أيديهم البنادق ، فانسل إلى أعلى التل وراح يناديها لتتبعه . ولكن قرنى العجل الكبيرين كانا قد انغرزا فى الصخور وحبساها عن السير .

والتفتت تريد المبارزة ، فرفعت عقيرتها بعواء طويل جعل يتردد فى فضاء الوادى ، وارتفع صوت لوبو عميقاً من أقصى الوادى يجيب عواء زوجته . وكان هذا آخر نداء نادته ، فقـد أسرعنا إليها نطبق عليها ، وقتلناها ، ثم حملتها على مقـدم السرج ورجعت إلى الضيعة .

وانقضى هذا اليوم كله ونحن نسمع عواء لوبو ، ولم يعـد صوته هو الصوت القديم الحافل بالازدراء ، فقد تبينت فيـه لوعة الحزن . فلما أسدل الليل ستره ، أخـذ صوته يقترب شيئاً فشيئاً ، وكان فى استطاعتى أن أقول أنه لا يبعد عن المكان الذى غلبنا فيـه بلانكا على أمرها . وحين بلغ البقعة التى قتلت فيها زوجته ، خيل إلينا أنه عرف كل ما كان ، فأصبح صـوت عويله يبعث على الأسى ، حتى إن رعاة البقر الأغبياء قالوا إنهم : « لم يسمعوا أبداً ذئباً يفعل مثل هذا من قبل » . وفى جوف الليل ، راح لوبو يتقصص آثار خيلنا حتى كاد يصل إلى دار الضيعة . وعند الصباح وجـدنا كلب الحراسة قد مزق شر ممزق .

وذهبت أعمل جاهداً لكى أظفر به قبل أن يمسك عن البحث عن بلانكا ، فرحت أنا ومساعداى ننشر المصايد جماعات ، على كل طريق يقود إلى الوادى ، وكل جماعة أربع مصايد . وشددنا كل مصيدة إلى كتلة من الخشب مدفونة تحت الثرى ، ومن فوقه آثار من مخالب بلانكا .

وبعـد ظهر اليوم الثالث رأيت شبحاً أغبر كبيراً على الطريق فى شمال الوادى ، هناك رقد ملك « الكورمبو » عاجزاً ، لقد جاء إلى الآثار التى عملتها ببراثن بلانكا ، وقد نسى عادة الحرص فوقع فى الشرك .

ولما رآنى هذا البطل القديم ، بعد أن

جهده كفاح يومين وليلتين ، شبَّ إليَّ ليبدأ المعركة، وكانت عيناه تقدحان من الغيظ شرراً ، وجعل يقعقع بفكيه محنقاً ، وهو يحاول أن يصل إليَّ وإلى حصاني المرتجف ، إلا أن المصايد شدت وثاقه ، ثم خرَّ منهوكا من أثر الضعف والجوع والدم النزوف .

الآن ، وقد ظهرت عليه ، غلبتني الشفقة فقلت : « أنت أيها العجوز الطاغية الطريد، لشد ما يحزنني أن أفعل بك ذلك ، ولكن يجب أن أفعل » . ثم ألقيت أنشوطتي ، وحين أحاطت برقبته أمسك بها ، وقضمها قضمة واحدة فقطع الحبل السميك . وكانت معي بندقيتي غير أنني لم أشأ أن أهتك ستره الملكي . لهذا عدت إلى الدار تعدو بي فرسي ، لأجيء بأنشوطة أخرى ، وأصحب بيللي آلن . ثم ألقينا له عصا ، وقبل أن يقذف بها ، كانت الأنشوطة حول رقبته ، وأصبح سهلا أن أربط العصا التي بين فكيه بالحبل .

وما كدنا نشد وثاقه حتى أقلع عن أن يقاوم وعن أن يعوي ، ولم يفعل شيئاً سوى أن حدق في هدوء كأنما كان يقول لي : « لقد ظفرت بي أخيراً ، فاصنع بي ما يحلو لك » . ولم يعد يعيرنا التفاته ، فأوثقنا رباطه ، ونزعنا عنه المصايد . وبجهد ما استطعنا أن نحمله ، وهو ١٥٠ رطلا ، إلى حصاني .

ولما بلغنا منزل الضيعة وضعت حول عنقه طوقاً وثيقاً ، شد إلى عمود بسلسلة ثقيلة ، ثم فككنا عنه كل قيوده ، ووضعت بإزائه لحماً وماء ، ولكنه لم يعبأ بشيء منه . وكان — حين ألمسه — لا يحرك حتى عضلة واحدة من عضلاته ، بل كان يشيح عني ، ويتخطاني ببصره وهو يرمي الوادي بطرف شاخص إلى الارض المنبسطة أمامه ، إلى المملكة التي استمتع بها طويلا ، بالصيد وبالنصر ، وظل رابضاً حتى مغرب الشمس .

لقد قيل إن الأسد إذا قامت أظفار بأسه ، والنسر إذا استبيحت حريته ، وذكر الحمام إذا فقد زوجه ، ماتت كلها كمداً . فمن ذا يخبرني : كيف استطاع هذا اللص العنيد أن يحتمل فقد هذه الثلاثة جميعاً ؟ لم أتبين من ذلك شيئاً : إلا أنني ألفيته في الصباح كما تركته ، سليم الجسم من الجروح ، ولكن روحه قد فارقت ، ومات الملك الذئب .

وجاء أحد رعاة البقر يعينني على أن أحمله إلى حيث استقرت بقايا بلانكا . وحين وضعنا لوبو إلى جوار زوجته وجه إليه الراعي نظره وقال : « ههنا أنت ... لقد كنت جهدت أن تكون إلى جوارها، والآن ها أنتما معاً » .

إســمعوا ! إســمعوا

إن تكن الأذن البشرية، على ماهى عليه، كليلة ثقيلة — ونحن المتحضرين أبناء هذا العصر لا نكاد نسمع بدقـــة كما يسمع المتوحشون — فهى مع ذلك خليقـــة، إذا دربت على دقة السمع، أن تضيف ثروة لا حد لهـا إلى عالم حواسنا. فينبغى للمرء أن يتعلم كيف يسمع، فإن جدوى المثابرة على ذلك تتمثل فى خبرة الأعمى الذى يكاد سمعه المرهف يعوض عليه فقد البصر. ففى ذات مرة كان القاضى الأعمى « فيلدنج » من قضاة المحكمة العليا بالولايات المتحدة، يجتاز عتبة غرفته لأول مرة فقال : « طول هــــذه الغرفة ٢٢ قدما، وعرضها ١٨، وارتفاعها ١٢ ». وقد حدس هذا بأذنه حدساً بالغاً فى الدقة، وذلك بفضل قدرته على الانتباه إلى رجع الصدى الذى تمتاز به كل غرفة عن أخواتها، واتخذ ذلك أساساً للحكم على حجمها. ومثل هذا الحس المرهف يتمثل فى السير آرثر بيرسون الكفيف البصر، فقد صحب صديقاً له فى عودته إلى منزله، وقد أغمضا فى الحديث حتى شغلهما، ولكن السير آرثر وقف أمام المنزل المقصود فى حين أن صديقه كاد يتجاوزه من شدة استغراقه فى الحديث، فإن أذن السير آرثر كشفت رجع الصدى الخافت الذى يألفه، ذلك أن مدخل هــــذا المنزل كان ردهة مسقوفة، ولم يكن فى سائر المنازل المجاورة منزل يشبهه.

من كتاب السير وليم براج « عالم الصوت » وكتاب السير آرثر بيرسون « التغلب على العمى »

* * *

فى وسعى أن أتبين سائلا : أهو بارد أم ساخن، من الاختلاف البين فى الجلبة التى يحدثها عند صبه.

لودج كوهين فى كتابه « مطالعات باللمس للعميان »

* * *

كتب فريتز كريزلر عازف الكمان الشهير يقول : « لما كنت فى الحرب الكبرى بين الجنود المرابطين فى الخنـــادق النمساوية، تعودت أذنى تمييز مختلف الأصوات بعضها عن بعض. فلاحظت أن القنبلة وهى صاعدة تحـــدث صوتاً كالأنين المكتوم يصحبه وقع ينخفض شيئاً فشيئاً، فإذا وصلت القنبلة إلى ذروة مدارها، وبدأت فى الانحدار، تغير صوتها إلى ما يشبه صرخة تتزايد حدتها. وكان من البين أن القنابل التى تحدث الأنين المكتوم هى قنابل نمساوية، لأنه كان يسبقها

دائماً وميض منبعث من مدفعيتنا فى المؤخرة. فلما تقدمنا إلى الخطوط الروسية أصبح الفرق بين الأنين المكتوم والصرخة الحادة أقل وضوحاً ، إذ أن ذروة مدار القنابل النمساوية والقنابل الروسية كانت بطبيعة الحال فى تمام منتصف المسافة التى تفرق بين المدفعيتين . وحين أخبرت أحد ضباط المدفعية أننى أستطيع فعلا أن أحدد من صوت القنبلة المكان الذى تبلغ عنده ذروة ارتفاعها ، قرر إيفادى فى جولة استكشافية لأحدد على الخريطة المكان الذى أرجح وصول قنابل العدو فيه إلى ذروة مدارها . وقد أخبرت فيما بعد أننى نجحت فى إرشاد مدفعيتنا إلى مدى مرمى المدافع الروسية فى مخابئها .

« كتاب أربعة أسابيع فى الخنادق »

* * *

يقول مدير شركة تشايس لصنع النحاس : « إننا نوفر آلافاً من الدولارات بفضل السمع الدقيق المدرب » . فإن رئيس قسم الخرط مثلا يستطيع أن يعلم من صوت الآلة وهى تعمل فى ثقب لوح من النحاس ، هل حدها ماض أو كليل ، بل إنه يستطيع أيضاً إذا جال بين صفوف الآلات والأدوات المختلفة وهى تعمل ، أن يضع يده على كل آلة أو أداة يجب استبدالها . وفى قسم آخر ، حيث تصنع قوالب رقيقة من النحاس ، لتستخدم فى التركيبات الكهربائية ، تستطيع العاملة ، وهى تفرغ هذه القوالب على المنضدة لفحصها ، أن تعلم من جلجلتها أينها قوالب معيبة أو قوالب خالطها شىء من برادة الحديد ، بل إنها لتستطيع أن تعرف : أهناك أى اختلاف فى مقدار سقى الحديد فى هذه القوالب .

مجلة « ليترى دايجست »

* * *

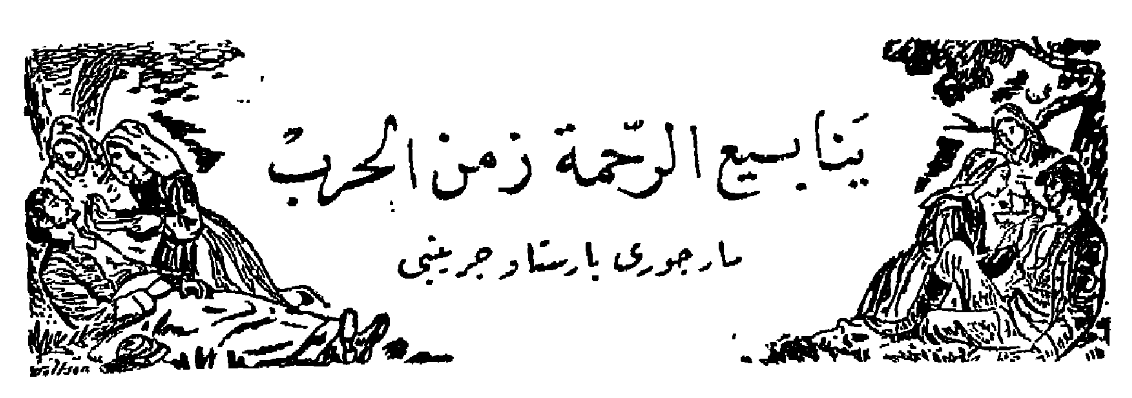
يستطيع من حرم البصر أن يتبين فى الصوت وحده أدق الفروق بين شعور وشعور . فهناك صوت متعب ، وصوت مرح ، وصوت يائس ، بل هناك صوت لكل طيف من أطياف الألم واللذة . إننى أستطيع معرفة عمر الشخص من صوته بالسرعة التى تعرفه أنت بها بعينيك .

كلارنس هوكس من كتاب
« فى الطريق المظلم »

* * *

فى مقدور ذوى الدربة من عمال السكك الحديدية أن يعلموا ، من الاستماع إلى ضجة القطار وهو يجرى على القضبان — وإن كان لا يزال بعيداً — أهو قطار ركاب أو قطار بضاعة ؟ فإذا كان الأخير استطاعوا أن يعرفوا أيضاً أمشحونة عرباته أم فارغة ؟

قصة الجهاد الأول الذى جاهدته النساء لتنظيم العون والغوث فى ميادين القتال



لما بلغت السيدة « حنة والترز » ، من مدينة سوثبورت بإنجلترا ، سن المائة فى السنة الماضية ، سألها الصحفيون رأيها فى المرأة الحديثة المجندة . فقد كانت السيدة والترز آخر من بقى على قيد الحياة من فرقة المجندات فى الحرب الأمريكية الأهلية .

وكانوا فى تلك الأيام ، منذ ٨٠ سنة ، يسمونهن « لجنة السيدات الصحية » ، على أنهن كن فى الواقع فرقة من المجندات الملحقة بالجيش ، يؤدين للجيش كثيراً مما يؤديه الجيش اليوم .

ولم يعرف للجنة الصحية مثيل من قبل فى تاريخ الحروب . كانت معظم أسباب الوفاة فى الحرب ، إلى منتصف القرن التاسع عشر ، ترجع إلى أمراض ناشئة عن سوء التغذية ، وتلوث المياه ، وفساد طرق المعيشة . فكانوا يضربون الخيام غير ناظرين إلى وجود المجارى الصحية ، أو المياه الصالحة للشرب ، وكانت المراحيض غير معروفة .

أما المرضى من الجنود فكان عليهم أن يعنى بعضهم ببعض ، وأما الجرحى فقد ينقلون إلى المستشفيات إذا أمكن ذلك ، وإلا تركوا حيث يكونون ، فإذا تحرك الجيش ترك وراءه من لا قدرة له على مسايرته .

إن مثل هذا الاستخفاف بصحة الجند وروحهم المعنوية كان بالغ الضرر فى جيش نظامىّ صغير ، ولكنه صار ضرراً لا يحتمل حين استجاب المتطوعون فى جيش الشمال إلى نداء لنكولن فى طلب ٧٥٫٠٠٠ رجل فأخذوا يتدفقون ، فى ١٥ أبريل ١٨٦١ ، على مراكز التعبئة التى لم تكن معدة لهذا السيل من الرجال على الإطلاق . فلما حلت بهم حرارة الربيع الشديدة ، نزلت معها سيول المطر المنهمر ، فاكتسحت المجارى من معسكر الجيش ، وقذفت بها إلى نهر بوتوماك . وشرب الرجال من هذا الماء . فلما تفشى المرض تفشياً مريعاً ، كدس بعضهم

فوق بعض فى الكنائس التى لم تكن بها مرافق أو مياه جارية ، وفى أكواخ على شاطئ النهر ، أخليت على عجل من المهاجرين فمات منهم ثمة عدد كبير .

ولم تلبث رسائل الجنود أن وصلت إلى أهلهم ، فهذا رجل قضى ثلاث ليال ممطرة فى إسطبل ، إذ لم يكن ثمت مكان آخر يبيت فيه . وهذا رجل ثان يطلب شيئاً من ماء الكولونيا ليعينه على احتمال روائح المجارى المكشوفة ، والفضلات ، وقمامات المعسكر المكدسة . ولا يكاد يمضى يوم لا تأتى فيه أخبار بموت شاب من القرية أو الجيرة .

وأخذ النساء ، فى جميع أنحاء البلاد ، يجتمعن فى الكنائس والمدارس والبيوت ، ويتلو بعضهن على بعض الرسائل التى تلقينها من المعسكرات .

وفى أواخر الربيع وزعت نشرات وقعتها اثنتان وتسعون سيدة من فضليات السيدات بمدينة نيويورك ، تدعو إلى اجتماع عام فى كوبر يونيون . فاجتمع فيه ما يزيد على ٤٠٠٠ سيدة ، مصممات على إصلاح تلك الحال . وقد نسقن أنفسهن فى جمعية صادقة العزم ، سمينها « جمعية السيدات المركزية للإسعاف » ، وضممن إلى جمعيتهن ما يماثلها من جمعيات النساء التى انتشرت فى جميع أنحاء البلاد .

وقد أوحت أعمال البطولة التى قامت بها « فلورنس نيتنجيل » فى تمريض جرحى حرب القرم ، منذ ست سنوات مضت ، إلى الآنسة دوروثيا ويكس ، وهى امرأة من نيو إنجلند ، زرقاء العينين ، مهيبة الطلعة ، فذهبت إلى وشنطن حيث ظفرت من مكتب الرئيس لنكولن بأمر لإعداد مائة ممرضة للجيش ، وبعثت بهذا الأمر إلى جمعية السيدات المركزية مع التعليمات الآتية : « أن لا تكون الممرضات أقل من الثلاثين ، وأن يكنّ لا دميمات ولا جميلات ، وأن تكون ملابسهن من اللون الأسود أو الأدكن ، وأن لا يتخذن زينة لملابسهن أو شعورهن ، وأن لا يلبسن شيئاً من الحلى » .

وشرعت مندوبات من جمعية السيدات المركزية فى زيارة وزارة الحربية يوماً بعد يوم ، يحملن بيانات مستفيضة عن مآسى المعسكرات وأخيراً ضاق رجال الوزارة بهن ذرعاً وقالوا : « أطلقوا النساء على هذه الفوضى المتداخلة ، وانظروا هل فى طاقتهن أن يلممن شعثها » .

وفى التاسع من شهر يونيو ، وافق وزير الحربية على تعيين لجنة صحية للولايات المتحدة للإشراف على صحة الجيش وسلامته .

وكان من أول جهودها الموقتة

أن أنشأت « مستشفيات الميدان الخشبية » المعروفة ، فأقيمت من تسع وحدات ، فى كل واحدة منها خمسون سريراً ، نظمت فيها التهوية من ناحيتين متقابلتين . ولما كان عماد هــذه المستشفيات هو الألواح الخشبية الخفيفة ، كان من المستطاع إعدادها فى الحال ونقلها بالسفن إلى أية جهة .

وقد تولى النسـاء الإشراف على هذه المستشفيات ، وأعددن إلى الفراش أولئك الناقهين من الجنود الذين كانوا يقومون إلى ذلك الوقت بأعمـال التمريض . وقد استقبل الجند الممرضات فى دهشة، واستولى الخجل فى أول الأمر عليهم كما استولى عليهن. وقصت الآنسـة لويزا ماى ألـكوت ما قالت لها رئيستها حين جاءوا ببعض الجرحى: «تعالى ياعزيزتى ! اخلعى عنهم جواربهم وستراتهم وقمصانهم ، وأحسنى تنظيف أجسـامهم جيداً ، وألبسيهم قمصاناً نظيفة ، وسيتولى الخدم إتمام نظافتهم ونقلهم إلى الفراش » .

فشهقت الآنســـة ألـكوت قائـلة : « أتطلبين إلىّ أن أعنى على الفور بنظافة عشرات من الرجال « أسياد المخلوقات» ؟ ! حقاً إن هذا شىء لايتصوره العقل ! » . على أنها نبذت ، رغم ذلك ، ما يخالج نفسها من التحرج ، وأقبلت على عملها .

قالت الآنسـة ألـكوت : كان بعض الجرحى يستسلم إلىّ كما يستسلم الطفل النائم فيسندون رءوسهم المجهدة إلى صـدرى ، ويتجلى على وجوه بعضهم الاستنكار الشديد لهذا العار ، واحمرت وجوه كثيرين من أشـداء الرجال خجلا واستحياء ، كأنهم عذارى خفرات » .

وســتذكر السيدة حنة والترز إلى يوم مماتها — وهى آخر من بقى على قيد الحياة من هؤلاء البطلات الجريئات — يوم ٥ يوليو سـنة ١٨٦٣ . فقد كانت راكعة تصلى فى كنيسة صغيرة فى إحدى ضواحى بلطيمور، فإذا ضجة بين المصلين ، وإذا القس يصيح : « على الممرضات ورئيساتهن ، وعلى جميع النساء اللواتى يستطعن القيام بالخدمة فى هذا الوقت العصيب، أن يقدمن أنفسهن إلى مقر اللجنة الصحية للخدمة فى جيتسبرج » .

وتقدمت السيدة حنة ، التى كانت تعمل فى مركز اللجنة اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، كما هى بملابس يوم الأحد . وعلمت أن فى ميدان القتال بجيتسبرج ، حيث ظلت المدافع تدمدم ثلاثة أيام ، ١٨٫٠٠٠ رجل بين جريح ومجهد منهوك ، ملقون فى الشمس المحرقة لا يعنى بهم أحد .

وكان الخط الحديدى قد نسف ، ولم يتمكن القطار من الوصول إلى جيتسبرج إلا بعد ظهر يوم الثلاثاء ، فحاصره الجرحى

والمنهوكون من الجنود ، وهم يجرون أنفسهم جزاً ، صامتين مجهدين ، بلغ منهم الإعياء والجوع والظمأ كل مبلغ . وشرع النساء من فورهن فى توزيع مرق لحم البقر ، واللبن الممزوج بالكحول ، وعصير البرتقال البارد ، وأخذوا فى تضميد الجراح ، ووضع الجبائر على العظام المكسورة .

وأقام النساء فيما بعد ، على أثر وصول أمداد من وحدات أخرى من فيلا دليفيا ونيويورك ، مدينة من الخيام البيضاء ، فيها أفران ، وأجهزة بخارية ، ومياه مجتلبة من الآبار والعيون القريبة. وأخذن على عاتقهن توزيع أطنان من الثلج ، والليمون ، واللبن ، واللحم ، والخضر ، والملاءات ، والفوط ، والملابس ، والأدوية ، التى كانت تصل من المدن المجاورة .

ومضى النساء فى عملهن طوال أيام شهر يوليو الحارة ، يجسن خلال مسافات شاسعة من ميدان القتال ، يحملن الجرحى المتروكين فى الغيطان والغابات والحفر ، فإذا فرغن من عملهن قوضن خيامهن ، وتركن الميدان مكرمات يصحبهن حرس حربى .

لم تكن جيتسبرج نقطة تحول فى الحرب فحسب ، بل كانت أيضاً النصر الحاسم الذى أحرزه النساء الأمريكيات فى حربهن المقدسة للإسعاف المنظم ، الذى يجب أن يتبع الجيش ، فنبت من هذا الغرس نظام من أجل النظم الإنسانية فى العصور الحديثة . وراقبت أوروبا عملهن ، وأذاعت أنباءه لجنة دولية اتخذت مقرها فى جنيف بسويسرا . وفى السنين الأخيرة من الحرب ، تدفقت التبرعات من إنجلترا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وشيلى ، والأرجنتين . وكثر التساؤل عن الوسائل التى تتخذ لإنشاء ما يماثل هذه الفرق فى الجيوش الأوروبية ، وأدى هذا الاهتمام بعد سنين قليلة إلى تأسيس جمعية الصليب الأحمر الدولية .

وترى اليوم على قطعة الرخام الأبيض المثبتة على دار الصليب الأحمر فى وشنطن هذه الكلمات :

« أنشئت إحياء لذكرى نساء الحرب الأهلية » .

وكتب أحد المؤرخين الذين تتبعوا تاريخ اللجنة ، أن عملهن « يسطع سناه زاهياً ناضراً على الزمن فى ظلمات تاريخ النضال القومى ، جعله الله مناراً يعصم من الخطر ، ويهدى إلى النجاة ، ويشد عزائم من قد يدهمهم بلاء الحرب فى العصور المقبلة ، وفى البلاد الأخرى » .

المقال الذى فاز بجائزة بولتزر لأفضل « ريبورتاج » صحفى

جراحة فى غواصة



جورج ولر

ملخصة عن صحيفة « شيكاجو ديلى نيوز »

«إنهم ينشقونه الأثير (المخدر) الآن!» بهذا تهامسوا فى حجرات الطربيد فى مؤخر الغواصة . « لقد غاب عن رشده ، وهم يتهيأون لفتح بطنه » .

وتقدم رجل إلى القائم على تحريك ضوابط الغوص وقال: احرص «يا جيك» على أن تبقى الغواصة مستقرة لا تضطرب ، فإنهم قطعوا أول قطع وهاهم يتحسسون باحثين عنها الآن

أما « هم » فنفر من الرجال قد أدخلوا أذرعهم فى أكمام بيجاماتهم التى ارتدوها مقلوبة فجعلوا صدرها ظهرها ، وقد تلثموا بالشاش المعقم ، فحجب كل تعبير فى ملامحهم ، غير الصرامة التى كانت تنبعث من أعينهم . أما « ما يتحسسون » فزائدة دودية حادة الالتهاب فى جوف « دين ركتور » البحار ، فقد كانت وخزات الألم بلغت مبلغاً لا يكاد يحتمل فى اليوم السابق ، وهو يوم عيد ميلاده التاسع عشر .

وكان مقياس العمق ، وكأنه من ضخامته ساعة مصنع ، يبين لهم أين هم . كانوا تحت سطح الماء ومن فوقهم مياه الأعداء، تهدر فيها جيئة وذهاباً ، مراوح محركات المدمرات اليابانية .

أما أقرب جرّاح بحرى إليهم ، فعلى ألوف من الأميال . ولم تكن ثمة وسيلة تحول دون انفجار الزائدة ، ولم يبق لرجال الغواصة بد من أن يجروا له عملية جراحية بأيديهم ، وهذا هو ما فعلوه .

كان الجراح الأول ، مساعد صيدلانى ، فى الثالثة والعشرين واسمه هويلر ليبز ، وقد خدم ثلاث سنوات فى مستشفى فيلادلفيا البحرى، وكان اختصاصه القيام على آلة تسجل ضربات القلب ، فشهد أطباء الأسطول مرة أو مرتين وهم يستأصلون الزائدة .

وبدت هناك صعوبة فى تنشيق الأثير . فتحت سطح الماء يكون الضغط الجوى

أعظم منه فوق السطح ، فمقدار ما يستنشق من الأثير يكون أكبر . وكانوا لا يدرون الأمد الذى تستغرقه العملية ، وهل يكفى ما عندهم من الأثير لحفظ المريض متخدراً فاقد الوعى ؟

واتفقوا على إجراء العملية فى حجرة الضباط ، وهى ضيقة لا تزيد فى أوسع الغواصات الأمريكية على قمرة من قمرات السفن التجارية ، وعلى جوانبها مقاعد مثبتة فى الجدران ، والمائدة تشغل الحجرة كلها ، فأنت تدخلها ، ثانياً ركبتيك إلى أن تجلس ، على أن المائدة كانت من الطول بحيث لا تتدلى منها قدما المريض .

ربما كانت هذه العمليـة أكثر العمليات التى أجريت حتى الآن ، ديمقراطية . فقد اشترك فيها كل من فى السفينة ، من القائم على قذف الطربيد إلى الطاهى ، وكل منهم يعزف مهمته . فهيأ الطاهى كمامة نشق الأثير وقد اتخذها من مصفاة مقلوبة للشاى ، كسيت بالشاش المعقم ، وكان مساعدو الجراح رجالا أكبر منه سناً وأعلى رتبة ، والذى تولى إعطاء المخدر كان الملازم فرانز هوسكنز ضابط المراسلات .

وقبل أن يحملوا ركتور إلى حجرة العملية ، طلب قائد الغواصة من ليز أن يتحدث إلى المريض فى أمره . فقال له ليز :

« اسمع يا دين . إننى لم أجر شيئاً كهذا من قبل ، وليس لك سوى أمل ضعيف فى النجاة ، فما قولك ؟ »

فأجاب : « إننى أعرف حقيقة الأمر يا دكتور . فلنمض » . وكانت هذه أول مرة فى حياة ليز دعاه فيها إنسان ما « دكتوراً » .

فأحكم القائمون بالأمر وضع أقنعة الشاش على وجوههم ، وشد لهم آخرون ربط « بيجاماتهم » ، وكانت الأدوات المنثورة أمامهم بعيدة عن الكمال والتمام فلا تفى بما تحتاج إليه إحدى العمليات الكبيرة . فالمشرط مثلا كان بغير مقبض ، ولكن رجال الغواصات متعودون « تجهيز » ما يحتاجون إليه مما يتاح لهم ، ففى صندوق الأدوية مشابك تصلح لإغلاق أفواه العروق ، فصنع المهندس الميكانيكى مقبضاً للمشرط من أحد هذه المشابك .

وسحقوا أقراصاً من السلفانيلاميد لاستعمالها مطهراً ، ولكن لم يكن لديهم أدوات لإبقاء الجرح مفتوحاً بعد شقه . ولم يجدوا فى صندوق الأدوية ما يقوم مقامها . فاتخذوا ملاعق مصنوعة من معدن لين لا يصدأ ولا يتأكل ، وثنوها حتى أصبحت قائمة الزوايا واستعملوها لهذا الغرض .

وأما مواد التعقيم فقـــد عمدوا إلى طربيدات نحاسيـة اللون مدهونة بالشحم ملقاة إلى جانب أنابيب الطربيد، واحتلبوا الـكحول من خلال جهازها الميكانيكى، واستعانوا به كما استعانوا بالماء المغلى.

وأزفت ساعة العملية، فاستلقى ركتور على المائدة، شاحب الوجه، وأدخلت يدا الطبيب الشاب فى قفازين من المطاط مغموسين فى عصارة الطربيد، وكانت أصابع القفازين طويلة، فتدلت الأطراف مسترخية، فسخر أحدهم منه قائلا: « ما أشبهك بميكى ماوس يادكتور! » فشد ليز على أسنانه من وراء القناع ونظر فى عينى مساعده، وأومأ إليه فوضع هوسكنز قناع التخـــدير على وجه ركتور.

واتبع الجراح الطريقة القديمة فى القياس باليـد، فوضع بنصره على سرة ركتور وإبهامه على راس عظمة الورك، وأنزل سبابته مسدده إلى مسقطها، فوقع على المكان الذى ينبغى ان يقطع فيه.

ووقف إلى جانبه مساعده الملازم نوفيل وارد، وكانت مهمته أن يضع الملاعق فى جنب ركتور كلما مضى ليز فى قطع طبقات متراكبة من العضل. وقام المهندس الملازم مانتج بمهمة من تعرف فى حجرة العمليات بوصف « المرضـة الحوالة »، فأشرف على انتظام وصول حزم الضمادات المطهرة، وكحول الطربيد، والماء المغلى. وتولى الربان فيرال وظيفة العداد، فكانت مهمته أن يحصى الاسفنجات والملاعق التى تدخل جوف ركتور.

واستغرق ليز عشرين دقيقة حتى وقع على الزائدة، فهمس بعد الدقائق الأولى: « لقد تحسست جانباً من المعى الأعور، وها أنا أتحسس الجانب الآخر ». وسرى الهمس بالتقارير الطبية إلى حجرة الآلات ومساكن الملاحين: «لقد تحسس الدكتور جانباً من شىء ما . . .، وهو يتحسس الجانب الآخر.»

وبعد قليل من البحث تمتم ليز: « أظن أنى قد عثرت عليها. أنها معقوصة فى المعى الأعور ».

والآن كانت حياة زميله فى يديه.

« إسفنجتان أخريان ».

فسجل الربان فى مفكرته: «اسفنجتان أخريان فى الساعة ٤٥ : ١٤ ».

وطلب ليـز مصابيح كشافة أخرى ومصباحاً آخر من مصابيح القتال.

وبدأ وجه المريض يتقطب متجهماً، فأمر الدكتور: زيدوه من المخدر.

وبدا الريب فى وجه هوسكنز: فإن مقدار الأثير أخذ يتضاءل، ولـكن الشاش

شبع مرة أخرى، وتصاعدت الأبخرة فأثقلت رءوس الرجال .

وأزفت اللحظة التى أشار فيها الطبيب إلى الإبرة ، وفى سَمها وتر معى معالج بالكروم . وأخرجت الإسفنجات والملاعق واحدة بعد واحدة . ولكن الربان وكز ليز مشيراً إلى جدول الإحصاء ، فإن ملعقة واحدة لا تزال مفقودة . فأولج يده فى الجرح لآخر مرة ، وأخرج الملعقة وأغلق الجرح وخاطه،وقطع الخيط بمقص أظافر . وفى هذه اللحظة جف آخر ما فى وعاء المخدر .

وحمل ركتور إلى سريره ، وبعد نصف ساعة فتح عينيه وقال : « إنى لا أزال على قيد الحياة ، أتململ » .

وقد استغرق الجراح الهاوى ساعتين ونصف ساعة فى إجراء عملية تستغرق فى العادة خمساً وأربعين دقيقة . وقال ليز معتذراً : « إنها ليست من عمليات الزائدة الهينة » .

وبعد ثلاثة عشر يوماً عاد ركتور إلى القيام على أجهزة الصوت ، فى حين قامت زجاجة على رف من رفوف الغواصة ، وقد استقرت فيها زائدة دودية استؤصلت فى لجج مياه الأعداء .

امتحن ذكاءك

أخذ فلاح سلة بيض إلى المدينة ليبيع البيض . فقال له الزبون الأول : أشترى نصف ما فى سلتك من بيض ونصف بيضة زيادة . وقال الثانى : أشترى نصف ما بقى فى سلتك من بيض ونصف بيضة زيادة . وقال الثالث : أشترى نصف بقية البيض ونصف بيضة زيادة . فأتم الفلاح الصفقات الثلاث بغير أن يكسر بيضة ما . فما عدد البيض الذى كان فى السلة أولا؟. [الجواب فى صفحة ٧٢]

● النكات القديمة هى أبرع النكات . خذ مثلا قصة الرجل الذى حكم عليه بالإعدام شنقاً ، فسئل قبل إعدامه ، هل عنده أمنية يعرب عنها فقال : نعم ياسيدى ، عسى أن يكون فى هذا عبرة لى !

أمريكىّ ويابانىّ يتصارعان

چون ى. تينان

سأذكر دائماً تلك المصارعة التى دارت بين الكابتن وارين كلير من ضباط الجيش الأمري[كى] وبين بطل الجيش اليابانى فى الـ «چوچى تسو» (المصارعة اليابانية) — فى مباراة شرط فيها ألا تنتهى إلا بالضربة القاضية.

وبداية الأمر أن وزير الحربية الجنرال أوجاكى سأل كلير أن يوضح لهم فى الأكاديمية الحربية بطوكيو كيف تكون تلك الرياضة الأمريكية الغريبة — يعنى الملاكمة. فوافق الملحق الحربى الشاب، على أن يسمح له لقاء ذلك بأن يطلع على وسائل الجيش اليابانى فى تعليم الـ «چوچى تسو». فقال له الجنرال: وهو كذلك، سأهيئ لك مباراة بينك وبين خبير فى الـ «چوچى تسو».

ثابرت فى الأسبوعين التاليين على تدريب كلير بضع دقائق كل يوم، ومن حسن الحظ أنه كان قد مارس الملاكمة بعض الممارسة كهاو، وظل محافظاً على هيئته وقوامه. ولم أكن أعتقد أن هذه المباراة ستخرج عن أن تكون مباراة ودية يعتمد فيها الخصمان، فى الهجوم والدفاع، على قبضة اليد.

وفى اليوم المتفق عليه ذهبنا إلى ملعب الأكاديمية الكبير حيث قدمنا الجنرال أوجاكى إلى الأمير ولىّ العهد، الأمبراطور الحالى، وقد أثار مجيئه لمشاهدة المباراة دهشة كبيرة. ومن خلف هؤلاء العظماء، تكدس نحو من ٤٠٠ ضابط فى ملابسهم الرياضية القصيرة. وقد أدهشتنى قاماتهم المديدة — فإن أكثر من نصفهم يزيد طوله عن ست أقدام، وهم أقوياء مفتولو العضلات قد لوحتهم الشمس — هؤلاء جميعاً هم الذين سيصبحون عند عودتهم إلى فرقهم مدربى الألعاب الرياضية المختلفة. ثم ما لبث أن لحق بهم بعد قليل نحو من ٤٠ ضابطاً عائدين لساعتهم من المناورات. أما هؤلاء فرجال قتال، على وجوههم أمارات الشر، عراة إلا من السراويل القصيرة، وأحزمة الرصاص، والخوذات الفولاذية.

ونادى الجنرال أوجاكى ضابطاً يبدو أنه من أصلب هؤلاء الضباط عوداً ، وقدمه إلى الكابتن كلير : « هذا هو الكابتن كيتا مورا بطل الجيش اليابانى فى الـ « جوجى تسو » ، هذا هو غريمك! »

مد كلير له يده ، ولكن اليابانى لم يتناولها ، واكتفى بأن انحنى له كأنه يركع .

وكنا ننتظر أن تجرى المباراة فى حلقة مساحتها ٢٤ قدماً ، وأرضها مغطاة بقماش القلوع ، وأعمدتها مكسوة باللبد . ولكن كيتامورا اعترض على ذلك ، فإن ما أراده بطل الـ « جوجى تسو » كان شيئاً على الضد منها تماماً : رقعة أكثر اتساعاً ليتمكن فيها من مطاردة خصمه ، وأرضاً صلبة ليصرعه عليها . وبالرغم من احتجاجات كلير ، قرر الجنرال فى رقة وأدب أن يكون لمواطنه ما أراد .

وكان لكلير أن يختار أحد نوعين من القفازات : إما القفاز الكبير ووزنه ١٢ أوقية ، وإما القفاز الصغير الذى يستعمل فى ملاكمات المحترفين ووزنه ٦ أوقيات . ولما رأيت كلير يختار القفاز الكبير لم أكد أفهم غرضه ، ولكن سرعان ما أدركته حين أبى عليه كيتامورا بأصرار أن يختار هذا القفاز الكبير . وقد قال لى كلير فيما بعد : « لقد كنت واثقاً من أنه سيعترض على أى القفازين اخترته ، فتعمدت اختيار الكبير أولا » .

وكان كلير قد قدم من قبل للجنرال أوجاكى مذكرة بين فيها بجلاء شروط المباراة ، وذلك أن تجرى فى جولات ، كل جولة تدوم ثلاث دقائق ، ولا يعلن فيها فوز أحد اللاعبين . فلم يعترض اليابانيون أى اعتراض ، ولكن ها هو الجنرال أوجاكى يتدخل مرة ثانية ويقول : « إن غرضى من ترتيب هذه المباراة هو مواجهة الـ «جوجى تسو» بالملاكمة لنرى أيهما أفضل فى القتال ، ولهذا أفضل أن تجرى هذه المباراة كما لو جرت فى ميدان معركة حربية . فإذا أبحنا للكابتن كيتامورا أن ينتفع بلا قيد بأقصى ما تقدر عليه الـ «جوجى تسو» ، فإن هذا الامتياز نفسه يمنح للكابتن كلير فيما يتعلق بالملاكمة . إن ما أريده هو أن تكون هذه المباراة قتالا حقيقياً لا مجرد استعراض ، ولا تنتهى إلا إذا عجز أحد الرجلين عن القتال ، أو أراد أن ينسحب ، وإلا فقدت هذه المباراة مغزاها ، ولم يستفد منها هؤلاء المتفرجون شيئاً مما كنت أريد لهم أن يدركوا ويستفيدوا .

وهكذا اتفق على أن تدور المباراة إلى أن تنتهى بضربة قاضية ، فى جولات تدوم كل منها خمس دقائق . وإذا سقط أحد

الرجلين ، وتم العدّ فوقه إلى عشرة ، كان مغلوباً .

وتقدم ضابطان قويان فى مقتبل العمر ليتولى أحدهما مهمة دق الناقوس ، والثانى يتولى ضبط الوقت ، على أننى أسرعت فأخرجت ساعتى أنا أيضاً ، وجعلت أخصها بكل انتباهى .

أشار الجنرال إلى دائرتين مرسومتين بالطباشير، تبعد إحداهما عن الأخرى عشرين قدماً ، وقال :

« سيقف كل منكما فى دائرته إلى أن يقرع « الجونج » — صينية من البرونز تدق بمطرقة — وعندئذ تهجمان » .

أما كيتامورا فمثل رائع للقوة البدنية ، يبلغ طوله ست أقـدام وبوصة ، ووزنه ٢٠٠ رطل ، ذو كتفين عريضتين قويتين ويد صـلبة كالحديد ، خشنها التدرب على كسر ألواح الخشب بحافة الـكف . وكان يرتدى لباس المصارع اليابانى ، وهو جاكتة من قماش القـلوع بنصف كم ، وسروال قصير قد شمر عن الساقين .

أما كلير فطوله ٦ أقدام ، ووزنه ١٨٥ رطـلا ، وهو مثـال رائع للفتى الأمريكى المقاتل ، عضلاته قوية لينـة ، وبطنه ضامر مشدود كأنه لوح من الخشب ، وكان يرتدى لباس البحر .

لقد انفرد اليابانى بميزة نفسية عظيمة ، فهو محاط بما يزيد على ٤٠٠ رجل من رفقائه ، وكلهم تتأجج رغبتهم فى انتصاره . أما كلير فلم يكن له مشجع أو نصـير سواى ، أنا وحـدى . . . ولـكن كان لـكلير مزيته أيضاً : شىء كثير من الثبات ورباطة الجأش وما كان أحوجه إليهما ! بل ما أحوجه إلى أعصاب من حديد يتحكم فيها كما يشاء ، فإنه مقـدم على موقف رهيب . فليست الـ « جوجى تسو » لعبة رياضية ، بل هى ملحمة تعرض المرء للبتر والتشويه ، إذ ليس الذى يرمى إليه أحد الخصمين ، أن يصرع خصمه ، بل إنه يسعى إلى أن يكسر له ذراعاً أو ساقاً ، أو يهشمه ويشوهه إلى آخر العمر .

ودقت دقة « الجونج » .

هذه « معركة » أمام أعيننا — معركة بسيطة أولية . رجلان من أبناء القبائل ، أحدهما أصفر والآخر أبيض ، يمشيان إلى النزال ، ليقرروا أيهما أعرق فى الوحشية . وبدأ الرجلان يتقدمان ويدوران إلى اليمين ، واليابانى على الطرف الخارجى . وكنت أعلم أن كلير يحـذر أن تصـيبه رفسة فى حُقّ لورك (ملتقى البطن بالورك) ، فلم تلبث أن جاءته كالبرق الخاطف ، ورفسه خصمه فى وركه الأيسر ، ولـكنها رفسة انحدرت

قليلا ، فخلفت كدمة حمراء كبيرة . ثم أخذ الياباني يدور إلى اليسار ، فحذا كلير حذوه . وأخذ الفتى الأمريكي يقذف بين حين وآخر بضربات مستقيمة ليمنع خصمه من الدنو منه كثيراً . وتجلت فى كيتامورا ثقته بنفسه تمام الثقة ، بل لعله كان ينظر إلى خصمه بازدراء . كانت أحشائى تضطرب من الخوف ، وأنا أراقبه يدب ليختل فريسته ويطاردها — هذا هو الصراع بعينه بين هجوم وصد ، وضرب ورد ، وفى كل لحظة حيلة خبيثة وخدعة ماكرة . ثم إذا بكلير يضرب خصمه ضربة مستقيمة على حنجرته لم تكن على مرام اليابانى ، فقد اغرورقت عيناه لها بالدموع . فمنذ تلك اللحظة جرّد عزمه على أن يشرب من دم خصمه . وكنت تستطيع أن ترى هذه النية رأى العين ، فقد بدأ يوجه الضربات بكلتا يديه، وإذا بحافة يده اليسرى ، وهى صلبة كالحديد تصيب كلير فوق عينه ، ثم تنحدر على وجهه وتكشط الجلد عن عِرْنين أنفه ، ووقعت يده اليمنى بضربة محطمة على عضلات الذراع الأيسر للفتى الأمريكى ، وكلتا الضربتين شديدة موجعة .

وفى الوقت ذاته أطلق كلير يده اليمنى بضربة قاطعة عالية ، كشطت الجلد عن ذقن اليابانى المدمج القوى ، وكادت تقتلع أنفه . ثم دق الجونج . . يالها من خمس دقائق مرت علينا ! تراجع كيتامورا إلى دائرته وجلس القرفصاء ، والدم يسيل من أنفه ، ولم يحول نظره لحظة واحدة عن كلير .

أما كلير فقد استطالت على جبهته كدمة زرقاء ، وعريت أنفه عن جلدها ، فكان كأنما انهال رجل على وجهه ضرباً بالسوط الغليظ الذى تضرب به الثيران .

قلت له مشجعا : « الحمد لله ! لم يضرب إلى الآن ضربة خطرة ! » فأجابنى كلير : « إذن من هذا الذى كان يعطرنى بحجارة من الصخر ! » .

ودق الجونج . .

فزّ كيتامورا واقفاً وقد تبدلت سحنته الأولى التى كانت تنم على استخفاف الواثق بنفسه إلى نظرة تتوهج بالحقد والعزيمة . وبدأ يدور كرة أخرى إلى اليمين ، وقد زادت سرعته هذه المرة . وأخذ كلير يدور معه ، وهو لا ينفك يباعد خصمه عنه بضربات سريعة ، ويراقبه طول الوقت مراقبة الصقر . .

ولم تكن أعصاب النظارة أقل توتراً واهتزازاً من أعصاب المتقاتلين . إننى لم أر قط من قبل وجوهاً أكثر إبانة وإفصاحاً عن شدة الاهتمام المتسلط على النفوس . كان المكان مسرحاً تمثل عليه

مأساة شعبين تصادما تصادماً صادقاً ، هى صورة مصغرة للفاجعة الكبرى التى كان مقدراً لها أن تمثل فى أتون الحرب . لم يكن كيتامورا يدافع عن كرامته وحده ، بل عن كرامة الجيش الإمبراطورى اليابانى أيضاً ، إنه كان يقاتل لرفعة شرف اليابان .

وفجأة رفع اليابانى يده اليمنى عالياً ، حين كان كلير يمد يده اليسرى ليحمى رأسه من الضربة المتوقعة ، ثم هوى على أضلع خصمه اليمنى بضربة وحشية محطمة حتى لقد أفرغت الشهقة المنفجرة ، كل ما فى رئة الأمريكى من هواء . وكان يبدو أن اللحظة التالية ستكون هى النهاية الحاسمة .

ولكن أمرين أنقذا كلير ، الأول : صحته ومقاومته الرائعة ، والثانى . أن اليابانى اضطر إلى أن يميل ميلا شديداً إلى الأمام فاختل بذلك توازنه ، وأصبح من المتعذر عليه أن يطبق قواعد الـ « جوجى تسو » ، فيضم كلير إليه فى ضمة تكون هى القاضية .

استطاع كلير ، بشكل ما ، أن ينفض عنه آثار الأذى الذى أصابه ، وأخذ يرقص حول عدوه ، إلا أننى لاحظت أن المسافة بين الرجلين أخذت تتناقص قليلا قليلا ، وأن اليابانى يتقدم هذه المرة وهو ينوى القتال .

وفجأة ناول كلير ضربة أخرى فى حق ورِكه ، ولكن هذه الضربة أخطأت أيضاً موضعها ، فانحدرت عنه قدر إصبع واحدة ، وكان جزاؤه على ذلك أن ناوله كلير ضربة جانبية شمالية زاد بها تصبب الدم من أنفه .

تملك الغضب كيتامورا ، وجعل وجه كلير هدفاً للطماته ، وأخذ يضرب بيديه ضرباً أكثر مما اعتاد مصارعو الـ « جوجى تسو » أن يفعلوا . لقد كان يعلم أن هذه الضربات بحد الكف جد مؤذية .

ولكنه تلقى لقاء ذلك درساً علمه بعض بسائط الحيل فى الملاكمة الأمريكية ، هى توجيه الضربة المزدوجة . فقد صده كلير بيسراه ، وناوله بيمناه ضربة قاطعة محكمة على عظمة الخد ، فاهتز لها اليابانى أى اهتزاز . ورأيت دلائل الخوف تلمح على وجهه لأول مرة .

وعندئذ ارتكب كلير أول خطأ جسيم فى التقدير ، فإنه كان لا يغفل عن الابتعاد راقصاً كلما ناول ضربة ، حتى لا يمكن خصمه من أن يجذبه فيمسكه ، طبقاً لأصول الـ « جوجى تسو » فى ضمة قاضية . ولكن خيل إليه هذه المرة أنه يرى خصمه منكشفاً أمامه ، والمنفذ إليه لا ريب فيه ، إذ كان يبدو أن اليابانى قد أصابه الدوار . فتظاهر كلير مرة أخرى بأنه يوجه ضربة بيسراه

تمهيداً ليناوله ثانية ضربة صادقة بيمناه ... وكاد بذلك يخسر المباراة، إن لم يخسر حياته!

استطاع كيتامورا ، بفضل مواهبه التى أرهفت فيه غريزة القتال ، أن يدرك سر تلك الضربة المزدوجة بمجرد أن رآها . ثم دلته غريزته كمقاتل أصيل — وكأن هذه الغريزة حاسة سادسة عنده ! — أن يتوقع تكرار الضربة .

لقد أنضجته دربة السنين الطوال على انتزاع الفرصة من بين براثن الهزيمة إذا أوشكت أن تحل به . فلما امتدت ذراع كلير اليسرى ، كان كيتامورا مستعداً له أيما استعداد . فقد هجم عليه فى سرعة تخطف الأبصار كوميض البروق ، وإذا بى أرى كلير مطروحاً على ظهر اليابانى ، ثم إذا هو طائر فى الهواء ، ثم إذا هو يهوى على رأسه ويعلو صوت اصطدامه بألواح الخشب الغليظة التى غطيت بها الأرض . وظل كلير راقداً على ظهره لا حراك به .

انبعثت من المتفرجين اليابانيين الأربعمائة صيحة فرح وحشى . أما كتامورا فكان مثالا صادقاً للانسان البدائى فى التعبير عن جذله ، إذ أخذ يقفز فى الهواء ، ويصك فخذيه صكا شديداً .

وبدأ شخص يعد . . واحد . . اثنين . . ثلاثة . . . نظرت إلى ساعتى فرأيت أن الجولة كانت قد جاوزت خمس دقائق ، فأخذت أشير إلى لوحة الوقت وأصرخ محتجاً . . فدق الجونج . ولكن كلير لم يسمعها .

ذهبت إليه لأبذل له عونى ، وكان الموقف حرجا ، ورأيت كرامة الرجل الأمريكى فى هذا الركن من العالم متمثلة فى هذا الجسد المنهدم على الأرض . أخذت عيناه تختلجان ، ثم إذا بهما تنفتحان ، فانحنيت عليه مقتربا منه ، وأمام هؤلاء المئات من اليابانيين وهم يصرخون ويهللون ، لم أتمالك نفسى من الشعور بالمذلة والهوان . سألته : « أتظن أنك قادر على الاستمرار ؟ » ، فكان جوابه : « إن هذا الغم الذى سود وجهك الكريم فأل لا أستبشر به » .

ولما ساعدته على الوقوف لاحظت أنه شاحب اللون، من الصدمة ، ومن الغضب. كانت إصابته بالغة وقد جن جنونه ، وثارت ثائرته ، على نفسه ، وعلى كيتامورا ، وعلى أنا أيضا . . ولكنى ابتسمت جذلا حين رأيته يرمينى بنظرة محنقة ، فآمنت أن هذا الذى يقوم أمامى من سقطته ، إنما هو فتى قوى أصيل . قلت متوسلا إليه : « احرص على الابتعاد عنه بعض الوقت » فأجابنى : «إن اليابانى يكرر دائما ما نجح فيه أول مرة» .

ودق الجونج .

لطم كيتامورا نخذيه مرة أخرى، وانسلّ من دائرته كأنه نمر جائع ، وهو واثق بل مزهوّ بنفسه ، لم يعد يخامره من خصمه أقل خوف . وتقدم حتى اقترب من كلير ، ثم أدار له ظهره وتولى عنه ضاحكا . فهلل له المتفرجون وانفجروا ضاحكين ... صاح فيه كلير باليابانية: «باكا ــ نو ــ يو ــ نا» (كل هذا لا يعنى أكثر من : «يامغفل»، ولكن اليابانى يرى فى هذا الوصف أوجع إهانة) .

التفت كيتامورا مسرعاً ، وواجهه وقد انتفخت أوداجه من الغضب ، وكشر عن أنيابه بالكراهية والافتراس . وتوالت ضرباته بيسراه على وجه كلير ، فأصابه فوق العين نفسها . وعبر جمهور النظارة عن استحسانهم لهذه الفعلة وتصويبهم لها بشهقة عالية .

بدأ كيتامورا يقترب ، وهو يدور شيئاً فشيئاً ، وعلى وجهه عزم المصمم على القتل . . وهنا مالت النظارة إلى الأمام تكاد عيونهم تثب من محاجرها . ولم يكن كلير أقل منهم شعوراً بأن النهاية قد اقتربت ، فقد رأيته يشد من نفسه ، ويمد يده اليمنى حذاء صدره . ولست أعتقد أن اليابانى أدرك مغزى وضعها هذا الوضع .

أخذ كيتامورا يكيل الضربات بكلتا يديه على ذراعى خصمه وعلى رقبته وعلى وجهه ، وعلى حيثما وقعت يداه . وكل ما فعله كلير هو أنه ثبت ليتلقى هذه الضربات ، ثم مد يده اليسرى مداً هيناً يتظاهر بالضرب . وهذا هو الشىء الذى كان يتوقعه اليابانى ، فقد هجم عليه كالبرق ، وكاد الأمر يصبح تكراراً لما جرى فى الجولة الثانية ولكنه سيجرى فى هذه المرة بلا قومة ولا رجعة . .

ولكن الفتى الأمريكى كان يسبق اليابانى فى التفكير بمقدار خطوة واحدة فحسب ، فبدلا من أن يحدد وقت ضربته المزدوجة ، كما فعل من قبل ، إذا به هذه المرة لايتريث ، بعد أن تظاهر بالضرب بيده اليسرى ، إلا برهة هينة تقاس بأجزاء الثانية ، ثم يهوى على خصمه بيده اليمنى ، وقد أعدها للضربة ، وكان اليابانى هاجماً مائلا عليه ، فوقعت الضربة بأكملها على وجهه كأنها مطرقة . ضربة تسددها حيوية ١٨٠ رطلا من القوة والعضل ، ويشد أزرها معين من البغضاء . هزت الصدمة كيان اليابانى من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وأخذ يتلمس الهواء بيديه على غير هدى ، وخرج تنفسه كالصفير فى رغوة رقيقة حمراء من بين أسنان مهشمة ، ثم هوت القبضة مرة أخرى ، هذه الدفعة من أسفل إلى أعلى ، ضربة قاتلة لا ترحم ، واستقرت محكمة على الفك .

وهكذا تفككت أوصال البطل اليابانى وغشىٰ وجهه الأصفر شحوب باهت . . وهوى كيتامورا على الأرض لا حراك به .

لم يكن ثمة داع للعد ، فقد كانت هذه الوقعة هى غاية النهاية الحاسمة .

قدم الأمير ولى العهد والجنرال تهنئتهما إلى كلير ، ولكن لم يسمع أحد منا ، نحن الاثنين ما قالاه . أما أنا فلأن الفرح قد أطار لبى ، وأما كلير فلشدة إعيائه ، إذ كان يوشك أن يغمى عليه أيضاً ، كما غشى على هذا الذى كان منذ لحظة غريمه .

وأخذ النظارة ذوو الوجوه الصفر يراقبون فى صمت كيان بطلهم الهامد ، وقد تكوّم على الأرض ، وهو يسحب إلى خارج المكان سحباً . . (لم يسمع عنه شىء قط بعد ذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد انتحر على طريقة الهارى كيرى تكفيراً عن هزيمته) .

ودعينا إلى الخروج فى شىء من العجلة ، كأنما خشوا أن يؤدى بقاؤنا لو طال إلى ما لا تحمد عقباه .

قال لى كلير ونحن فى السيارة عائدين إلى دارنا : « لن أفوه بكلمة توقعنى فى مثل هذا المأزق مرة أخرى ، أبداً ما حييت » . ولكن ها هو ذا قد ارتبط مرة أخرى بكلمة صدرت منه فتطوع للقتال فى باتان وكوريجيدور .

واليوم بعد ٢٠ سنة يطيب لى أن أرى فى خاتمة تلك المصارعة الخطيرة العنيفة نبوءة تتنبأ بالنتيجة النهائية للحرب التى تخوض أمريكا الآن غمارها ، إذ يجب أن يستمر القتال إلى أن نصل إلى مثل تلك الخاتمة الحاسمة . فحينما نصرع اليابانيين يجب أن نصرعهم بحيث لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة ، كما فعل صديقى كلير ، بل وأن نصرعهم فى المكان نفسه : فى طوكيو !

توازن القوة

عندما عين روبرت جوردون منزيس رئيساً للوزارة الأسترالية دعا الصحفيين لمقابلتهم والتحدث إليهم . فالتفت إليه أحد مندوبى صحف اليسار وقال : «إننى أفرض يا مستر منزيس أنك ستفاوض الهيئات المختلفة التى تسيطر عليك قبل اختيار أعضاء وزارتك » .

فرد منزيس : طبعاً ، ولكن أرجوك أيها الشاب أن تقصى اسم زوجتى عن هذا البحث !

العقل فى الجنون

ج . هـ . إستبروكس

أستاذ علم النفس بجامعة كولجيت

ملخصة عن مجلة « سينتفيك أميريكان »

لكي ندرك معنى الجنون ينبغي أن نعلم أن جميع الناس إنما يسعون إلى غاية واحدة هي : « السعادة » . وكل امرىء منا لم يزل ينقاد لحلم من السعادة حتى بلغ حالته الراهنة ، وهذا الباعث نفسه هو الذى يرسم له طريق المستقبل . وهذا ما نسميه فى علم النفس « مبدأ اللذة » .

ومهما يبد الأمر غريباً فإن المجانين خاصة ، من بين سائر الناس ، عقلاء ، إذا حكمنا بالنجاح الذى يصيبونه فى هذا المطلب الكبير . فإنهم ، من حيث هم جماعة ، قد بلغوا غاية « السعادة » . خذ مثلا من يعد نفسه « نابليون » فى أحد مستشفيات المجانين ، فهو يكتب لك إذا — ما سألته — شيكا بمبلغ مليون ريال ، أو يقطعك دوقية فى فرنسا ، إذ يعتقد أنه واخر الغنى واسع السلطان ، فتقول : « يا له من مسكين ! إنه مجنون ! » .

إن عقول المجانين تعمل عملها كما تعمل عقولنا إلا أنها تغلو فى ناحية أو تتهالك فى أخرى . إن بنا ميلا شديداً إلى التفكير فيما يسر وتجنب ما يؤلم ، فإذا فحصت أشد أفكارك إيلاماً لك ، فستجد أن أكثرها يهيء لك ناحية من الرضا . فقد يشغل بالك أمر أسرتك التى نزل بها الفقر ، ولكن يصحب ذلك أن ترى نفسك فى صورة بطل مجاهد يسعى لانقاذها ، وقد يرضيك ذلك غاية الرضا . إن « مبدأ اللذة » هو المفتاح الذى يفض لك أسرار الجنون ، وما ذلك إلا أن المجانين قد عرفوا أكثر مما عرف غيرهم ، كيف يتجنبون الألم ، ويظفرون بالسرور . خذ مثلا حالة الجنون الحاد ، وهى أكثر حالات الجنون شيوعاً فترى الرجل يجلس اليوم كله يحدث نفسه ، يبتسم بين الحين والحين ، راضياً كل الرضا عن الدنيا وما فيها . وقد تجد لديه تفسيراً عجيباً لما يزعمه من أن جوفه من الذهب الخالص !! أو أنه على اتصال لاسلكى بكوكب المريخ !!

ولكن لا تنس أنه جد سعيد ، فإنه يعيش فى دنيا من الأحلام ، إلا أن أحلامه هذه هى عنده حقيقة واقعة . ولذلك فلا ينتظر لمثله شفاء فهو ينعم بما هو فيه من جنون ، ويصر على البقاء على حالته هذه . لقد حل المجانين مشكلة الحياة : إنك تريد الثراء — وهم قد وجدوه ، إنك تطلب السلطان — وهذا شاب « هو » عند نفسه نابليون ، وأنت تضحك وتقول : إنه مجنون !! ولكن ما الذى تطلبه أنت ؟ السعادة ، هل ظفرت بها ؟ نعم ، ظفرت ببعضها — على أكثر تقدير — وقد تكون شقياً كل الشقاء . أما هو فراض عن نفسه حتى إنه ليأبى أن يضيع بعض وقته فى التحدث إليك .

إنه مريض لا يمكن شفاؤه ، لأنه لا يريد أن يشفى من سعادته . أفلست ترى بعد ذلك أنه عاقل حكيم ؟ فأنت تكد ، وتجاهد ، وتحمل الهم ، ويغلب أن تنتهى حياتك ، وأنت فى فقر قل أو كثر ؛ أما هو فلا يعمل عملا ، ويهنأ بالطعام ، ولا ينزل بساحته هم ، ويقضى مترفاً من أصحاب الملايين ، نعم ، ولعله ينظر إليك ، ثم يقول : « يا لمسكين ! إنه عاقل ! » .



ملخص من « اسكواير »

شهدت باريس فى ٢٣ مارس عام ١٩١٨ معجزة علمية اتفق جميع الناس ، ومن بينهم أعظم العلماء ، على استحالة وقوعها . ففى ذلك اليوم انفجرت فى قلب المدينة عدة قنابل من مصدر خفى . وكان يبدو أن القول أنها أطلقت من خلف الخطوط الألمانية ، التى تبعد سبعين ميلا ، أمر وهمى ، كالقول أنها جاءت من القمر . ولكن سرعان ما أصبح الأمر الذى لا يمكن تصديقه حقيقة مقبولة .

وكانت السرعة التى بها اكتشف الفرنسيون المصدر الحقيقى للقنابل أمراً يدعو إلى العجب ، كالقنابل الغامضة نفسها . فقد عرفت القيادة العامة الفرنسية موقع المدافع بالتقريب فى خلال ثلاث ساعات عن الانفجار الأول (كانت هناك ثلاث عربات وسبعة مدافع) . وقبل انقضاء ثلاثين ساعة كان رجال المدفعية الفرنسية يأخذون بثأرهم فى إحكام تام حتى اضطر العدو إلى أن يتخلى عن موقع المدفع رقم واحد الذى أطلق القنبلة الأولى .

لم يصب أحد بأذى حين حدث الانفجار الأول بالقرب من رصيف نهر السين ، ولكن حدث بعد عشرين دقيقة أن قتل انفجار ثان، ثمانية أشخاص وجرح ثلاثين، على بعد ميل ونصف تقريباً من مدخل نفق مزدحم بالناس .

وأسرع انتشار أنباء هذه الكارثة فى جميع أنحاء المدينة ، مصحوبة بأفظع الإشاعات ، وكان الرأى الشائع أن القنابل قد سقطت من نوع جديد من طائرات تطير عالياً جداً بحيث يتعذر اكتشافها .

واعتقد آخرون أن الجواسيس الألمان قد استولوا على بعض بطاريات المدفعية الفرنسية ، وأخذوا يطلقون النار من داخل الخطوط الفرنسية .

وظلت الانفجارات طوال اليوم تتوالى، كل خمس عشرة دقيقة، وأخذت الطائرات المدافعة عن باريس تفتش السماء باحثة عن المغيرين. ولـكن سرعان ما نبـذ الخبراء الحربيون فكرة القنابل الجوية، إذ رأوا أن القذائف حين كانت تصيب الأبنية كانت تصيبها دائماً فى الناحية الشماليـة الشرقية، فاستقر الرأى على أنها قنابل مدافع. وقد نفذت قنبلة من جدار أحد الأبنية دون أن تنفجر، حتى حفرت حفرة أيضاً فى أرض البناء. وقـد دلت الثغرتان على الاتجاه الصحيح الذى أتت منه القنبلة، وعلى زاوية سقوطها. فأصبح فى مقدور الرياضيين أن يرسموا مسار القذيفة، وأن يعينوا بالتقريب النقطة التى قذفت منها. ودلت الشواهد على أن هذه النقطة تقع فى ركن من الجبهة الألمانية، يبعد عن باريس ٧٥ ميلا تقريبا، على مقربة من مدينـة لاون. ودلت أيضاً الآلات المكتشفة للصوت على المكان نفسه.

رجع بعد ذلك الباحثون إلى خرائطهم إذ كانت قد صورت منذ عهد قريب صور فوتوغرافية جوية غايةفىالدقة لمنطقة لاون، وفطن الفرنسـيون إلى أن المدفع العظيم الذى يبحثون عنـه يتحرك، ولا بد، على قضبان سـكة حديدية. وقد ثبت ذلك إذ بينت الصور الفوتوغرافية فرعاً صغيراً خارجاً من السكة الحديدية متجهاً إلى بقعة كثيفة الأشجار، قريبة من المكان الذى دلت عليه العمليات الهندسية والرياضية.

اشتعلت حماسة الفرنسيين، وصدر الأمر بنقل مدفعين ثقيلين يتحركان على قضـبان حـديدية إلى ڤاى، حيث أخـذ رجالهما يطلقون النار على المكان الذى قدروا وجود المـدفع القريب به. وبالرغم من أنهم لم يصيبوه إصابة مباشرة، فقد أصابت قنبلة فرنسية شجرة قريبة من المدفع رقم واحد فقتلت ضابطاً وجرحت ستة من رجاله.

ولو أن جاسوساً فرنسياً تجول فى تلك البقعة الـكثيفة الشجر لرأى مدفعاً عملاقاً قد يبلغ ارتفاعه قمة بناء ذى عشرة أدوار، وهو قائم على قاعدة من الصلب يبلـغ ارتفاعها ٢٥ قدماً. وهذا الجهاز الشيطانى الضخم، واثنان آخران مثـله، ركبت فى الغابة بكل تـكتم، هو نتيجة عمل استغرق عامين.

ففى أوائل عام ١٩١٦ استطاع الدكتور فون ابرهاردت، أحد علماء الطبيعة الألمان البارزين، أن يقنع روزنبرجر، المشرف على مصانع «كروب»، بأنه من الممكن صنع مدفع يستطيع أن يرسل قذيفة طولها ثمانى بوصات إلى مدى ٦٠ ميلا. وقد كان مرمى المدافع السبعة التى تم صنعها أخيراً ثمانين

ميلا ، وكان كل منهما دقيق الصنع كالساعة مع أن وزنه يبلغ مئات الأطنان .

وبذل فى إخفاء هذه المدافع من العناية الكبيرة مثلما بذل فى صنعها . فوضعت فى غابة سانت جوبين ، أكثف غابة وجدوها هناك . ومدت إلى موقع كل مدفع من المدافع الثلاثة سكة حديدية . ولكى يضللوا المستكشفين من الجو ، مدوا من السكة الحديدية فرعاً صورياً واضح الوصلات . وهذا الخط هو الذى ظهر فى الصور الفوتوغرافية ، فكان ذلك سبب خيبة رجال المدفعية الفرنسية فى تسديد إصابات مباشرة . أما السكة الحديدية التى استعملت بالفعل فقد أخفيت بدقة تامة ، فلم يقتلع من الأشجار إلا ما كان فى طريق القضبان مباشرة ، ثم ضمت قمم الأشجار العالية بعضها إلى بعض بالأسلاك ، وغرست الأشجار الصغيرة بين الوصلات ، وغطيت القضبان بالحشائش والأغصان ، وبسطت على موقع كل مدفع شبكة من السلك مغطاة بقماش أخضر .

لم يكن الحساب العادى ، الذى يتخذه رجال المدفعية فى تقدير طاقة قذف مدافعهم نافعاً فى الدلالة على إمكان إطلاق القنابل من مدفع فى مثل هذا الحجم الهائل ، فاستعين بعلماء الفلك كذلك . ولما كانت القذيفة ستمكث فى الهواء ثلاث دقائق ، كان ينبغى أن يعمل حساب دوران الأرض ، إذ لا بد من أن يكون الهدف قد تحرك فى هذه المدة إلى الشرق . ويجب أيضاً أن يعمل حساب تحدب الأرض فى دقة تقدير بعد الهدف . وكذلك يجب أن يحسب بدقة حساب كثافة الهواء ، ودرجة حرارته ، واتجاه الريح وسرعتها ، وكذلك درجة حرارة البارود . وقد كان كل مدفع يعاد إلى مصانع كروب ، عقب ٥٠ أو ٦٠ طلقة ، لإصلاحه لما يصيبه من التلف السريع بسبب الحرارة والتآكل .

كانت القنبلة التى تزن ٢٦٥ رطلا تنطلق تحت ضغط مقداره مليون رطل ، وبسرعة مقدارها ميل فى الثانية تقريبا ، وتأخذ سرعتها تقل أثناء صعودها فى طبقات الجو الخفيفة ، حيث مقاومة الهواء أقل ، بفعل الجاذبية الأرضية ، إلى أن تكون على ارتفاع ٢٤ ميلا تقريبا فوق سطح الأرض فتصير سرعتها أقل من نصف ميل فى الثانية ، ثم تزداد سرعتها مرة ثانية أثناء هبوطها حتى تصطدم بطبقة الجو الكثيفة قريباً من سطح الأرض ، حيث تقل سرعتها إلى أن تصل إلى الأرض .

كان واضعو التصميم والقيصر حاضرين حينما أخذ المدفع رقم واحد يطلق قذائفه

الأولى على باريس، ولو كان القيصر قد حضر بعد ذلك بيوم أو بيومين، ليشاهد الطلقات الأولى من المدفع رقم ثلاثة، فلربما كان مجرى التاريخ قد تغير، إذ نسف المدفع وقتل خمسة عشر رجلا.

وقد توقع الألمان أن يكون لهذه المدافع شأن عظيم فى كسب الحرب، كما كان ينبغى أن يكون لها. ولـكن هجوم الحلفاء فى منتصف الصيف بمساعدة الأمريكيين اكتسح خطوط الألمان الخلفيـة، حتى غدت هذه المدافع الـكبيرة عاجزة عن أن تصل قذائفها إلى باريس.

وبصرف النظر عن القتلى البالغ عددهم ٢٥٦ نفساً، والجرحى البالغ عددهم ٦٢٠ نفساً، فإن الضرر المادى الذى سببته هذه المدافع الـكبيرة، كان أقل من تكاليف صنعها التى بلغت أكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر١٤ ريال.

ماذا تم فى أمر هذه المدافع الـكبيرة؟ لقد دبر الألمان أمر إعادتها إلى أرض الوطن أثنـاء تقهقرهم العـام، فلم يرها على الإطلاق أى ضابط أو جندى من الحلفاء، ولـكنهم غنموا عربة من عرباتها التى تسير على القضـبان الحديدية. وقد كان من شروط معاهدة فرساى أن يقدم الألمان جميع مستنداتهم الحربية لأقسام مخابرات الحلفاء، ولـكن جميع هذه المدافع كانت قد سحبت إلى مصانع كروب، حيث صهرت قبل أن توقع المعاهدة. وصدر فى الحال قانون خاص يعـد إفشاء أى بيانات عنها خيانة يعاقب عليها بالموت.

ولم تصل عن هذه المدافع معلومات إلى أيد غير ألمانية قبل عام ١٩٢٥، بفضـل ما لجأت إليه الجاسوسية الألمانية من الحيل الغريبة. ولما وصلت هذه البيانات أخيراً كانت وافية، فشملت حساب الضرب، ويوميات المدفعيين، ورسوماً وصوراً فوتوغرافية.

ولـكن بقى سر هام. فإن البارود الذى استعمل كان يتحمـل درجة من الضغط أعلى مما تتحمله الأصناف الأخرى، ولذلك كان ينفجر بقوة أعظم من قوة أى بارود عرف إلى اليوم. وإن تركيبه الـكيميائى — الذى لم يعثر عليه بين المعلومات الأخرى — هو سر يشتاق أن يعرفه رجال الحرب فى بلاد كثيرة.

النساء كالقلاع، بعضها يؤخذ عنوة بهجوم خاطف، وبعضها لا يعنو قبل حصار محكم طويل. دايفيد اينزورث

الجُرذان

هنرى مورتون روبنسون

ملخصة عن مجلة « أميريكان ميركيورى »

إن من السخرية أن يكون الحيوان الذى يجعل اسمه مرادفاً لكل شىء حقير فى معجم الألفاظ الإنسانيــة ، أشبه الحيوانات بالإنسان فى كثير من الوجوه الجوهرية . وأساس هذا الشبه هو أن البشر والجرذان (الفئران الكبيرة) هما وحدهما الحيوانات آكلة كل شىء ، من لحم وحب وفاكهــة وبقل وبيض وسمك . وإذا لم يجدا من ذلك شيئاً أكل بعضهما بعضاً .

ولما كانت الحيوانات ذوات الثــدى التى تتفق فى أنواع غذائها ، تتشابه فى نظامها العصبى والغــذائى تشابهـاً كبيراً ، كانت الأمراض التى تصيب البشر والجرذان أمراضاً واحدة .

وكلاهما يطيق الحياة فى أى جــو من الأجواء : من حار استوائى إلى بارد قطبى ، فى أحوال تقضى بالموت على غـيرها من المخلوقات . ويذهب هــذا التشابه العجيب إلى أبعد من الملاءمة المادية المحض ، فقــد ذكر هانز زنسر صاحب كتاب « الجرذان والقمل والتاريخ » : « أن موقف الجرذان والبشر من باقى المخلوقات موقف واحــد لا تشوبه اختــلاف . فكلاهما لا فائدة فيه ألبتة لأنواع الحياة الحيوانيــة الأخرى التى يبيدها دون تمييز ، بما ركب فيه من جرأة ووحشية ودهاء » .

ولما كانت عادات الجرذان والبشر فى الأكل متماثلة ، قرر علماء الحياة منذ حوالى خمس وعشرين سنة : أن الجرذ (الفأر) هو أمثل حيوان لإجراء التجارب عليه . ولهذا أنشأوا الآن فى معهد « وســتار » للتشريح وعلم الحياة بجامعة بنسلفانيا ، أبنية خاصة من الصلب والأسمنت المسلح، خصصت لكى تربى فيها وتدرس ســلالة خالصة من الفأر النرويجى الأبيض ، لا تشوبها عيوب أو أمراض . وقد تبين فى التجارب الخاصة بالبشر ، أن جرذ « وستار » الأبيض ، الذى اتخذ أساساً لهــذه التجارب ، يمتــاز كثيراً على الخنازير الهندية ، أو الكلاب ، أو القردة ، أو الأرانب .

وقد قام الدكتور هـ . دونالدسون — أكبر الثقاة العالميين فى دراسة الجرذان البيض — بتربية ٩٦ جيلا منها ، كفل لها أحسن ما يمكن من الظروف والأجـواء المثلى ، على قدر المستطاع . كان طعامهـا مجهزاً تجهيزاً علمياً ، وكان هواؤها معقماً مصفى ، ولا يسمح لأحد بزيارتها مخافة تلويثها بالجراثيم ، مما يفسد على العلماء أبحاث سنين طويلة فى العمل . ومعهد وستار هو فى الواقع الذى يزود العلماء اليوم بما يحتاجون إليه من الجرذان البيض ، بثمن قدره ٤٥ ريالا لكل مائة جرذ .

وتجارة الجرذان تجارة رائجة ، فقد أجرى العلماء من التجارب على هذا القارض الأشكل العينين ، الأبيض الفرو ، المنحدر من الجرذ النرويجى الأسمر ، أكثر مما أجروا على سائر الحيوانات قاطبة . فهم يحملونه على الجرى فى قفص يدور به حتى يبلغ منه الجهد، ثم يرقبون أثر الإعياء فى حياته الجنسية . ويعرضونه للجذام ، والزهرى ، والتدرن ، والإلتهاب الرئوى ، ويرقبونه وهو يتحمل وطأة هـــذه الأمراض . أما فى تجارب التغذية ، فهم يغذون جماعات منه بأنواع الفيتامينات جميعهـا ، وأخرى بقليل منها ، وثالثة لا يعطونها فيتامينات البتة. وفى نهاية كل تجربة يعمدون إلى عظامهـا الصغيرة فيقيسونها ، وإلى أعضائها المتناهية فى الدقة فيزنونها .

وللحصول على بيانات علمية عن ضغط الدم وغـيره من تغيرات الدورة الدموية ، تحت تأثير الانفعالات ، يدفع الكيميائيون بهـا إلى « هياج تجريبى عنيف » ، ثم يأخذون شيئاً من دمها ويحللونه ، ويقارنونه بدم أخواتها الهادئة . وإذ استثنينا الإنسان وحده ، فإن ما كتب عن الجرذان من الأبحاث العلمية ، يفوق كل ما كتب عن كل حيوان ثديىّ آخر على الأرض .

إن هـذا الحيوان الحامل للأوبئـة ، والذى أفنى من الناس بالطاعون الدملى أكثر مما أفنت جميع الحروب منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أو منـذ ٢٣٤٣ سـنة ، يعيش فى المعمل حياة قصيرة مليئة بالحوادث الجسام. يولد الجرذ — بعد حمل يتراوح بين ٢٢ و٢٣ يوماً — أعمى ، أجرد ، قصير الذيل ، أعضاؤه ناقصة النمو ، (لا يكاد يستطيع أن يصوّت أو يرضع) . على أن الجرذان الصغار تبدأ بعد عشرة أيام فى التنقل فى القفص ، وفى اليوم الخامس والعشرين يصبح الجرذ فى غـير حاجة إلى معونة والديه ، ويكون نموه بعد ذلك سريعاً جداً . ويعيش الجرذ الأبيض نحو ثلاث سـنين ، على أن نمـوه أسرع ثلاثين مرة تقريباً من نمو الإنسان .

وباستعمال مقياس نسبى للعمر يمكن تحويل نتائج عمر الجرذان إلى ما يقابلها من عمر البشر . فإن الستة والتسعين جيلا من الجرذان التى أجريت عليها التجارب فى معهد وستار تقابل ٣١٠٠ سنة من حياة الإنسان ، إذا جعلنا ثلاثة أجيال لكل قرن، أى أنها مدة طويلة من مدة التاريخ المدون.

والفأر النرويجى هو مضرب المثل فى الإخصاب ، فإن الأنثى الولود من هذا النوع تلد عشرة بطون فى حياتها ، ويبلغ نسل زوج قوى منه ١٥ مليون فى خمس سنين ، والتناسل بين القبيلة الواحدة لا يضعف النسل ، على عكس ما يعتقده الناس . وقد دلت التجارب فى خمسين جيلا على أنه يمكن الحصول على سلالة أثقل وأقوى وأطول عمراً من أسلافها ، من زوج قوى يختار أحسن نسله للتناسل . ولإخصاب الجرذ وقدرته على أن ينسل نسلا مطابقاً للأصل ، كان الحيوان المفضل فى أية دراسة فى التناسل الإنسانى . فبينا يحتاج الأمر إلى قرن من الزمان تقريباً لدراسة ثلاثة أجيال إنسانية ، تعطى الجرذان النتائج نفسها فى ثمانية عشر شهراً .

إن جل معلوماتنا عن قيم الأغذية مستمدة من التجارب على هذه القواضم المماثلة للانسان . فلقد أراد الأستاذ ا . ماكالوم بمدرسة علم الصحة والصحة العامة بجامعة جونز هوبكنز ، أن يعين مدى تأثر الإنسان إذا أسقط من غذائه المنجنيز ، وهو عنصر يوجد على الغالب فى الحبوب والنقل واللحم ، فأعطى جماعات من الجرذان الصغيرة السن أغذية متنوعة ، فمن غذاء خال من المنجنيز ولكن به ما يمسك رمق الحياة ، إلى غذاء يحتوى على عناصر بها منجنيز طبيعى ، إلى غذاء خال من المنجنيز الطبيعى ، ولكن أدخل فيه بدلا منه المنجنيز الصناعى .

بلغت الجرذان جميعاً سن البلوغ ، ولم تختلف الجرذان التى أعطيت غذاء خالياً من المنجنيز عن الأخرى فى الظاهر ، فقد كان شكلها ووزنها ونسلها متماثلا ، إلا أن الإناث لم يتوفر لها اللبن الذى ترضع به صغارها . ولم يظهر على الذكور أى شذوذ حتى بلغ عمرها مائة يوم ، فظهر فيها فساد الخصيتين ، واستمر بانتظام حتى انتهى إلى العقم التام . ثم أعيدت إليها القوة الجنسية بإضافة المنجنيز من جديد إلى غذائها. وعلى ذلك وجد الأستاذ ماكالوم ، (وقد أيدت فيما بعد التجارب التى أجريت على الإنسان ما ذهب إليه) : أن المنجنيز عنصر لابد منه فى إنتاج الأتوار (الهرمونات) التى تنظم وظيفة الخصيتين فى الذكور ، والأنسجة الثديية فى الإناث .

وإذا ما اكتشف مخدر أو مصل أو سم حديد ، جرب أولا على الفأر النرويجى ، لتعيين مقدار الجرعة العلاجية أو الجرعة المميتة منه . ولما كان الفأر ، وهو فى تمام نموه ، يزن نحو نصف رطل (أو $\frac{١}{٢٥٠}$ من وزن الإنسان تقريباً) فإنه يعطى جرعة كسرية بهذه النسبة، ويقاس مدى تأثيرها فيه. فإذا لم يصب الجرذ شىء زيد مقدار الجرعات حتى ينتهى بالجرعة المميتة . وقد أجريت على الجرذ الأبيض التجارب الأولى فى استعمال المورفين ، وكثير من الاختبارات الخاصة بسموم الثعابين .

والجرذ فى حالته الوحشية خطر جسيم على حياة الإنسان ومتاعه ، فهو يبيد ماقيمته خمسة آلاف مليون ريال من المتاع فى السنة. على أن العلماء الذين يجرون تجاربهم على الجرذ الأبيض فى المعامل يقولون : إن الجرذان إذا خلصت من رعبها من الإنسان ، كانت مولعة باللعب ودودة كالأطفال ، فهى تحب الملاطفة والتدليل . ويذهب أحد الثقاة إلى أنها مولعة ولعاً شديداً بالموسيقى، وأنها إذا ما سمعتها صكت أسنانها بعضها ببعض إعجاباً وسروراً .

وسينتهى الأمر بالجرذان البيض فى معهد وستار إلى إنتاج سلالة خالصة خالية من الأمراض . قد ولدت فى أحسن ما يمكن من الأحوال . وإذن فكيف ينتهى الأمر بسلالة خالصة سالمة من كل عيب ؟ وهل ثمت تناسق بين التغييرات العقلية والبدنية المطلوبة ؟ وهل هذه التغييرات لا تقف عند حد ؟ وقد ننتهى إلى أن نجد فى حالة الكمال التى وصل إليها الفأر النرويجى ، معالم تدلنا على أرجح ما ينتظر أن تكون عليه السلالة الإنسانية ، إذا هى حررت من عوادى المرض بضع مئات من السنين .

الجواب الصحيح

(السؤال فى صفحة ٥٥)

كان فى السلة سبع بيضات . فالزبون الأول عرض أن يشترى نصفها ونصف بيضة زيادة = ٤ . والثانى عرض أن يشترى نصف الباقى ونصف بيضة زيادة = ٢ . والزبون الثالث عرض أن يشترى نصف الباقى ونصف بيضة زيادة = بيضة واحدة .

الشخصيات التى لا أنساها

أنطون : صديق العالم كله

ستيفان زفيج

لقد كنت حقيقاً أن أكون جحوداً حقاً، لو أنى نسيت الرجل الذى أرانى شيئين من أصعب الأشياء على ظهر الأرض : كيف يستطيع الإنسان بفضل حريته الباطنة أن يحرر نفسه من أعظم قوة فى العالم، وأعنى قوة المال؟ وكيف يستطيع أن يعايش الناس من غير أن يكون له عدو واحد .

وقد أتيح لى أن أعرف هذا الرجل الفريد، من أسهل طريق . فقد خرجت أتمشى بكلبى عصر يوم فى البلدة الصغيرة التى كنت أقيم فيها يومئذ، وإذا بالكلب يسلك سلوكا غريباً، فقد جعل يتمرغ على الأرض ويتقلب بشدة ويحك جسمه بكل شجرة، ويضغو ويعوى ولا يكف .

وإنى لأسائل نفسى عما عسى أن يكون به، وإذا بى أتبين أن بعضهم يمشى إلى جانبى، وكان رجلا فى الثلاثين أو نحوها، رث الثياب، لا قبعة على رأسه ولا بنيقة على عنقه . فخطر لى أن لعله متسول، وهممت بأن أدس يدى فى جيبى، ولكنه ألقى إلى من عينيه الزرقاوين الصافيتين، ابتسامة فى هدوء، كأنما كنا صديقين قديمين . وقال وهو يشير إلى الكلب : « إن بالمسكين شيئاً يخزه، تعال معى لننزعه » .

وكان يخاطبنى بضمير المخاطب المفرد وهو فى الألمانية لا يستعمل إلا بين الذين توثقت علاقاتهم، ولكن نظرته كان فيها من لطف التحبب وظاهر المودة ما جعلنى أغضى عن رفع الكلفة، فتبعته إلى حديقة وقعدت بجانبه، فدعا الكلب إليه بصفير عال .

ومن الغريب أن كلبى « كاسبر » — وهو فى العادة يحذر الأغراب — استجاب له على الفور، فأشار إليه فوضع رأسه على ركبته، فأقبل عليه يبحث فى جلده بأصابع طويلة حساسة، ثم ندت عنه آهة رضى، وراح يعالج انتزاع ما وجد . وقد كان ولا شك أليماً، فقد كان كاسبر يمد صوته بالضغاء كثيراً، ولكنه على هذا لم يحاول أن يتخلص . ثم أطلقه الرجل فجأة وقال : « هذا هو »، وضحك ورفع أصبعيه بشىء، وهو حزهو .

مؤلف كتابى « مارى انطوانيت » و « مارى ملكة الاسكتلنديين » وغيرها

والتفت إلى كاسبر وقال : « والآن اذهب واجر » ، فذهب يعـدو . ونهض الرجل وهز رأسه وحيا ومضى فى سبيله . وكان انصرافه مباغتاً فلم يخطر لى إلا بعد أن ذهب ، أنه كان ينبغى أن أكافئه على ما تجشم ، أو على الأقل أن أشكره ، ولكن ذهابه كان كمجيئه منطوياً على الحسم والحزم والركانة .

ولما بلغت البيت كنت لا أزال أفكر فى سلوك هذا الرجل الغريب ، فقصصت الخبر على طاهيتنا العجوز فقالت : «أوه ، هذا أنطون . له عين ترى كل شىء ، وقدرة على كل عمل» . فسألتها عن حرفته ، وعما يصنع لكسب رزقه ، فقالت وكأنما أدهشها سؤالى «لا شىء ! وما حاجته إلى حرفة ؟ » . قلت : « أحسب أن على كل امرىء أن يصنع شيئاً ليعيش » . قالت : « إلا أنطون ، فما من أحـد إلا ويسره أن يعطيـه ما يريد ، وهو لا يعبأ شيئاً بالمال ، لأنه لا يحتاج إليه » .

وكان هذا عجيباً فقد كنت أعرف أنه فى بلدتنا ، كما فى كل بلدة فى العالم ، لابد من أن يؤدى المرء ثمن كل كسرة من الخبز ، وكل قدح من الجعة ، وكل كساء يلبسه ، وأجر كل ليلة يقضيها فى نزل ما . فكيف تسنى لهذا الرجل الصغير الجسم ذى السراويل البالية ، أن ينجو من قضاء هذا القانون ، وأن يكون مع ذلك سعيداً خلىّ البال ؟ .

واستقر عزمى على أن أفحص عن أمره ، فما لبثت أن وجدت أن الطاهية كانت على حق . فما كان لأنطون عمل منتظم ، وكان يجوب المدينة طول النهار على غير هدى أو قصد كما يبدو ، ولكن عينيه كانتا مفتوحتين تأخذان كل شىء . فكان مثلا يستوقف سائق مركبة ويبين له أن جهاز جواده غير محكم ، أو يلاحظ تلفاً فى ألواح السور فيشير على صاحب البيت بدهنه ، وكان يكلف عادة أن يقوم هو بالعمل ، لأن كل امرىء كان يعرف أن ما يشير به لا ينطوى على مطمع ، وإنما يصدر فى ذلك عن مودة صادقة .

وما أكثر الأعمال التى رأيته يتولاها بعد ذلك ! وجدته مرة فى دكان حذّاء يرقع أحذية ، ومرة أخرى يؤدى عمل نادل (جرسون) فى مأدبة ، وثالثة ومعـه أطفال خرج بهم للرياضة ، وتبينت أن كل امرىء يولى وجهه شطر أنطون فيما يعروه . وقد رأيته يوماً يبيع التفاح بين نساء السوق ، وعلمت أن صاحبة التفاح جاءها المخاض فأحلته محلها .

ولا شك أن فى كل بلدة رجالا متهيئين للقيام بكل عمل يعرض لهم ، ولكن الغريب من أمر أنطون ، والذى لا نظـير له ، أنه لا يبالى ما يتجشم من التعب فيما يكلف ، ويأبى مع ذلك أن يقبل من الأجر أكثر مما به إليه حاجة فى يومه . فإذا كثر الخير أبى

أن يأخذ أجراً ما ، وكان يقول : « سأعود إليك فيما بعد إذا احتجت إلى شيء » .

وسرعان ما تبينت أن هذا الرجل الغريب الودود ، الرث الملابس ، قد اهتدى إلى نظام جديد يجري عليه . ذلك أنه كان يثق بمروءة الناس ، ولهذا آثر ، بدلا من أن يودع ماله مصرفاً ، أن يدخر مكارمه وعوارفه عند مواطنيه ، فاستثمر قليله كله في قروض غير مرئية ، فصار حتى أشد الناس شكا في الخير ، لا يسعه إلا أن يشعر أنه مدين لهذا الرجل الذي يخدم الناس متبرعاً ، ولا يخطر له أن يأخذ جزاء معيناً .

ويكفي المرء أن يرى أنطون سائراً في الشارع ليعرف أي احترام خاص يكنه له الناس . فقد كان كل إنسان يحييه تحية الحب ، ويصافحه مسلماً . وكان هذا الرجل البسيط ، الخلي البال ، ذو الثوب البالي ، يمشي في المدينة كأنه مالك يزور مزارعه وضياعه ويلاطف من فيها ، وكان يسعه أن يدخل من أي باب ، وأن يجلس إلى أية مائدة ، فإن كل شيء كان رهن مشيئته . وما استطعت قط من قبل أن أدرك مدى القوة التي يؤتاها من حذق هذا السر — أن لا يفكر في الغد ، وأن يتوكل على الله مخلصاً .

ولا يسعني إلا أن أعترف أنه ثقل عليّ ، في أول الأمر بعد حادثة كلبي كاسبر ، أن يمر بي أنطون وأن يلقي إلى التحية عرضاً كأني غريب . وكان من الجلي أنه لا يود أن يتخذ مما أسداه إلى سبباً للفضول أو التسحب ، ولكني شعرت كأني مقصى ، من جراء قلة اكتراثه ، عن مجتمع كبير متصادق . فلما اتفق أن تلف شيء في البيت — وكان الميزاب قد انثقب فصار الماء يقطر منه — اقترحت على الطاهية أن تدعو أنطون .

ولكنها قالت : « لا يمكن أن نبعث في طلبه فإنه لا يطيل المكث في مكان واحد ، ولكني سأحاول أن أبلغه الدعوة » . وهكذا عرفت أن هذا الرجل الغريب ليس له بيت يؤويه ، ومع ذلك لم يكن أسهل من الاتصال به ، كأنما كان هناك تليفون لاسلكي يصله بالمدينة ، ويكفي أن تقول لأول من تلقى في الطريق : « إني أريد أن أرى أنطون » فتسري الكلمة حتى يلاقيه بعضهم . والواقع أنه جاءنا عصر ذلك اليوم نفسه ، فألقى على كل شيء نظرة فاحصة ، وكان وهو يمشي في الحديقة يدلني على شجيرات تحتاج إلى التشذيب ، ويسير إلى غرس غصن ويقول إنه يحسن أن ينقل ، وأخيراً فحص الميزاب وشرع في العمل .

وبعد ساعتين قال إن العمل تم ، وانصرف قبل أن يتسنى لي أن أشكره ، ولكني في هذه المرة كنت قد أمرت الطاهية

أن تحسن جزاءه . ولما سألتها هل خرج راضياً ؟ قالت : بالطبع ، إنه دائماً راض ، وقد أردت أن أعطيه ستة شلنات ولكنه لم يأخذ سوى اثنين، وهذا حسبه في يومه وفي غده، ولكنه قال : « إذا كان عند الدكتور معطف قديم يستطيع الاستغناء عنه ... »

وإني لأجد مشقة في وصف سروري بأني استطعت أن أعطي هذا الرجل —أول رجل رأيته يأخذ دون مايعطي— شيئاً يشتهي أن يكون له . فذهبت أعدو وراءه وصحت به : « أنطون ، أنطون ، عندي لك معطف » ، فواجهني مرة اخرى بذلك النور الساكن في عينيه ، ولم يدهشه أني خرجت أجري وراءه ، فقد كان من الطبيعي عنده أن يرى من يملك معطفاً لاحاجة به إليه ، يقدمه إلى آخر يفتقر إليه .

وأمرت الطاهية أن تجيء بكل ما تيسر من ثيابي القديمة ، ففحص الكوم ، وانتقى معطفاً وارتداه لتجربته ثم قال : « نعم ، هذا يصلح لي » ، قالها بلهجة السيد الذي استقر رأيه على أخذ بعض ما يعرض عليه في دكان. ثم نظر إلى بقية الكوم وقال : « تستطيع أن تعطي فريتز ، في السالزلرجراس ، هذين الحذائين فإن به حاجة إليهما ، وابعث إلى جوزيف في الميدان بالقمصان فإنه يستطيع أن يصلحها لنفسه ، وإذا شئت حملتها إليهما » — قال ذلك أيضاً بلهجة الكريم الفضال الذي يتطوع بالمعروف ، وشعرت أن علي أن أشكره على توزيع أشيائي على أناس لا أعرف منهم أحداً . وربط الحزمة وقال : « نعم أنت رجل طيب ، وإنه لكرم منك أن تجود بكل هذه الأشياء » . ثم انصرف .

ومن الغريب أن كل ما فازت به كتبي من الثناء لم يسرني كما سرني هذا المديح . وكثيراً ما فكرت فيما بعد في أنطون هذا تفكيراً مقروناً دائماً بعرفان الجميل . فما أقل من بذلوا لي مثل هـذا العون الروحي وكثيراً ما كنت أراني ، كلما أزعجتني شئون المال السخيفة ، أحضر إلى ذهني هذا الرجل الذي كان يعيش في سكينة واطمئنان ليومه ، لأنه لا يحتاج إلى أكثر مما يكفي لذلك اليوم الواحد . وكنت دائماً أقول لنفسي : « لو أن كل إنسان تعلم سر الثقة المتبادلة ، لما بقي شرط ، ولا محاكم ، ولا سجون ، ولا مال . أما كان كل نظامنا الاقتصادي المعقد خليقاً أن يصلح إذا عاش كل امرىء عيشة هذا الرجل المفرد ، الذي يبذل من نفسه كل ما كان يسعه، ولم يأخذ مع ذلك إلا مايحتاج إليه؟ » .

وقد مضت سنوات لم أسمع فيها شيئاً عن أنطون ، ولكني قليل القلق عليه ، فإني أعرف أن الله لا يخذل هذا الرجل ولايتركه في ضائقة — وأن الناس أيضاً لا يخذلونه .

كيف تجد أعصابك ؟

چيمز . س . وارن

« إن الأعصاب تجتاز ، في هـــذه الأيام ، امتحاناً عنيفاً بما تجده في الحرب وفي غيرها . لهذا طلبنا من زمرة من الأطباء حركات رياضية بسيطة تعرف بها : هل أعصابك في حالتها الطبيعية أم لا ؟ فإذا كانت روحك قوية فأجر هـــذه الاختبارات على نفسك ، غير أنه مما يبعث المرح أن تجمع بعض أصـدقائك ليقوموا بها ويكونوا هم ضحاياها .

قف منتصباً ، واجعـــل قدميك متلاصقتين، الأصابع والكعبين ، وأغمض عينيك . ثم انظر كم من الزمن تستطيع أن تبقى هكذا بدون أن تميل ، أو أن تفتح عينيك ، أو أن تمسك بشيء يعينـك على أن تحفظ توازن جسمك ؟

دقيقة واحدة هي المعدل المتوسط . وقد تمايل قليلا ، ولكنه من المباح أن تميـــل بوصة واحـــدة أو ما إليها عن مستوى الكتفين .

٢ قف كما في (١) وأغمض عينيك . مد أحدى ذراعيك جانباً مشيراً بالسبابة ، قابضاً باقي الأصابع ، ثم حاول أن تمس ، في سرعة ، أرنبة أنفك بالسبابة . كرر العمل مستعملا ذراعك الأخرى .

إذا لمست الهـــدف بكلتا إصبعيك كان ترابط الأجهزة (العصب والمخ والعضل) ترابطاً حسناً . كثير من الناس يلمسون أنوفهم ، وقليل منهم يلمسون الأرنبة .

٣ اجلس ومد ذراعيك إلى الأمام وراحة اليد إلى أسفل، وأصابعك مفتوحة يبتعد بعضها عن البعض الآخر . أطلب من أي إنسان أن يضع فرخاً من الورق على ظهر كل من اليدين . وانظر كم من الزمن تستطيع أن تحافظ على هذا الوضع بدون رعشات ملحوظة ؟

يجب أن تحافظ على هذا الوضع دقيقة واحدة على الأقل بدون رعشات ، إلا ما كان منها بسيطاً . وقطعة الورق هي التي تبين لك ذلك.



٤ اطلب من صديق لك أن يديرك بسرعة شديدة عشر مرات على كرسي البيانو — أو ضعف هذا العـــدد على أرض ملساء . احفظ عينيك مغلقتين ، وبعد الدورة الأخير مباشرة افتح عينيك وحاول أن يتلامس طرفا سبابتيك ؟

هـــذا الاختبار للتوازن كما هو لترابط الأجهزة . كثير من الناس يستطيعون القيام بهذا التلامس بعد الدورة الخامسة ، وقليل يستطيعونه بعد العاشرة .

٥ اجلس أمام منضدة عارية ، وحاول أن ترتب ثلاثة من أعواد الثقاب على شـكل هرم ثلاثى ، بحيث تـكون رءوسها إلى أسـفل . إذا فعلت ذلك تـكون لديك هرم فيـه قوة تستطيع أن تحمل كوباً من المـاء .

هـذه المسألة تحلهـا اليدان الثابتتـان والصبر . اجعل رءوس عيدان الثقاب على مسافات متساوية بين بعضها وبعض ، بحيث لا تكون قمة الهرم عالية . فإذا نجحت فى فك هـذه الأحجية ، استطعت أن تجعل كوباً من الماء يتزن فوق عيدان الثقاب ، ولـكن افعل ذلك أولا بكوب فارغ .

٦ هـذا الاختبار ليس جميلا من الناحية العملية ، ولـكن فيه التسلية لو قامت به جماعة فى وقت واحد . قف أو اجلس ، كيفما تـكون حالتك فى اللحظة التى تقوم فيها بالتجربة . واخرج لسـانك مدة نصف دقيقـة .

يستطيع الرجل العادى أن يبقى لسانه خارج فمه ساكناً مدة طويلة ، ولـكن يجب أن لا يهتز أو يرتجف .

٧ غط قدحاً فارغاً بقطعة من الورق الشفاف مشـدودة الأطراف حول حافة القـدح ، كما فى دفة الطبلة ، وثبتها بقطعة من المطاط . ضع فى الوسط قطعة من ذات الخمسة قروش ، ثم أنظر كم من الثقوب الصغيرة يستطيع لهب سيجارة أن يعملها فى الورقة بدون أن تضعف قوة احتمال الورقة فتسقط قطعـة النقود . (كلما كانت الثقوب صغيرة كان ذلك أوفق ، ولـكن لـكي يمكن عدها يجب أن تنفذ إلى الناحيـة الأخرى من الورقة) .



إنه من المستحيل أن يحدد عدد الثقوب المحروقة ، وذلك لاختلاف نوع ألياف الورق ولـكن العـدد العادى هو بين ٢٠ و ٢٥ ثقباً ، واليد الدقيقة هى التى تستطيع أن تعمل ثقوباً منتظمة صغيرة .

قال بحار قديم عرك الدهر ، لأحد أصدقائه : لا تفضى بمتاعبك إلى أحد من الناس ، فنصفهم لا يعبأ بها والنصف الآخر يغتبط بما تعانى .

حقائق مبددة للأوهام ، عن الموقف الحربي
في الصين ، يجب أن يعرفها كل إنسان

الصين : بين الوهم والحقيقة

هانسون بولدوين

موجز الخطة الحربية الجوية للانتصار في المحيط الهادى، المرتسمة في عقل الأمريكي العادى هو إرسال الطائرات إلى الصين ثم ضرب اليابان بعد ذلك بالقنابل .

وهو يعتقد أنه متى هزمت ألمانيا ، أمكن تحويل الصين فوراً إلى قاعدة طيران ضخمة ، يمكن أن تلقى منها القنابل على اليابان حتى تسلم . وهو يخال الجيش الصيني قوة موحدة مجاهدة ، ويعتقد أننا متى استعدنا بورما أصبح في مستطاعنا أن نشحن الذخائر اللازمة لتمكين الصين من الانتصار ، والاستيلاء على المطارات التى تحتاج إليها . ويجرى في وهمه أن الصينيين قد أحرزوا انتصارات باهرة على اليابانيين ، أو أنهم يسلكون سبيل النصر في بطء .

وليست الصين في حاجة إلى مثل هذا التغرير لإعلاء شأنها ، ونحن لا ننكر على الصينيين شجاعتهم وجلدهم الذى لا يتضعضع ، واستسلامهم الفلسفي المنقطع النظير ، ولكن يجب أن لا يحجب تعديد فضائل الصين عن أبصارنا نواحي الضعف والتخلف . وقبل كل شيء يجب أن لا يقودنا إلى تصور فاسد لخطة الهجوم في المحيط الهادى .

وليست الصين أمة بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما هي اصطلاح جغرافي . وهي لم تنتصر في الحرب على اليابان، وليست في طريق كسب الحرب ، ولم تفز في معارك بالمعنى المألوف وإنما باءت بالهزائم . وهي ليست ، في الوقت الراهن ، قاعدة طيران عظيمة يمكن أن تضرب طوكيو منها بالقنابل حتى تخضد شوكتها ، ولا يمكن أن تصبح كذلك في المستقبل ، إلا إذا استطاع الحلفاء فتح طرق جديدة عظيمة لإرسال المؤن والذخائر .

وليس للصين حتى اليوم جيش بالمعنى الحربي الحديث للكلمة ، ومعظم جيوشها سيئة القيادة ، عاجزة عن استعمال الأسلحة الحديثة . وهي في حاجة إلى تدريب طويل

هانسون بولدوين هو المحرر الحربي اللامع لجريدة النيويورك تايمز ، وقد نال في هذه السنة بجائزة پوليتزر على سلسلة من المقالات عن خطة الحرب الأمريكية في المحيط الهادى ، وقد كتبها بعد رحلة طويلة زار فيها ساحات القتال .

شاق ، وقادة أكفاء ، يؤلف بينهم الولاء لغاية عامة مشتركة . ولا يوجد اليوم سوى عـــدد قليل من أمثال هؤلاء القـادة .

وحقيقة أمر الصين — تلك الحقيقـة المعروفـة للقليلين ولـكنها غـير معروفة للملايين — هى أن موقفها الحربى اليوم سيء ، وأنه كان سيئاً مدة عامين ، وأكبر الظن أنه سيظل كذلك سـنوات قادمة . فاليابان مستولية تقريباً على جميع الأجزاء التى لها قيمة فى الصين ، وعلى كل ما تريد أن يكون فى حيازتها . ولم يرتكب اليابانيون الخطأ الذى وقع فيـه الألمـان فى روسيا ، وهو محاولة الحصول على انتصار غير محدود .

ولليابان سيطرة تامة على أسباب الحياة الاقتصادية فى الصين ، وعلى جميع مرافقها ومواصـــلاتها ، وعلى بعض مستودعاتها المعدنية الرئيسية فى الشمال . وقد احتلت فى غضون العامين الأخيرين مساحات شاسعة بغير صـعوبة كبيرة ، وبدون أن تتكبد خسائر تذكر من الجنود . وهذا الاحتلال على الأرجح قد أجدى على اليابان من الوجهة الاقتصـادية ، بدلا من أن يستنزف مواردها . ومن الوجهة الحربية ، أخـذ الضعف يسرع فى الصين وينال منها أكثر مما نال من اليابان .

ولم يخسر اليابانيون معارك فى محاربة الصينيين ، بل هم يحتفظـون بدفاع جم الحركة والنشاط ، ويتخذون الصـين فى الوقت نفسه ، ساحة تدريب . وكلما سنحت الفرصة ، شنت الحاميات اليـابانية الغارات التأديبية على الصين غير المحتلة . وقد تصاب هذه الحمـلات فى بعض الأحيان بأضرار جسيمة ، ولـكنها فى العادة تبلغ غايتهـا ، وتفرق شمل القوات الصينية ، وقـد تفقد بعض رجالها ، وقليلا من عتادها ، ثم تعود إلى قواعـدها الأصلية ، بعـد أن تدرب الجيوش تدريباً لا تقدر قيمته .

وليس للبلاغات الصينية قيمة فى الحصول على صورة صادقة . ولو كان اليابانيون قد أصابهـم نصف الخسائر التى عـددها الصينيون ، لقام لنا الآن دليل على التناقص فى عدد رجالهم المحاربين . ويذيع الصينيون أحياناً أنباء معارك لم تحدث ، وهم فى الغالب يبالغون فى أمر المناوشات وحرب العصابات ، ويرفعونها إلى مرتبـة الحملات المنظمة . ففى الحـرب الحديثة التى وقعت فى تنجتنج ، لم يقصد اليابانيون على وجه التأكيد — كما جاء فى التقارير الصينية — أن يحاولوا الاستيلاء على شنجكنج ، وإنما كان غرضهم الظاهر هو الإقليم الحافل بزراعة الأرز حول بحيرة تنجتنج ، وقـد استولوا على جزء منـه ، وانتهبوا ما به ، وعادوا أدراجهم ؛ ومع

ذلك فإن البـــلاغ الصينى فسر انسحاب اليابانيين بأنه انتصار عظيم . وهذا كله ليس معناه اليأس وانقطاع الرجاء ، فإن الروح الصينية لم تنهزم بعد . وما دامت الولايات المتحدة تخوض حرب المحيط الهادى بقوة وعزم ، فإنه من المستبعد أن تتمكن اليابان من إرغام الصين على الخروج من الحرب . وليس من المحتمـل كذلك أن ينقص اليابانيون عدد قواهم المحتلة نقصاً كبيراً ، ما دامت حرب العصابات الصينية قائمـة مستمرة، وما دام لشيانج كاى شك وحكومة شنجكنج أى نفوذ فى الصين المحتلة . وأكبر مساهمة تقدمها الصين للحصول على النصر النهائى ، هى إرغامها اليابان على الاحتفاظ بفرق يتراوح عددها بين ١٥ و٢٢ فرقة — وقد تكون هذه هى ربع القوة البرية اليابانية — وإبقائها مرتهنة بالصين ، وهى مساهمــة لا ينبغى أن ننتقص من قيمتها . فإذا أرغمت الصين على الخروج من الحرب، استطاعت اليابان أن تحصر قوتها جميعها لتتقى هجومنا فى البر والبحر .

ولكن الجيوش الصينية الحاضرة لا قبل لها بطرد اليابانيين من الصـين ، ومئات الألوف من هــذه الجنـود إن هى إلا عصـابات محـاربة ، أو هى جماعات واهية النظام من أتباع بعض القواد الإقليميين . وهم حـين ينشطون لا يزيدون على أن يكونوا شوكة فى جسم اليابانيين لاغير .

وقد تدربت فى الهند ، تحت قيادة الجنرال ستلول ، فرقتان أو ثلاث فرق من فلول الجيوش التى حاولت الدفاع عن بورما ، وأمدت بضباط أمريكيين . وهناك جيوش صينية لا بأس بها فى مقاطعة ينان ، قرب حدود بورما ، وعدد آخر قليل من الجيوش حول شنجكنج وبمحاذاة اليانج تسى، ولـكن هذه الوحدات أيضاً — مع إمكان استثناء الفرق الهندية — لا تخلو من نقص خطير. فنظامها واه ، وهى لا تراعى اتباع أصول الحركات الحربية ، والأسلحة والعتاد قليلة غير موفورة ، وليست تملك سوى عـدد قليل من المدافع ، وسوى دبابات زهيدة ، والقليل القليل من العتاد المصفح ، وأما جلب الذخائر فلا يسـير بطريقـة منظمة ميسورة . ولا يمكن طرد اليـابانيين بمجرد إنشاء سلاح طيران فى الصين ، كما ظن الـكثيرون من الأمريكيين . وليس فى التاريخ شاهد يسوغ لنا أن نعتقد بأن قوة الطيران وحدها تستطيع أن ترد عدواً على أعقابه فى مساحة شاسعة متسعة الرقعة مثل الصين المحتلة . تصور مثلا أن قوة سلاح الطيران الألمانى ، تهزم الجيش الروسى بغير استعانة بالجيوش البرية ، أو العكس بالعكس !

وقد أظهرت التجربة بوضوح تام ، أن أنصاف الوسائل ليست كافية لهزيمة اليابان ، وردّ الفرق اليابانية فى الصـين ، التى يربى عـددها على العشرين ، إلى مكان يمكن الولايات المتحدة من استعمال مطارات على مقربة من طوكيو ، يستلزم خلق جيش جرار ، وإنشاء سلاح طيران قوى السطوة فى الصين . ومثل هـذا الجيش لا بد من إمداده بالعتاد ، وشـد أزره بالفنيين الأمريكيين ، وتأييده بالجيوش الأمريكية المجاهدة ، وبغير ذلك لا يتيسر الاحتفاظ بقواعد الطيران . وقد أظهرت الحملة التى قام بها اليابانيون فى السنة الأخيرة ضرورة ذلك ، عقب غارة دوليتـل على طوكيو . فقد كان على دوليتل ورجاله أن يهبطوا إلى المطارات التى أعدها الصينيون فى الأراضى غير المحتلة ، وظل اليابانيون فترة من الزمن يعتقدون — على ما يلوح — أن الطائرات قد أقبلت عليهم من هذه الساحات . ونظم اليـابانيون إحـدى حمـلاتهم التأديبية ، وتغلغلوا بسهولة فى الحدود الصينية ، وأتلفوا المطار ، وعادوا أدراجهم إلى قواعـدهم الأصـلية . فإذا بدىء الآن بضرب طوكيو بالقنابل ضرباً منظماً ، أو إذا أراد سلاح الطيران الأمريكى ، تحت قيادة الجـنرال شنولت ، ان يصبح دائم التهديد لخطوط التموين اليابانية ، فإن العـدو سيبادر فى الحـال إلى التحرك للاستيلاء على قواعـد الطيران . والقوة الحربية فى الصين قليلة لا تقوى على مدافعتهم .

ولـكن المشكلة الحقيقية ، تلك المشكلة التى يشق التغلب عليها ، هى مشكلة التموين . والصين فى الواقع متعزلة عن سائر العالم ، والطريق العملى الوحيد لتموينها فى الوقت الراهن هو الطريق الجوى من الهند فوق جبال الهمالايا . والصعوبات التى تكتنفه لا يكاد يمكن تصورها . فلا بد للطائرات من أن تحمل من البنزين ما يكفى لهـذه الرحلة ذهاباً وإياباً ، وهى تحلق على ارتفاع يتدرج من ١٦٠٠٠ قـدم إلى ٢٤٠٠٠ قـدم ، وذلك يقتضى نقص حمولتها . وحالات الجو — وبخاصة فى فصل الرياح الموسمية — مما يشق احتماله ، فالسماء مليئة بكسف من السحب والأمطار ، والرياح عالية ، والرؤية صعبة . والطائرات اليابانية تهدد باستمرار مواصلاتنا

ولـكن برغم ذلك كله تمكنت قيادة طيران المواصلات ، واتحاد الطيران القومى الصينى، من إنشاء مواصلات جوية مستديمة إلى الصين ، وذلك بعد بذل مجهود جبار . ومن المحتمل أن ينقل الطريق الجوى الآن من الأطنان ثلث ما كان ينقل بطريق بورما

وهو الذى كان متوسط ما ينقل به يومياً ٢٠٠ طن ، وهذا المقدار يزداد بالتدريج . ولكن حتى لو استطاعت المواصلات الجوية أن تزيد قدرتها وتقوم بنقل ثلاثة أضعاف ما كان ينقل عن طريق بورما ، فإن ذلك لا يكفى لتموين جيش برى . فالفرقة الواحدة من الجيش البرى تستهلك فى إبان المعركة نحو سبعمائة طن من الذخائر فى اليوم الواحد .

ولا يتيسر حل مسألة التموين باسترداد طريق بورما ، وهو نفسه مشكلة كبرى . إلا يستطيع الحلفاء ، على أحسن تقدير ، أكثر من مضاعفة ما كان ينقل عن طريق بورما ، أو البلوغ به إلى ثلاثة أمثاله . ولكن نقل ستمائة طن يومياً ستكون غير كافية من جميع النواحى لتموين حملة لطرد اليابانيين من الصين . وفضلا عن ذلك فإن نقل الدبابات المتوسطة ، أو المدافع الثقيلة أو المتوسطة ، غير ميسور لا عن طريق الجو ، ولا عن طريق بورما .

وقبل أن تتخذ الصين قاعدة لحملة ظافرة إلى اليابان ، يجب إيجاد طرق أخرى لدخول الصين . وقد أصبحت جميع مرافئها على الشاطىء الشرقى مثل كانتون — التى كانت تدخل من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ طن من الذخائر يومياً — فى أيدى اليابانيين . ولا أمل فى استردادها إلا بغزوة هائلة من البر والبحر . وقد وضعت خطة لعمل كثير من السكك الحديدية ، ولكن قبل البدء فى عملها يجب أن نكون قد استعدنا بورما ، أو شبه جزيرة الملايو ، وتيلاند ، والهند الصينية الفرنسية . ويستطيع اليابانيون أن يثبتوا لنا سنوات فى تلك الفلوات الفسيحة الممتلئة بالأبخرة . وهناك طرق كثيرة إلى طوكيو ، ولكن طريق الصين أصعبها منالا وأشقها — وهو طريق كثير المنعطفات .

ومراكز الدول المتحدة تحيط الآن بما استولت عليه اليابان . والخطوة التالية هى إحكام تلك الحلقة ، وينبغى مهاجمة المعقل اليابانى من جهات عدة : من أستراليا ، ومن جزائر سليمان ، ومن جزائر ألوشيان ، ومن الهند ، ومن الصين ، بل من الروسيا فى النهاية ، ولكن المجهود الرئيسى ينبغى أن يكون فى الناحية الغربية من هواى وميدواى — فهذا يعد بمنزلة الضربة المباشرة إلى قلب اليابان .

وستقوم الصين بدورها النبيل فى تنفيذ خطة التطويق هذه ، ولكن انتظارنا من الصين أن تقوم بالدور الحاسم والنصيب الرئيسى ، هو من المسائل التى تنطوى على وهم قد يفضى إلى كارثة .

قتيل غواني باريس

ر . ب . ميلر

من كتابه : « لم أجد راحة »

ربما كانت أفظع شخصية فى تاريخ الإجرام الحديث هى شخصية هنرى ديزيريه لاندرو ، الذى رأيت رأسه يقطع فى فجر ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ . كانت قد ثبتت عليه جريمة قتل عشر نساء وصبى ، قتلا عمداً مع سبق الاصرار ، إذ قطعهم إرباً إرباً وأحرقهم فى فرن مطبخه فى فيلا جامبيه على مقربة من فرساى . كما ثبت أنه كان عشيقاً لمائتين وثلاث وثمانين امرأة !

ظل لاندرو أكثر من خمسة أعوام يزاول بانتظام حرفته الرهيبة ، وهى إيقاع النساء فى حبائل غرامه ثم ذبحهن . وكان أقارب « خطيباته » يسرعون فيبلغون البوليس أنباء اختفائهن بطريقة يحوطها الإبهام والغموض ، إلا أن الوقائع واسم المتهم كانت تختلف فى كل مرة عنها فى غيرها ، ولم يجد البوليس دليلا يهتدى به إلى سر كل جريمة ، ولم يربط بين حوادث الاختفاء هذه باعتبارها جرائم رجل واحد . وكان تفكك الحياة المدنية خلال الحرب عنصراً مواتياً لخطط لاندرو وتدبيراته ، فقد كان أزواج كثير من النساء يقاتلون فى الميدان ، أما اللواتى قتل أزواجهن ، فقد غلبت عليهن اللهفة إلى سماع كلمات الوعود بالزواج . ثم حدث بمحض المصادفة فى أبريل سنة ١٩١٩ أن لمحت أخت إحدى « الخطيبات » المختفيات شخصية لاندرو فى باريس ، وتبعته إلى شقته ، ثم أخطرت البوليس ، فاعتقلوه وهم لا يدركون حينئذ أنهم ظفروا بحادث من أعظم حوادث الإجرام فى باريس .

وقد بدأت القصة العجيبة كلها فى الطريق إلى المحطة ، حينما ضبط البوليس السرى لاندرو وهو يحاول أن يطوح بمفكرة صغيرة الحجم ، كانت تحتوى مفتاح سلسلة جرائمه المدهشة بأجمعها . وكانت تبدو كأنها مذكرات خاصة بصفقات تجارية . وقد ظل أمرها لغزاً حتى قارن البوليس بين أسماء النساء المقيدة فيها وبين أسماء عشرات النساء المختفيات منذ سنة ١٩١٥ ، فتبين أن عشرة منها متفقة ومنطبقة .

وعندئذ جمع البوليس أطراف مأساة عجيبة . فقد عرف أن لاندرو كان يقيم فى أحد عشر مكاناً فى باريس ، وكان يتسمى بما لا يقل عن خمسة عشر اسماً من مختلف الأسماء ، وكان فى بعض الأحيان يستعير اسم فريسته السابقة . كان والده باريسياً

محترماً من رجال الأعمال ، جن فى أواخر حياته ، ثم انتحر . وكان لاندرو فى شبابه مجتهداً ، ذكياً ، طبيعياً لا شـذوذ فيه ، ولـكنه حين بلغ طور الرجولة بدت عليه نزعات من الإجرام ، وحكم عليه بالسجن مدتين قصيرتين لاختلاسات بسيطة . ثم خطر له حوالى سنة ١٩١٤ أن يحترف مغازلة النساء بالجملة ! واستطاع بطريق إعلانات الزواج ، وعروض شراء الأثاث، أن يتصل بمئات من النساء، ويصطنع الوله والهيام بكل واحدة منهن ، ويظهر أنه اقتصر فى مبدأ الأمر على الاحتيال على ضحاياه المدلهات .

وكانت مغازلات هنرى ديزيريه حارة باهرة ، يستطيع المفاتحة فى الزواج من اللقاء الثانى أو الثالث . ودلت مذكراته اليومية على أنه كان يغازل سبع نساء فى وقت واحد ، يبادلهن رســائل الغرام الملتهبة العاطفة ، يكتب كتب الحب بالعشرات ! وقد وجدت فى « الفيلا » التى يسكنها حزمة من تلك الكتب مهيأة للاستعمال !

وفى أثناء ذلك كان لاندرو يحتفظ ببيت مستقل لزوجته وابنه ، وكان زوجاً طيباً ورب أسرة يعرف واجبه، وكان يسمى رحلاته المتعددة إلى (الفيلا) « رحلات للعمل » . ولم تكن زوجته ولا ولده يعلمان شيئاً عن عمله ، وكثيراً ما كانا يساعدانه ، من حيث لا يدريان فى التخلص من متاع ضحاياه .

كانت محاكمة لاندرو فى أواخر سنة ١٩٢١ التى لا تنسى ، وقد جاءت باريس كلها تقتحم الأبواب ، وظل لاندرو محتفظاً بوقاره ورباطة جأشه . وكان يبتسم عند استجوابه ابتسامة السخرية ويقول: « ان المسألة تتعلق بالشرف . وأنا لا أقبـل ثم أذيع وأفضح » . وقد أرسل يوماً فى طلب القاضى ، قائلا إن ضميره يؤنبه وإنه يريد أن يتكلم . وأخيراً جاء يوم المحاكمة وانتظروا أن يعترف لاندرو ، ولـكنه تنهد أمام القاضى ثم قال : « لا بد لى من أن أصارحك بأنى أشعر بوخز الضمير بسبب ٢٨٣ خيانة التى خنت بها زوجتى » ! وطارت الحكاية فى أرجاء المحـكمة بين ضجات الضاحكين .

على أن المحاكمة كشفت الستار يوماً بعد يوم عن معنى العبارات الرمزية التى تضمنتها « مفكرة » الموت . وكان أول ما كشف اسم الأرملة المحترمة « كوشيه » التى عرفها لاندرو بواسطة إعلان بطلب الزواج ، وبعد مغازلة غرامية عاصفة ، ذهبت لتقيم معه ، فى ڤيلا جامبيه المشئومة فى فيرنويه ، تحت تأثير الوعد بالزواج . ثم جاءت العبارة الجافة : « رحلة واحدة للنزهة ، تذكرتان إلى فيرنويه » ، ومعها بيان النفقات . . وقد اختفت مدام كوشيه من ذلك اليوم

عن وجه الأرض ، ومعها ولدها الذى يبلغ السابعة عشرة من عمره . وقد وجد بعض أثاثها فى شقة زوجة لاندرو ، وكانت زوجته وخطيبة ابنهما تتحليان ببعض جواهر مدام كوشيه يوم قبض على لاندرو .

كانت عبارات « المفكرة » تسجل فى انتظام ممل عبارة : «رحلة» مشئومة إلى «فيرنويه» . ثم يعقبها اختفاء فريسة جديدة وكان معظمهن من الأرامل ، ولكن إحداهن كانت فتاة فى التاسعة عشرة من العمر . ولما قبض على لاندرو كانت فتاة جذابة فى التاسعة والعشرين من العمر تدعى « فرناند سيجريه » تلبس «خاتم الموت» ، وهو خاتم الخطوبة الذى استعمله لاندرو قبل ذلك مع تسع خطيبات . وكان فى الوقت ذاته خطيباً لفتاة أخرى تدعى «جان فالك» ، اقترض منها ألفين من الفرنكات .

وبالرغم مما علمته «مدموازيل سيجريه» من أنها أفلتت من مصير عشر قبلها ، فقد رفضت أن تشهد ضده وقالت : « إنه كان دائم المحبة لى والاحترام وقد كنت أحبه وأعزم أن أتزوجه » . وفى أثناء المحاكمة كانت تتفادى نظرته ، فلما نظرت إليه آخر الأمر سقطت مغشياً عليها فى كرسى الشهود.

وقد اجتمعت عليه قرائن كثيرة ، فقد استخرج عالم مشهور فى الطب الشرعى ٢٥٦ قطعة من العظام البشرية من رماد فرن « ڤيلا جامبيه » ، وقرر أنها من عظام ثلاث جثث على الأقل . وشهد خبير آخر بأن الهباب العالق بالمدخنة يحتوى على نسبة كبيرة من الشحم . وعثر فى صندوق للرماد على أجزاء من مشدات وأزرار من ملابس النساء ، ووجدت فى إحدى الخزائن عشرات من الزجاجات التى كانت ملأى بالسوائل التى تذيب النسيج . وقرر الجيران أنهم كانوا يرون فى أكثر الأحيان سحاباً كثيفاً من دخان منتن خارجاً من الڤيلا الرهيبة .

وقد اعترف العلماء والإخصائيون فى الأمراض العقلية الذين فحصوا لاندرو بأنهم عاجزون عن إدراك السر فى جاذبيته الغريبة للنساء . فإذا استثنيت عيناه المدهشتان الكبيرتان اللتان تشبهان عيون الأفاعى فى الثبات والحدة والبريق ، لم يكن فى مظهر وجهه ما يمكن أن يفسر تلك الجاذبية . وقد كان فى الخامسة والخمسين من عمره ، متوسط البنية ، يضرب لون بشرته إلى الصفرة . وكانت الظاهرة الوحيدة ، التى تطالع المرء فيه لأول وهلة، هى رأسه الأصلع البديع التكوين، ولحيته الأشورية التى كان يغالى فى الاعتزاز بها .

وقد حكم على هنرى ديزيريه لاندرو بأن

تقطع رأسه أمام سجن فرساى فى فجر ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢

وفى نحو الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم جاء نبأ بأن أناتول ديبليه ، الجلاد الشهور ، قد حضر ومعه مقصلته ، فأسرعنا إلى السجن . وضرب أربعمائة جندى نطاقاً على طرفى الشارع ، فلم يسمح بالمرور لغير حاملى التذاكر المختومة . وكان الضوء الوحيد حينئذ ، وهم يحكمون ربط الآلة الرهيبة ، هو ضوء مصابيح الشارع الكهربائية القليلة ، وفوانيس العمال القديمة ذات الذبالات المترنحة .

وقد استدار حول المقصلة نحو مائة موظف وصحفى ، وكنت أنا على بعد ١٥ قدماً منها . وجاء نبأ من السجن بأن لاندرو ، وكانت لحيته الطويلة السوداء قد قصت ، طلب أن تحلق ذقنه ، ويقول « إن ذلك يسر السيدات » ، وكان يلبس قميصاً نزعت منه «ياقته» ، وتحته سراويل رخيصة قاتمة ، ولا ينتعل حذاء ولا جوربا .

ولم يكد ينبلج الفجر القارس البرد ، حتى وصلت عربة كبيرة تجرها الخيل ووقفت مستديرة على بضع أقدام من المقصلة . فنزع منها مساعدو (ديبليه) سلتين من الخوص ، ووضعوا المستديرة الصغيرة منهما أمام الآلة تحت مسقط الرأس بعد قطعه ، ووضعوا الكبيرة التى تشبه النعش قريبة من المقصلة.

وعلى حين فجأة فتحت بوابات السجن الخشبية الكبيرة ، وظهرت منها ثلاثة أشباح تمشى مسرعة : رجلان من السجانين عن يمين لاندرو وشماله ، وقد أمسكا بذراعيه المشدودتين إلى ظهره ، وهما يسندانه ويدفعانه أمامهما ، ويسيران بأقصى ما يستطيعان . وكانت قدماه الحافيتان تلطمان البلاط البارد لطما مسموعاً ، وكأنما تعطلت ركبتاه عن الحراك . وكان وجهه أبيض بياض الشمع ، فلما رأى الآلة المخيفة اربدّ وجهه وازرقّ

وسرعان ما ردّ السجانون وجه لاندرو إلى أسفل تحت طوق المقصلة ، وفى طرفة عين هوت السكين ، وسقطت الرأس فى السلة ، وكان لسقطتها هدّة شديدة . وبينما كان أحد المساعدين يرفع الآلة المعلقة ويطوى الجثة المبتورة الرأس فى السلة الكبيرة المستطيلة إذ انبجست منها الدماء دافقة بشعة المنظر .

وأمسك أحد الحراس الواقفين عند الآلة بالسلة التى فيها الرأس ، ورمى بها كالكرنبة فى السلة الكبرى ، وساعد فى الإسراع بنقلها إلى العربة المنتظرة . وأغلقت أبواب العربة ، وانطلقت الخيل حين مستها السياط ووثبت فى طريقها وثباً ، ولم تمض على لاندرو منذ ظهر فى فناء السجن ، سوى ٢٦ ثانية !

العلم ينظر إلى السماء (١)

بروس بليفن

يتخذ البشر أساليب كثيرة لينقبوا عن أمر ما يحيط بهم من ظواهر الطبيعة ، ولكن ليس بين العلوم علم يحدث في النفس من الشعور بالعظمة — والضعة أيضاً — ما يحدثه علم الفلك . وقد قطع العلم في هذا الميدان شوطاً بعيداً . فأصبحنا نعلم :

أن الكون أرحب وأعظم مما كنا نتخيل منذ سنوات قلائل ، حتى نكاد ننكر ما وصل إليه العلم .

أن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة، كأنما قد بعثرها انفجار هائل .

وأن سماءنا ذات النجوم ما هي إلا واحدة على الأقل من ملايين أمثالها من المجموعات النجمية المنتشرة في الفضاء في جميع الأنحاء .

وفي السماء ستة آلاف نجم يمكن أن تراها العين المجردة ، ولكنها لا ترى إلا نصفها فقط في أي وقت من الأوقات . وقد انتهى رأي علماء الفلك إلى أن مجموعتنا النجمية قد تشتمل على مائة بليون من النجوم ، بعضها أصغر كثيراً من شمسنا ، وبعضها أكبر منها أضعافاً مضاعفة . وهذه المجموعة النجمية ، التي يسميها علماء الفلك « المجرة » هي من الضخامة والسعة بحيث يقضي شعاع الضوء الذي ينتقل بسرعة ١٨٦٫٠٠٠ ميل في الثانية — مائة ألف سنة في مسيره من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر .

وتستطيع أن تتصور شكل « المجرة » التي تنتسب إليها أرضنا ، كأنها غطاء ساعة من البلور الغليظ . وموقع الشمس منها في مكان عقرب الثواني الصغير ، على بعد ثلث المسافة ما بين الحافة والمركز . ومن حول هذه الشمس نظام كواكبنا السيارة ، وليس لنظامها ، فيما نعلم ، نظير في سائر الكون . وتبلغ المجرة مبلغاً هائلا من الضخامة ، كما تبلغ كواكبنا السيارة وصغر أقمارها ، بالنسبة إليها ، مبلغاً من الضآلة . فلو تصورنا أنها حقيقة في حجم بلورة الساعة ، فإن الكواكب السيارة ، بل الشمس نفسها ، لا يمكن رؤيتها ، ولو استعنا على ذلك بالمجهر .

ويظن كثير من الناس أن ما بين النجوم فضاء تام ، والحقيقة أن ذلك الجزء الخفي من الكون ممتلئ بأنواع مختلفة من المواد مثل الغازات والعثير ونثار من مواد مختلفة وفي السماء سحب غازية تسبح في الفضاء يبلغ قطر كل منها نحو ٢٠٠ سنة ضوئية

والنجوم تختلف في الكثافة اختلافاً كبيراً ، فبعضها يتركب من غازات لطيفة غاية فى اللطف ، حتى ليخيل إلينا أنها مجرد فراغ ، وبعضها كثيف ، أشد كثافة من أرضنا هذه . وبعض الأجرام السماوية خفيف بالغ الخفة ، ولهذا تكون قوة الجاذبية على سطحه ضعيفة جداً ، حتى ليستطيع شخص خفيف الحركة أن يقفز فوقه مئات من الأمتار . وثمة أخرى ثقيلة جداً حتى إن البوصة المكعبة من الحديد فيها تزن مائة طن .

ومن وراء المجرة التى نحن فيها وعلى بعد أعظم مما يستطيع العقل البشرى أن يتصوره ، مجرات أخرى ، وهى ليست بعيدة عنا فحسب ، بل بعضها بعيد أيضاً عن البعض الآخر أعظم البعد . . وقد أصبح معروفاً على وجه التحقيق وجود مائة ألف أو أكثر من هذه المجرات ، وهنالك نحو ٥٠٠٠٠٠٠ مجرة أخرى تحت المراقبة ، كما يقول الفلكيون . ومعنى هذا أننا لو استخدمنا آلة أكبر وأدق، لاستطعنا أن نضيف هذا العدد إلى ما نعرف وجوده على التحقيق . ولن يمضى عامان أو ثلاثة حتى يكون المنظار الجديد الذى قطر مرآته ٢٠٠ بوصة ، قد تم تركيبه فى مرصد مونت بالومار، بكاليفورنيا، وهو أغلى آلة بناها الإنسان والمفروض أن هذا المنظار سيضاعف المسافة التى يمكن أن يمتد إليها البصر . فتتسع أمامنا حدود الكون المرئية إلى مدى بعيد جداً .

وبين النجوم مجموعات يسميها علماء الفلك « النجوم المتغيرة » ، وهى نجوم يشتد لألاؤها ثم تعود فتخبو بدقة وانتظام . ولكل نجم منها نظامه الخاص . فبعضها يتم خفقته (دورته الضوئية) فى ساعات قلائل أو يوم واحد ، وبعضها يستغرق أشهراً أو سنة أو أكثر .

ويكثر على فترات ، أن يتلألأ فى السماء بغتة نجم ، فيزداد إشراقه ازدياداً عظيما ، والظاهر أن النجم فى هذه الحالة ينفجر ، ويقذف إلى ارتفاع هائل ، سحباً من الأبخرة متوهجة أو ذوات إشعاع . والغالب أن النجم الذى ينفجر على هذه الصورة كان قبل ذلك مختفياً لا يرى ، ولذلك توهمه بعضهم نجماً قد تخلق وظهر فجأة بطريقة من الطرق . أما الآن فنحن نعلم أن النجم « الوليد » ما هو إلا تضخم شىء كان موجوداً من قبل ، والأرجح أنه لن يلبث طويلا حتى يعود إلى حالته الأولى . ومع ذلك فإن الفلكيين لا يزالون يسمون هذه النجوم المتفجرة « نوفا » ، أى الشىء الجديد .

والعادة أن يكون هذا « النجم الجديد » المتوسط أشد لمعاناً من الشمس بنحو

٢٠٠,٠٠٠ مرة . أما النجم الجديد الضخم أو « سوبر نوڤا » — وهو الذى ينفجر انفجاراً هائلا — فيكون أشـد لمعاناً من الشمس آلاف الملايين من المرات . بل قد يبلغ إشراقه — لوقت معـــلوم — ما يعادل إشراق مجرة بأكملها . وذلك كان شـأن « السوبر نوڤا » الذى ظهر فى كل من عامى ١٦٠٤ و ١٧٥٢

وقد استطعنا بمناظيرنا القوية وبآلات الرصد الجديدة، أن ندرس النجوم المتفجرة فى مجرات أخرى بعيدة عن مجرتنا . وفى السنوات الخمس الأخـيرة شوهد ما لا يقل عن ٢٠ انفجاراً عنيفاً من هـذا النوع .

كان بعض التقدم المدهش فى علم الفلك نتيجة لاسـتخدام وسيلة تعدّ ، فى أبسط أشكالها ، لعبة مما يلهو به الأطفال . فإنك إذا وضعت منشوراً (بلورة مثلثة) على حافة النافذة فى ضوء الشمس المشرقة ، فإنه يعكس على الجدار مجموعة من ألوان قوس قزح . وهذه الألوان (الطيف الشمسى) تظهر دائما مرتبـة على نسق لا يتغير من البنفسجى إلى الأحمر . وكل لون منها تمثله أمواج ضوئيـة من أطوال مختلفة ، فيلقى المنشور هـذه الألوان مصنفة طبقاً لهـذا الاختلاف فى طول الأمواج الضوئية .

والعناصر الطبيعية على اختلافها ترمى بإشعاعها فى أمواج مختلفة الطول ، ولذلك صار من الممكن بمعونة المطياف (جهاز تحليل الطيف ودراسته) ، أن نحدد نوع العناصر الكيميائية التى تتمثل فى أى جسم يرسل شعاعاً من الضوء . وبهذه الوسيلة يستطيع الفلكيون أن يثبتوا لنا على وجه التحقيق أن معظم العناصر الأساسـية التى نجدها فى أرضنا — البالغ عـددها ٩٢ — موجود فى جميع الأجرام السماوية، فى كل ناحية من النواحى ، حتى لقد عرف وجود أحد هذه العناصر فى بعض النجوم ، قبل أن يعرف وجوده على الأرض ، فمادة الهليوم ، قد اكتشفت أولا فى الشمس .

وقد يسر التحليل الطيفى للعلماء أن يقرروا درجة حرارة النجوم، حتى استطاعوا أن يقرروا درجة حرارة النجوم البعيدة وذلك لأن الإشعاع المنبعث من جسم متوهج يختلف باختلاف درجة الحرارة ، فهو يبدأ بلون أحمر ، ثم يمضى من الأصفر والأبيض إلى الأزرق ، وبذلك يجارى بوجـه عام ترتيب الألوان فى الطيف . ودرجة حرارة سطح الشمس تبلغ نحو ٦٠٠٠ درجة مئوية أو ١٠٨٠٠ بمقياس فهرنهيت . أما درجة حرارة باطنها فربما ارتفعت إلى أربعين مليوناً بالمقياس المئوى .

وحين ينفجر نجم على بعد ملايين الملايين

الأميال ، فإننا لا نجد فيه شيئاً إلا أنه
ظر من مناظر السماء . أما إذا حل مثل
ا الخطب بشمسنا — وليس بينها وبيننا
ى ٩٣ مليوناً من الأميال — فإن هذا
ون الكارثة القاضية على الإنسان وعلى
يع أعماله . فلا تكاد تصل إلينا أول
جة من الحرارة والإشعاع المنبعثة من
شمس (وذلك فى ثمانى دقائق ونصف
يقة) ، حتى يهلك ، بمرة واحدة ، كل
ىء حى فى الهواء والأرض والبحار ،
يحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة
ائلة ، فما ندرى ماذا دهى الأرض فدكها
ة واحدة !

فما مبلغ احتمال وقوع مثل هذه الكارثة ؟
لنذكر أولا أشد الفروض هولا : فمن
يحتمل أكبر احتمال أن شمسنا قد انفجرت
ن قبل ، أو أنها ستنفجر مرة أخرى
زمن وجودها . ومثل هذا الانفجار
شمسنا سيكون من قبيل الظاهرة
معروفة باسم « نوفا » ، ولا يحتمل أن
كون انفجارها من قبيل ظاهرة انفجار
السوبر نوفا » .

والواقع أنه ليس من الضرورى أن
نفجر الشمس لكى يقضى على جميع مظاهر
لحياة ، بل قد يكفى أن يتغير إشعاع الشمس
مقدار لا يتجاوز واحداً فى المائة زيادة أو

نقصاً . وسيكون هذا ، فى الغالب ، قبل أن
تبلغ الشمس نهاية بقائها بزمن طويل .
ولا بد يوماً ما ، من أن تصبح الشمس
باردة برودة تصير فيها الحياة على سطح
الأرض أمراً مستحيلا ، حتى ولو بقيت
الشمس بعد ذلك مضيئة ملايين السنين .

فإذا فكرنا فى الخطر الذى قد ينجم عن
تقلبات تعترى الشمس ، فتهلك بسببها الأرض
ومن عليها فى دقائق أو ساعات معدودة ،
فإنه لما يهدئ بالنا ، أن نذكر أن الشمس
والكواكب السيارة التى تدور حولها ،
جميعاً ، حديثة العمر بحسب التقدير الفلكى .
فإن الكواكب السيارة لا يزيد عمرها
كثيراً عن ثلاثة آلاف مليون من السنين ،
وبعض الفلكيين يرى أن عمر الشمس قد
يكون قريباً من هذا . وأكبر الظن أن
متوسط عمر نجم عادى مثل الشمس قد يبلغ
١٢ ألف مليوناً من السنين ، فيكون أمامها
فسحة من العمر تبلغ ٩ أو ١٠ آلاف
مليون من السنين . فإذا ترجمنا هذا إلى
ما يقابله من العمر البشرى ، كانت الشمس
اليوم مثل صبى فى الثانية عشرة من عمره .

إن الطاقة التى تشعها الشمس ، تنبعث
فى كل اتجاه ، وليس نصيب الأرض منها
سوى جزء ضئيل . وبرغم ذلك ، فإن هذا
الجزء الضئيل يعادل تقريباً قوة خمسة ملايين

حصان لكل ميل مربع من سطح الأرض ، فى اليـوم الواحد . فالشمس تعطينـا من الطاقة فى كل دقيقة ، مقدار ما يستخدمه الإنسان فى عام كامل . ونحن الآن نستخدم تلك الطاقة بطريق غير مباشر ، وهى لنا ، فى النهاية، المصدر الوحيد للقوة . فالفحم يمثل التفاعل الكيميائى ، الذى أحدثته الشمس فى النبات الأخضر منـذ مئات الآلاف من السنين . وقوة سقوط الماء ما هى إلا أثر مما أحدثته أشعة الشمس من تبخر الماء وإسقاطه أمطاراً . وحتى طواحين الهواء ، إنما تدور بتيارات هوائيـة حركها اختـلاف درجة حرارة الشمس فى أمكنة مختلفة . وسيأتى يوم نستطيع فيه أن نسخر بطريق مباشر هذه القوة الهائلة ، التى تصدر عنها كل هذه الطاقة .

ولعل أروع كشف فى تاريخ الفلك كله ، هو الشىء المعروف باسم «الانتقال الأحمر» . فهذا النوع من التحليل الطيفى قد يصعب فهمه ، ولكن ليس من الصعب استخدامه . وفحواه أننـا إذا ما حللنا طيف نجم مضىء آخذ فى الابتعاد ، وجدنا أن خطوط طيفه تنتقل نحو طرف الناحيـة الحمراء من الطيف . وقد تمكن العلماء ، بعمليات رياضية معقدة طويلة ، من أن يقرروا أبعاد النجوم وسرعتها ، وجرمها ، بالاستناد إلى هذا الانتقال . فإذا درسنا المجرات البعيدة تبين لنا أمر يدهشنا كل الدهشة ، وهو أن هذه المجرات تبدو آخذة فى الابتعاد عنا ، مندفعة فى الفضاء بسرعة هائلة قد تبلغ ٤٠٠٠٠ ميل فى الثانية . ويبدو علاوة على هذا أنها كلما ازدادت بعـداً ازدادت سرعة اندفاعها . هـذه هى الفكرة المفزعة التى أظهرها البحث فى السنين الأخيرة ، عن عالم آخذ فى التمدد والانتشار بسرعة هائلة .

إن الكون كله بنجومه مختلفة الأحجام التى لا حصر لها ، والتى تندفع فى جميع الاتجاهات كأنها شـظايا قنبلة منفجرة : صورة لا يكاد المرء يتخيلها حتى يدركه البهر وتتقطع أنفاسه . ولكن يبدو لى أن الأجدر بأن يبهر ويقطع الأنفاس هو رؤية هـذا الحيوان البشرى الضئيل الذى يعيش على شـظية من شظايا نجم صغير ، فى زاوية حقـيرة من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من أمثالها . هـذا الحيوان يجرؤ على أن يسمو ببصره إلى أطراف الفضاء النهائية بجرؤ فيتحـدى ، ثم يجرؤ فيستولى على سر الكون

لروح التي جعلت سيدة جريئة تبدأ
حياتها من جديد فى سن السبعين

جدة فى الثالثة والثمانين فاتنة هوليوود

فرانك تايلور

ملخصة عن «مجلة فرانك تايلور»

إن أعجب شخصية بين كواكب هوليوود ، « أدلين دى والت رينولدز » ، وهى بدة قصيرة القامة ، زرقاء العينين ، ذات ر فضى مجموم ، وقد ظهرت فى عالم السينما سن الثمانين . والآن وقد اقتربت من الثة والثمانين ، نجدها أحب الممثلين إلى وس المشتغلين بصناعة السينما . وهى تمرض ، ولا تذهب متأخرة إلى إستوديو ، كما أنها أسرع فى حفظ أدوارها ن الممثلين الشبان . وهى كالطائر الغرّيد ، فيفة الحركة ، تبعث فى النفس البهجة . يقرب دخلها السنوى من مائة ألف دولار كلما صرفت شيكا خصم منه مبلغ للمعاش بجرت قائلة : « أأنا أتقاعد عن عملى ؟ إن عتزال العمل فكرة سخيفة ! ومن الواجب ى الإنسان أن يحتفظ بخير سنوات حياته باشر العمل الذى كانت نفسه تصبو إليه » .

وقد قالت لى : « إننى بدأت حياتى من جديد فى سن السبعين » . ولما بلغت هذه المرحلة المهمة من حياتها ، نالت درجات ممتازة حين تخرجها من جامعة كاليفورنيا .

وقد ولدت وترعرعت فى عزبة فى ولاية أمريكية ، فكانت تذرّى الحصاد ، وتحلب البقر ، وتسوق المواشى ، وتقوم بأعمال الرجال . ثم سوّلت لأبيها أن يسمح لها بالذهاب إلى مدرسة إعدادية فى بليرسون ، أقرب المدن إلى قريتهم ، غير أنها قابلت هناك فرانك رينولدز وفرت معه فتزوجا .

وبعد ذلك بسنوات قليلة رحل الزوجان الشابان وطفلاهما إلى بوسطن ، وأخذت مسز رينولدز تتعلم التمثيل فى معهد نيو إنجلند للموسيقى والإلقاء . ولقد أثار إلقاؤها لرواية شكسبير « الليلة الثانية عشرة » ، فى نفوس معلميها ، إعجاباً دعاهم إلى إرسالها إلى المدير الفنى لأعمال الممثل الإنجليزى المشهور السير

هنرى ارفنج . فقدم لها دوراً وألح عليها أن تنضم إلى فرقة تمثيلية إذا شاءت أن تنجح فى حياتها الفنية . وقال لها : «وفى وسعك أن تعهدى فى شئون أطفالك إلى غيرك » .

وبرغم هذه الفرصة النادرة التى سنحت لها ، فقد عزمت على تربية أولادها أولا . ولقد شغلتها هذه المهمة مدى حياتها . وقد توفى زوجها سنة ١٩٠٠ أثناء إقامتهم فى كاليفورنيا ، وخلف وراءه أربعة أطفال ، ولم يترك لهم ثروة . فاضطرت مسز رينولدز أن تتعلم الاختزال لكى تعول أولادها . ولكنها حين أخذت تبحث عن عمل قيل لها : « إنك كبيرة السن » .

ولما هالتها فكرة تقدمها فى السن ، وهى لا تزال فى سن الأربعين ، افتتحت هى وصديق لها مكتباً عاماً للاختزال ، وجعل عدد روّاده يزداد بالتدريج . وفى ذات يوم من سنة ١٩٠٦ دفعت آخر قسط من ثمن منزل جديد . وفى صباح اليوم التالى حدث زلزال سان فرنسسكو ، واندلعت فيها النيران فلم يبق لمكتبها ولا لمنزلها أثر . وقد قضت هى وأطفالها الأسبوعين التاليين لهذا الحادث فى خيمة للجنود ، ثم ارتحلت بعد ذلك إلى بركلى ، وأنشأت مدرسة لتعليم أعمال السكرتارية . وقبل مضى بضع سنوات استطاعت أن تشترى منزلا آخر .

وكانت مسز رينولدز فى السادسة والستين عند ما نالت ابنتها درجة «أستاذة» فقالت حينئذ : « لقد جاء دورى الآن فى الذهاب إلى الجامعة» . وقد دبرت أمرها للحصول على مصروفاتها الدراسية من الكتابة على الآلة الكاتبة لزملائها الطلبة ، ثم نالت إجازاتها سنة ١٩٣٠ . وفى هذ الوقت كانت قد أصبحت جدة لعدة أحفاد ، ولكنها مع ذلك لم تتوان عن الالتحاق بمعهد عال للتمثيل ، وتقدمت للامتحان لتلقى دروسها فى قاعة الأستاذ شارل فون نيوماير ، وكان الامتحان قراءة من شعر شكسبير ، فقرأت « الليلة الثانية عشرة » ، كما قرأتها قبل أربعين سنة حين كانت فى بوسطن ؛ فكانت فى مقدمة العشرين المقبولين . ثم أخذت تعلم الطلبة اللغة الفرنسية لتكسب مصاريف دراستها . وقد حصلت على درجة الأستاذية حين بلغت الثانية والسبعين ، ثم مثلت مع فرقة سان فرنسسكو لتكتسب خبرة فى فنها . وفى سنة ١٩٤٠ أحست بأنها مستعدة كل الاستعداد لاقتحام هوليوود . وهناك انتظرت أياماً فى مكاتب التعيين ، «ولم ينظر أحد إلى العجوز نظرة جدية» كما تقول هى .

وفى نهاية الأمر قدمت طلباً إلى جمعية التعاون المسرحى فى هوليوود ، وهى الجمعية التى أظهرت كثيراً من ممثلى السينما الناجحين

ان المدير فى حاجة إلى عجوز لتقوم بدور
زباه فى رواية « أرض الانزلاق » ،
مت مسز رينولدز بهذا الدور خير قيام ،
دعا أحد مخبرى شركة متروجلدوين ماير
يرسل تقريراً عنها إلى الشركة ، فرشحتها
ركة فى الحال لدور الجدة مع جيمس
بوارت فى رواية « تعالى عيشى معى ».
ولما ختمت مناظرها الأولى من الفيلم ،
رب لها المدير عن رأيه فى تمثيلها قائلا :
أنت طبيعية فى تمثيلك ، يا جدتى » . ثم
ت من عهد قريب بدور السيدة العجوز
وليم باول وميرنا لوى فى رواية « ظل
جل النحيف » . ومن يومئذ لم تخل
اً من عمل فى التمثيل إلا ثلاثة أسابيع .
ا تم إخراج فيلم « جزيرة الأحلام »
، مثلت فيه دور والدة شارلز لوتون ،
ها شارلز إلى صدره وهمس فى أذنها :
إنك لممثلة عظيمة يا جدتى » .

وقد فسرت نجاحها بقولها : « إن كل
يجب علىّ أن أفعله ، هو أن أكون على
جيتى » . وبالرغم من أنها أقل كواكب
ليوود احتفاظاً بطابع واحد فى تمثيلها ،
ى تمتنع عن الاشتراك فى الأفلام التى
تتفق مع الأخلاق النبيلة خشية أن
يستطيع أحفادها ، إذا ما شاهدوها أن
ولوا بخيلاء : « هذه هى جدتنا » .

وأما بيتها فيشبه مكاتب الأعمال ، فهو مزدحم بالدواليب والكتب والأوراق ، وهى لا تزال تكتب على الآلة الكاتبة بسرعة خاطفة ، وهى تحرر عليها يومياً خمس رسائل رقيقة على الأقل ، إلى الجنود. وهى نواظب على لعب الشيش فى نادى هوليوود الرياضى الخاص بالرجال لكى تحافظ على سلامة جسدها.

وقد رأت ذات صباح ، وهى بين جماعة من الممثلين ، أربعة رجال قد استلقوا على الأرض ، وهم يبذلون جهداً كبيراً فى دفع سيارة لممثل طاعن فى السن ، فحانت منها التفاتة إلى المخرج وقالت له : « لقد عرفت العجوز الآن أنه ينبغى عليها أن تتعلم قيادة السيارة » . وبعد ذلك بيوم عهدت إلى سائق مدرب فى أن يعلمها القيادة .

إن رسائل البريد التى تصل إليها من المعجبين كثيرة . ومما يثير الدهشة أن أغلب هذه الرسائل من الشبان الذين يريدون أن يعلموا السر فى فتوتها ونشاطها ، وهى تنصحهم بقولها : « يجب عليكم أن تؤدوا الأعمال التى بين أيديكم بحماسة وغيرة ، فإنكم إن فعلتم هيأتم أنفسكم لإنجاز أعمالكم على أحسن وجه . وليست هذه نصيحة أنقلها إليكم من الكتب بلا روية ، ولكننى أستمدها مما صادفته فى الحياة ، وأنا أعلم أنها السر فى احتفاظ الإنسان بفتوته » .

هودينى الساحر

ونسبس سبل ويكوبر



كان لهودينى العظيم ما لثعبان الماء من مرونة الجسد، وما للقط من تعدد الأرواح، كما كانت له قوة عجيبة جعلته يهزأ بالأغلال. فكان يفك قيود البوليس « بمجرد نقرها فى الموضع المناسب » ، ويخلص نفسه من غيابات السجون فى مدة أقل من التى يستغرقها حبسه فى السجن. وقد استمر ٢٥ عاماً يذهل المتفرجين بحيله فى التخلص والهرب.

ولقــد دفن هارى هودينى فى توابيت محكمة القفل ، وخيطت عليه أكياس من الخيش ، ووضع فى أوعيــة اللبن وبراميل البيرة . وأعجب من ذلك أنه كان يحبس فى المراجل ويبرشم عليــه ، وكان على الدوام يتخلص بوسيلة ما .

كان إريش ڤايس الابن الخامس لحــبر مهاجر من أحبار اليهود ، فلما بلغ الثانية عشرة من عمره ، فر من أهله ، وأخــذ يدرب نفســه ، على أعمال لا يربط بعضها ببعض صلة ما ، كصبى حداد ، وحائك أربطة للرقبة ، ومساعد لصانع أقفال . وقد شغلت الأقفال لبه ، فجعل يعالج فتحها بقطعة من السلك طولها بوصتان ، إلى أن كشف له جميع أسرارها .

ولما بلغ الخامسة عشر بدأ يعرض ألعاب « الشعوذة » فى حانات البيرة وفى المسار[ح] الصغيرة . وأطلق هــذا الشاب الأهيف الأزرق العينين ، الجعد الشعر ، على نفس[ه] اسم « كاردو » أو « إريش العظيم » . وقد أضاف ، شيئاً فشيئاً إلى ألعاب خفة الي[د] وحيل ورق اللعب ، والأرانب ، والقبعا[ت] الحريرية ، ألعاباً جديدة كأن يتماص م[ن] صناديق الحيل ، ويتخلص من عقد الحبال. وفى إحدى الأسواق الريفية ، أخرج عمد[ة] القرية ، زوجاً من الأغلال وسأله « أتظن أنك تستطيع أن تتخلص من هذ[ه] الأغــلال ، يا بطل ؟ » ، فأجابه هودين[ى] بقوله : « سأحاول » وانسل وراء ستار ، ثم ظهر ثانياً بعــد مضى دقيقــة والأغلا[ل] مفكوكة تتدلى من معصمه . ولقــد كانت هذه الحيلة دعامة فنه والأساس الذى قام

ليه شهرته العالمية بأنه « ملك الأغلال » .
وكان فايس قد بلغ السابعة عشرة حين
لع مصادفة على مذكرات « روبرت
دان » . وقد تركت فى نفسه أثراً عظيما ،
له على أن يسمى نفسه « هودينى » ، وعلى
، يحذو حذو الساحر الفرنسى العظيم .
ولما ذاع صيته ، أخذ يشترك فى مباريات
تمرة تحداه فيها معظم حارسى السجون
العالم ، وصانعى الأقفال ، والخبراء فى
د عقد الحبال .

وقد تحدته جريدة الديلى ميرور الكندية
يفك أغلالا قضى حداد فى صنعها خمسة
ـوام ، فكبل هودينى بالأصفاد أمام
بعة آلاف من المشاهدين كانوا يهللون
هتفون. وفى بوسطن قام أحد الرياضيين
غ ٦٠٠٠ دولار ، على أنه يستطيع أن
م تقييده ، فقضى ثلاثة أرباع الساعة يلفه
ند عليه الوثاق ، بمئات من الياردات
حبال الصيد الثقيلة . وقد تخلص هودينى
هذه « الشرنقة » ، بعد مضى ساعة
بع ساعة ، وقد تسلخ كل جلده .

وحبس عارى الجسد فى حجرة بسجن
نطن ، فتمكن من الخروج بعد دقيقتين
ماً . ثم أخذ يفتح أبواباً أخرى وينقل
اجين من حجرة إلى حجرة ، لا يريد
إللهو والتسلية ، ثم اقتحم الحجرة التى
وضعت فيها ملابسه ، وعاد إلى مكتب حارس
السجن مرتدياً ملابسه كلها بعد خمس عشرة
دقيقة من ساعة حبسه .

ولو أراد هودينى لكان مجرماً خطيرا ،
إذ كان وسعه أن يفتح خزانة الحديد العادية
فى مكتب فى أقل من لمح البصر . ثم إنه
اخترع آلة صغيرة تشبه آلة مقياس القوة
الكهربائية ، تفتح أقفال الخزانات المعقدة ،
وليس عليه إلا أن يقف أمام الخزانة ، ثم
يدير الآلة ويدفع الباب فينفتح على مصراعيه.
وقد حطم هذه الآلة قبل موته بمدة خشية
أن تقع فى أيدى المجرمين .

وكان من عادة هودينى أن يقوم
باستعراض أمام الجمهور ، بغير مقابل ، قبل
أن يبدأ فى دورة جديدة ، ليستوثق الناس
من قدرته . وكاد أحد هذه الاستعراضات
ينتهى بكارثة . فقد أعلن أنه سيقفز فى نهر
ويفك نفسه من الأغلال تحت الماء ، غير
أن ماء النهر كان متجمداً فى اليوم المعين ،
فأصر هودينى على أن يبر بوعده . وفتح
العمال ثغرة فى الجليد ، واجتمع المتفرجون
على ضفاف النهر ، وقيد رجال البوليس يديه
بالأغلال . ثم علا الصراخ عندما قفز فى الماء
البارد ، وساد صمت رهيب توترت فيه
الأعصاب خلال الدقائق التى كانت تمضى
ثقالا . لقد مرت دقيقتان . . . ثلاث دقائق،

أربع ، خمس . . . . وفى النهاية أدلى حبل فى الماء واستعد غائص للنزول فى النهر . وفى هـذه اللحظة ظهر رأس هوديني من الثغرة ، بعد أن مكث غائباً ثمانى دقائق .

لم يكن القيد هو المشكلة ، بل هو التيار قد دفعه فى مجرى النهر . غير أن هوديني كان يعلم أن بين الجليد والماء فراغاً ممتلئاً بالهواء ارتفاعه نصف بوصة ، فعام على ظهره وترك أنفه فى هذا الفراغ يستنشق الهواء. فاستطاع أن يحصل على قدر ما من الأوكسيجين أبقاه على قيد الحياة إلى أن عثر على الثغرة .

وتحداه أحـد صانعى الخمور أن يخرج من وعاء معدنى ممتلىء بالجعة . وكان هوديني قد تخلص مئات المرات من أوعية وبراميل ممتلئة بالماء واللبن ، ويداه مغلولتان تارة ، أو وهو معلق من قدميه المقيدتين بالسلاسل تارة أخرى ، غير أنه كان لا يشرب الخمر ، ولذلك لم يقو على احتمال الروائح التى كانت تفوح من الجعة . فما كان منه إلا أن رفع الغطاء ثم ارتد ثانياً إلى الوعاء وقد خدرت أعصابه ، وفى هـذه اللحظة حمله مساعده إلى الخارج .

إن السر فى تخلص هوديني لا يزال سراً خافياً ، وكان هوديني يخشى دائماً أن يعـلم المجرمون تفاصيل فنه . غير أن هناك بعض الشواهد التى تدل على أساليبه فى العمـل .

فكان يحمل معـه دائماً آلة تعينه على فتح الأقفال ، وكان يخفيها تارة فى فمه أو فى أنفه أو يلصقها فى أخمص قدميه تارة أخرى وأغلب الظن أنه كان يستطيع أن يبتلع قطعة من الحـديد ومبرداً من حجم كبير ثم يلفظهما من حلقه إذا جد الجد .

ولعل أهم عنصر فى مهارته هو سيطرته على زمام عضـلاته ، فكان وهو فى سن التاسعة يستطيع أن يلتقط بجفنيه إبراً ملقاة على الأرض ، وهو معلق من قدميـه . ثم اكتسب بعد ذلك قدرة عجيبة على السيطرة على عضلات حلقه ومعدته . وكان ذلك هو الأساس لإحدى حيـله التى أصابت نجاحاً باهراً . وذلك حين كان يبتلع حزمة من الخيط، ورزمة من الإبر ،ثم يخرج ما يقرب من مائة إبرة وهى منظومة فى قطعـة من الخيط طولها عشرين ياردة .

وكان فى وسـع هوديني أن يضخم من حجم معصميـه وكعبيه ، حين كان يكبل بالقيود ، ثم يعيـدها بعد ذلك إلى حجمها الطبيعى ليتم له الخـلاص . وكانت قدماه كأنهما له يدان أخريان ، فكان أحياناً ولأثم العشاء ، يربط اثنتى عشرة عقدة محكمة العقـد على قطعة من الخيط ، ثم يلقيها على الأرض ، ويخلع نعليه وجواربه ، ثم يفك العقد بأصابع قدميه .

وكان يسلك سبيل الرياضيين فى حيـله
ى كان يقوم بها تحت الماء . فقد درب
هســه عدة أشهر على الغوص فى طست
ستحمام ، وهو يقيس مدة بقائه تحت الماء
ماعة السباق الدقيقـة ، فيزيد هذه المدة
ريجاً . ولم يقـدم على عرض ألعـابه على
لجمهور إلا بعد أن استطاع أن يمكث أربع
ائق تحت الماء . ولكى يعد نفسه للغطس
ماء مجمد ، كان يأخذ حمامات باردة ،
يد فى برودتها تدريجياً ، إلى أن استطاع
ن يستحم فى ماء يقشعر الدب القطبي
ن برودته . ولكى يخرج من الخزائن
البراميل المحكمة القفل ، تعلم كيف يستعمل
راً محدوداً من الأوكسجين ، بأن يستنشق
مهل ، وبأن يمتنع عن بذل مجهود لا يجدى .
قال ذات مرة : « إن المجهود الرئيسى
ى ينبغى علىّ أن أبذله هو التغلب على
خوف . فحينما أكبل بالقيود ، ويقفل علىّ
صندوق ثقيل ، ثم ألقى فى اليم ، أو حينما
فن حياً تحت ست أقدام من الثرى ، يجب
ّ أن أحافظ محافظة تامة على رباطة جأشى ،
لى أن أعمل بدقة عظيمة وسرعة خاطفة .
تملكنى الذعر لقضى علىّ ، ولو ارتكبت
طأ لقضى علىّ أيضاً ، إذا أنا لم أستخدم
ل قواى على قدر طاقتى ، دون وجـل .
ن الجمهور لا يلمس إلا ما تتركه الحيلة فى
نفسه من أثر ، ولا يدرى شيئاً عن المجهود
القاتل فى رياضـة النفس لكى تتمكن من
التغلب على الخوف » .

وكانت الأساليب البسيطة التى لا يتوقعها
المرء ، هى إحـدى الوسائل التى يلجأ إليها
هودينى فى ألعابه الخداعة . ومن أمثلة ذلك
قدرته الفائقة على اختراق حائط من الطوب
الأحمـر ، فيتطوع جماعة من البنائين
فيشيدون على مرأى من المتفرجين حائطاً
قوياً من الطوب الأحمـر ، ارتفاعه عشر
أقـدام ، وطوله اثنتا عشرة قدماً ، وسمكه
قدم واحـدة . وأساس الحائط دعامة من
الحديد تقوم على عجل قابل للحركة ، وتكاد
هذه الدعامة لا ترتفع على الأرض أكثر من
بوصتين ، فتسدل الستائر على جانبى الحائط
وتوضع فى أسفل الحائط سجادة ثقيـلة من
قطعة واحدة ، وتفحص الحائط والسجادة
لجنة مؤلفة من ١٢ شخصاً من المتفرجين ،
لتستوثق من أنه ما من سـبيل لهودينى ،
لينفذ من أسفل البناء أو من أعلاه أو من
حوله . وبعـد ذلك يذهب هودينى وراء
الستار ، ثم يقول وهو على أحد جانبى الحائط :
« سأبدأ الآن » ، وبعد ثلاثين ثانية يقول :
« هأنذا » ، وإذا هو على الجانب الآخر
من الحائط .

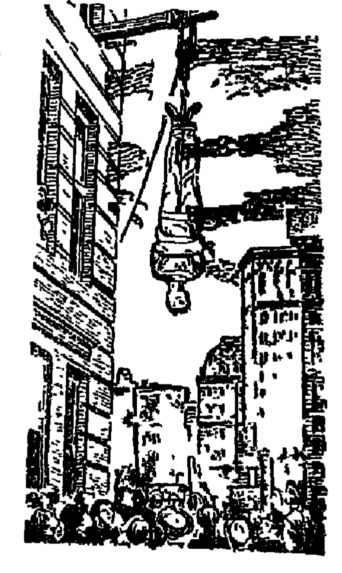
فى اللحظة التى يقول فيها «سأبدأ الآن» ،

يفتح عمال المسرح باباً متحركا أسفل الحائط مباشرة ، فتنحنى السجادة عـدة بوصات تسمح لهوديني السريع الحركة أن يفلت من تحت الحائط . ولقد تمت هذه الحيلة بمهارة عجز كل النـاس ، حتى المنافسين له من السحرة ، عن تفسيرها تفسيراً صحيحا .

وفى الأيام الأخـيرة من حياته العملية ، أعلن حرباً شـعواء على المشـعوذين من مستحضرى الأرواح ، الذين أخذوا بعـد الحرب المـاضية يستغلون مشاعر الأرامل الثكالى والآباء المفجوعين . ولقد أثبت فى محاضراته أنه يستطيع أن يعيد الكتابة الروحية وتحريك المـائدة ، وظهور الأشباح ، كما يفعل محضرو الأرواح . ولقد قدم هوديني مبلغ عشرة آلاف دولار للمحضر الذى يثبت له قدرته الروحانية الأصيلة ، فتقدم كثيرون ولم يربح أحـد ! ثم لعب هوديني وهو عضو فى لجنة مجلة سينتيفك أميريكان ، دوراً هاماً فى الـكشف عن أساليب الاحتيال التى كلفت كثيراً من الناس أموالا طائلة ، كما ساقت بعضهم إلى مستشفى المجانين . وقد كشف القناع عن أساليب مارجورى ، وسيطة بوسطن الشهيرة ، فبرهن على أنها تثير فى وهم الإنسـان أشباحاً بواسطة مكبرات للصوت معلقة فى أسلاك ، وبقرع أجراس مفزعة تخفيها فى ثيابها .

ومع أن هوديني عنى بإزاحة الستار عن الدجل والاحتيال ، فقد كان يدور فى خلده أثناء ذلك ، إمكان الاتصال بين عالم الأحياء وعالم الموتى . ولقد أسرَّ إلى زوجه رسائل خاصة ، وهو يؤمل أنه سيحاول أن يردده لها بعد موته .

وقد توفى هوديني فى أكتوبر سنة ١٩٢٦ فعقدت زوجه مئات من الجلسات الروحية فى خلال عشر سنوات ، ولـكنها لم تصل إلى نتيجة . ثم قامت بمحاولتها الأخـيرة حين احتفلت فى سـنة ١٩٣٦ بذكرى وفاته العاشرة . فقد وقفت بين أشياء عزيزة من مخلفات زوجها ، ومعها وسيط يتوسل إلى هوديني أن يعود ولـكن لم يحـدث شيء . فلما انفضت هـذه الجلسة ، قالت زوجتـه : « لم يحضر هوديني بعد ، وأنا لا أعتقد أنه سيعود فى يوم من الأيام» . ولقد كانت احتفظت عـدة سنوات بنور يلقى أشعته على صورة الساحر العظيم ، ولـكنها عادت فى تلك الليلة فأطفأته .





« بقيـة المنشور فى صفحة ٤ »

ت أغلب الوقت مشـــغولا بملاحظة
زتى والآتى .

« وأخـيراً بلغت أعلى مرتقى للطـائرة ،
اوزته ، واتفق أنى صـوبت عينى إلى
محتى ، وإذا بنا ، لا فوق البحر الأزرق
فوق القاعدة اليابانية الكبيرة فى جزيرة
موزا !! وهى رقعة سوداء كبيرة دميمة
مة . وكنا معرضين لأن تضربنا المقاتلات
انية فى أية لحظة . ولم يكن مما يطيب لى
نصبح الطائرة رقم ٩٩ أول حادث دولى .
ن أجل هذا عجلت بالخروج من هـذه
نقة ، ولكن القلق ساورنى وأنا عائد ،
أدركت للمرة الأولى أن كلارك فيـلد
نا فيلد واقعان تحت نار اليابانيين ، وفى
بهم أن يحلقوا فوق فورموزا ثم يهبطوا
رؤوسنا .

« ولم أرتح إلى هذا الخاطر ، ولم أكن
سمعت فى ذلك الوقت أن الجـــنرال
بريرتون أقل منى رضى عن موقعنا .

« وفى ٢٧ نوفمبر أنذرنا الجنرال بريرتون
وأمرنا بوجوب اليقظة والاستعداد ، فقد
تلقى من الوزارة نفس التحذير الذى أرسل
إلى بيرل هاربر : إن الحرب قـد تشب
بعد أيام ، ويحتمل أن تشب بعد ساعات .
وكان السلاح الجوى مستعداً لها فى حدود
ما نملك ، وكان الجنرال قد تخير أهدافه فى
فورموزا التى كنا نعلم أن الضربة ستجىء
منها ، وبدأت ملكاتنا (طائراتنا) المعدنية
اللامعة تكتسى ثوباً من الدهان الأدكن
الكابى ، بأسرع ما تسمح بذلك ما نملك من
وسائل . وصدر لى الأمر بأن تكون
الطائرة رقم ٩٩ تامة التمويه فى ٨ ديسمبر .

« وهذا تاريخ لن ننساه نحن الذين كنا
فى الفلبين ، أما أنتم الذين كنتم على الجانب
الآخر من خط التاريخ الدولى ، فإن اليوم
كان السابع من ديسمبر ، ولكن الحقيقة

أنه هو اليوم بعينه ، فقد ضرب اليابانيون بيرل هاربر فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً حسب التوقيت المحلى فى هونولولو ، وهذا يوافق الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح ٨ ديسمبر فى الفلبين — قبل طلوع الفجر عندنا ببضع ساعات . وكنت حينئذ نائماً فى كوخى بكلارك فيلد .

« ونهضت فى الساعة السابعة كالعادة ، ودخلت أتعثر ، وما زال النوم يغالبنى لأحلق ، وفتحت الراديو لأسمع أخبار الصباح التى يذيعها دون بل فى مانيلا ، (وعلى ذكره أقول أن من أول ما فعله اليابانيون لما دخلوا مانيلا بعد أسبوعين هو أنهم ضربوا المسكين بالرصاص) ، وإذا به يذيع النبأ العظيم بلهجة أسرع من المألوف : إن اليابانيين ضربوا هاواى . واحتشد الآخرون حول الراديو ، وقد ذهلنا جميعاً . ولم تكن التفاصيل كثيرة جداً ، ولكنه بدا لنا مما سمعنا كأن اليابانيين دمروا المكان تدميراً وجعلوا عاليه سافله . وذهبنا إلى المطعم ، وبلعنا الفطور ، ثم بادر الطيارون إلى الاجتماع بغرفة العمليات حيث درس الصاغ دون جبس معنا . وإنى لأراه الآن ، كما كان يومئذ ، أنيقاً يقظاً ، ولو أن الأجل امتد به فى هذه الحرب لكان الآن على التحقيق لواء .

« وقال : « والآن أيها السادة ، هذه هي الحرب . وإذا كانوا قد ضربوا هاواى فإنهم لا يمكن أن يعفونا ، ولا أعلم متى تجيء الضربة ، ولكنى أستطيع أن أقول لكم من أين ستأتى ، (وهنا أشار إلى الشمال) فستأتى من فوق هذا الجبل » وكان يشير إلى فورموزا .

« ولما انصرفنا قال جبس : « أنكم فى انتظار الأوامر وستجيء بسرعة طول هذا الصباح .

« فعدت إلى الطائرة رقم ٩٩ فقد كان مقرراً أن تموه هذا الصباح ، ولكن الأوامر التى جاءت الآن بدت متناقضة ، فقد جاء أولاً أمر يلغى التمويه ، وعلينا بدلا من ذلك تزود الطائرات بالقنابل ، فذهبنا فى السيارة إلى مستودع الذخيرة ، ثم جاء أمر يقول « عد بها إلى الحظيرة فإنهم يأمرون بإتمام التمويه بكل وسيلة » .

« ثم جاء أمر آخر بأن نفرغ القنابل ونضع آلات التصوير ، ولم يرد غير ذلك ولكنه كان من الواضح أنهم يعدوننا الآن للاستطلاع فوق فورموزا .

« ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن ما كان يحدث فى مطارنا كان صورة مما هو حادث في ديوان القيادة فى مانيلا ، حيث كان الجنرال بريرتون يطلب الإذن بإطلاق الطائرات ولا شك أن من السهل أن يكون المرء حكيماً رشيداً بعد الحادثة .

« ومع أن بيرل هاربر هوجم ، فإن
كونغرس (البرلمان) لم يكن إلى الآن قد
لن الحرب ، فهل تستطيع قيادة الفليبين
تضرب على الرغم من أن حالة الحرب لم
كن قد وجدت قانوناً ؟ ويستطيع السخفاء
يضحكوا من هذا الآن ، ولكن الجنرال
رتون لم يضحك يومئذ ، بيد أنه أصر
أن الأرجح ، إذا لم نضرب فورموزا
الفور ، أن لا نستطيع أن نضرب على
طلاق .

« ولما رُفض ما استأذن فيه من الضرب،
ب أن يؤذن له فى الاستطلاع الجوى ،
ف على الأقل هل تتخذ اليابان العدة
ربنا ، ولاشك أنه خرق طفيف «للحياد»
نصور فورموزا . وقالت القيادة العليا
ـا كان هذا ممكناً ، فانتظروا لتروا .

«وكنت وأنا فى موقف الانتظار والتهيؤ
طائرتى رقم ٩٩ لا أستطيع أن أعرف
ذلك الوقت أن هذا هو السبب فيما صدر
من أمر : أن أفرغ حمولتها من القنابل،
ن أجهزها بآلات التصوير، وأعجل بالتمويه
رجاء أن يجيء الإذن قريباً . وفى أثناء
ان الطائرة جلست خارج الحظيرة أصغى
آلة الراديو الصغيرة التى كانت معى .

« وكان الراديو حافلا بالإشاعات ، وكان
ها صحيحاً والبعض لم يقع بعد . وقد روى
أن حشداً كبيراً من سفن اليابان يجرى
قرب لوزون . وأن مانيلا تتوقع الإغارة
عليها من الجو فى كل لحظة — بل أذيع
أن القنابل تتساقط على كلارك فيلد » .

واستطرد فرانك فقال : « وكان عجيباً
أن أدير عينى فى كلارك فيلد تحت شمس
الضحى ، وأن أسمع الراديو فى يدى يقول
إن القنابل تتساقط عليه ! وكان هذا كلاماً
فارغاً ، ولكنه تركنا قلقين خائفين . وكان
إلى جانبي طيار آخر يصغى إلى الراديو معى
فقال بلهجة المضطرب : « لماذا بالله لا نخرج
من هذا المكان وننقذ هذه الطائرات ؟ » .

« فقلت له : « اسمع ياصديقى — خذ
الأمور مأخذ التهوين، فإننا رهن الأوامر »
ولكنى أنا كنت قد بدأت أضطرب وأقلق ،
وأذكر أنى صحت بالغلام الذى معه رشاشة
الدهان أن يسرع .

« ثم جاء بسرعة أمر آخر ، لنا نحن
الطيارين والملاحين، بأن نكون على استعداد
فى الساعة الحادية عشرة . وقد جعلت أفكر
ونحن نتناول الطعام فى احتمال ضرب
الطائرات اليابانية لنا ، وأتساءل عنها كيف
هى ياترى ؟ فما رأيت قط طائرة يابانيـة فى
فى غير صورها فى المدرسة .

« وكنت وأنا فى المطعم أشعر بتوتر ،
ولكنه لم يكن يخطر لى على بال أن كل

الأسابيع والأيام الثمينة قد ذهبت الآن وأنه لم يبق سوى دقائق ثمينة .

***

« ثم قصدت إلى خيمة العمليات ومعى إيدى أوليفر (ملاح طائرتى) ، وطلبت من تكس أن يبقى إلى جانب الطائرة رقم ٩٩ وأخبرته أنى سألحق به بعد دقائق . وقلت له : « واسمع ياتكس . هذا هو الترتيب : إذا علمنا من خيمة العمليات أننا سنضرب هنا فى كلارك فيلد ، فإن فى وسعنا أن نخرج بالطائرة رقم ٩٩ من مكانها الذى هى فيه بغير حاجة إلى الاستخدام المألوف لمدرج الطيران ، فترقب مجيئى على الدراجة من خيمة العمليات . وإذا رأيتنى أشير بيدى إلى تحت ، وأنا على ذروة الطريق ، فاعلم أن معنى هذا أنى أريد منك ان تدير محركاتها إلى أن أصل إليك » .

« فقال بهدوء «حسناً يافرنك» — ولم يرفع يده بالسلام ، ولا خبط كعباً بكعب ، فمالمثل هذا محل يذكر فى السلاح الجوى — وكر راجعاً إلى الطائرة رقم ٩٩ .

«وكانت خيمة العمليات غاصة بنحو أربعين من الطيارين والملاحين ينتظرون ما عس أن يصدر إليهم من أوامر . ففتحت الراد فى فترة الانتظار واستمعنا جميعاً إلى مح مانيلا ، وإذا بالمذيع دون بل يسوق الأخ متلاحقة . بيد أننا لم نعرف أن الدقائق الثم قد ذهبت كلها ، وأنه لم يبق الآن إلا الثوا ولم نكن نعرف أن الجنر بريرتون قد تلقى أخ الإذن من الجنرال م آرثر بأن نخرج فى ر استكشافية فوق فورمو لنرى هل يستعد اليابانيو أو لا يستعدون لضربنا ولم نكن ندرى أن الجنر بريرتون كان فى هـ اللحظة يحاول أن يتص بنا تليفونياً ليلقى إلينا هذا الأمر .

> « إن إحدانا لتعلم ، حين يطير زوجها فى مهمة ، أن هؤلاء الفتية هم أشجع الشبان وأخفهم أجساماً . وإن إحدانا حين ترى زوجها يتضاءل فى الجو ، لتعلم أنها لا ترضى بغيره بديلا »

«وكان دون بل يروى أن القنابل تسق « فعلا » على كلارك فيلد ، وكان يذيع م سطح بناء من أعلى ما فى مانيلا ، وم هناك كان يرى أعمدة الدخان المتصاعد م كلارك فيلد !

« فابتسمنا جميعاً لما سمعنا منه هذا . نكن ندرى أنه ، من مانيلا ، يستطيع يرى ما وراءنا فى إيبا فيلد ، وأن هـ الأعمدة من الدخان كانت تتصاعد من

لائرات القتال من طراز ب ٠ ٤ المحترقة ، ند كان اليابانيون فى تلك اللحظة يمزقون للاح مقاتلاتنا الأمريكية كل ممزق ، لكن بينما كنا نبتسم ونصغى إلى ما عسى ن يعرف به دون بل بعد ذلك ، إذا ندى واقف على باب الخيمة يقول بلهجة إعجاب والإكبار :

« انظروا إلى هذه التشكيلة الجميلة من ائرات الأسطول ! ما أبدعها ! » .

«فجمد الدم فى عروقى، فقد سمعت أزيزاً، صاح بعضهم : « أسطول ؟ ياللجحيم ! هاهم . أقبلوا ! » .

«فقلبنا المناضد ونحن نحاول أن نخرج من ذه الخيمة ، غير أنا لم نكن جرذاناً فزعة ، كنا مازلنا آدميين وعلى قدر من النظام .

« وأقبلت الطائرات ، واشتد ازيزها ، ن وراء الجبل كما تنبأ دون جبز — فى حشد ظيم على صورة الدال — وكانت حوالى معين من القاذفات من طراز متسوبيشى، لى ارتفاع يتراوح بين ١٨ و ٢٠ ف قدم ، أقبلت علينا ووجهتها أرضنا .

« فذهبنا نعدو إلى حفرة كبيرة قريبة رف المياه لنتخذ منها مخبأ ، ووقفت بضع ان أنظر لأرى أى نوع من القنابل بها علينا هذه الطائرات ، كما فعلت مراراً كاليفورنيا أثناء التدريب على إلقاء القنابل فى بحيرة موروك الجافة بصحراء موجيف ، وراقبت طائراتنا لأرى إلى أى حد تعد قنابلها فعالة .

«ولم يطل بى الانتظار لأن أنف الطائرة الأولى التى تقود البقية تجاوزت خط القذف، وسمعت الصفير الذى لا يرتاب أحد فى دلالته، ثم تلته الدَّبة ، فقد سقطت أول قنبلة من نوعها على الأرض على مسافة ثلاثة آلاف ياردة منا .

«ولكنه صار علينا الآن أن نجرى التماساً للنجاة ، فقد صارت التشكيلة فوق رءوسنا كأنها سحابة كبيرة يتساقط منها وابل من حجارة ضخمة .

«فذهبت أعدو إلى أقرب جحر ، وكان غير عميق ، لا يزيد عمقه على قدمين ، ولم يكن يتسع لأكثر من رجل ، ولكن اثنين منا وثبا إليه ، ولم ندرك إلا فيما بعد أنه كان فيه — سبقنا إليه — رجل آخر . وكنا حينئذ لا نفكر إلا فى هذا الزلزال وفى الضجة والدق والصفير من جراء هذه العاصفة الهائلة التى تجتاح الأرض . وكانت كل واحدة من هذه الطائرات اليابانية تلقى حوالى ١٢ قنبلة،فالجملة نحو ٥٠٠ تغطى الأرض فى وقت لا يتسع لأكثر من النطق ببضع جمل قليلة . وكنا فى أثناء ذلك ندفن أنفسنا كالدود على قدر ما نستطيع ، فى هذا

الجحر . وكان ما كنا نخشى ، وارتجفت الأرض الصلبة ، كأنها سيارة ذات عجلات من الصلب ترعد على أرض مبلطة ، أو تطايرت كتل منها كالقذائف . ودار فى نفسى أنى خليق أن أنجو إذا استطعت أن أبقى فى مكانى لحظات أخرى ، فقـد دنا الموت منا الآن جداً ، وصار الزئير ، والصـفير ، والأرض المرتجفـة أقرب ، والرعد يجلجل فوق رءوسنا ، ثم انتهى كل شىء فجأة — اجتاز الأرض هـــذا القطار القاذف ، وانصرفت عنا الأسراب اليابانية .

«ولما رفعنا رءوسنا ونهضنا كان كل شىء ساكناً ، فما عدا صوت النار ومعمعتها المتعالية ، وكان الدخان المنبعث من طائراتنا المحترقة قد بدأ يصعد ، ولم تكن أعمـدته المرتفعة قد تحولت إلى سحب كثيفة سوداء .

«ولـكنا كنا نسمع طنيناً فوق فرقعة النار ثم رأينا مصدره — عدداً من طائرات القتال مقبـلة ، لا بد أنهـا مقاتلاتنا من طراز ب ٤٠ ، ولم نكن نعرف أنها كلها فما عدا قليـلا منها قد ضربت وأسـقطت ، وأن مطارها دمر قبل أن تزورنا القاذفات .

« وهكذا وقفنا نميط الوحل عن ثيابنا ، فقد سقطت قنبلة على مسافة ١٥ قدماً ليس إلا ، منى — وراقبنا هذه التشكيلة المقبلة فى صـف طويل كأنها الأوز الطائر ، وعلى ارتفاع لا يتجاوز ألفى قدم أو ثلاثة آلاف .

«وهل نلام إذا شعرنا بشىء من انتعاش النفس ، إذ رأينـا أخيراً بعض عصبتنا فى الجو؟ ولـكنا شعرنا أيضاً بألم ومضض ، لأنها لو كانت قد جاءت قبـل ذلك بقليل لـكانت قد عصفت بالطائرات المغيرة اليابانية . وإذا ببعضهم يصيح فجأة : « انظروا بالله عليكم ، انظروا إلى هذه الدائرة الحمراء ! نعم — هى بعينها ، شمس اليـابان الطالعة ! طائرات ناكاجيما وبعض طائرات زيرو ، ومن كل واحدة منها يطل يابانى ويميـل بوجهه إلى الأرض ، وهو يدور ليتخير قلعة من قلاعنا يهاجمها .

« وداروا ثلاثة أرباع الدائرة ، وكان صنيعهم هـــذا كالضرب بالسياط لمطارنا المنـكود ، ثم تهيـأوا لضربنا بالمـدافع الرشاشة .

«وكنا قد شرعنا نخرج من جحورنا غير أنا الآن انكفأنا إليها ، فقـد صرنا فى مرحـلة أشبهنا فيها الجرذان . وكان الذى يقصد إليه اليابانيون هو أن يحيلوا منطقة الهدف جحيما . وكنت أرى أمامى رجالا يختفون فى حفرة ، فاختبأت فى جحرى ، وجاء جنـدى فارتمى على ، ورأيت أن مأكمته قد قطعت ونسفت ، وقـد مات أمام عينى .

«وكان على مقربة من النقرة التى كنا فيها
ة يحيط بها جـدار مقوس من أكياس
مل لوقايتها من الشظايا ، فاتخذتها إحدى
ئرات ناكاجما هدفاً لهـا .

« وكانت الطائرة اليابانية لا تنفك تعود
ة بعـد مرة ، وقد هبطت فى دورانهـا
ى صارت على ارتفاع ١٥ قدما من جناحى
لعـة . وكان الضرب كأنه آلىّ ، فإذا
ربت انطلقت مدافع من الجناح تدمدم ،
لأ الجو بخيوط بيضاء ، حتى إذا أرته هذه
خيوط أن هدفه خليق أن يصاب ، فتح مدفع
نابل التى من عيار ٢٠ مليمترا وأرسل
بلا من القذائف أعمق صوتاً .

« وكان ما لدينـا مـن المدافع المضـادة
لائرات قد أخذ ينطلق ، ولـكنه لم يكن
نع شيئاً ، لـكثرة الدخان الأسود ، ولأن
ه المدافع لم تصنع لتضرب على مثل هذا
ى القريب . ومن أجل هذا شننّا نحن
باً صغيرة من حفرتنا ، وصرنا كلمـا جاء
ابانى نطلق عليـه مسدساتنا ، ولست
تطيع أن أزعم أننا كبدناه خسارة أو
أ ، ولـكن عملنا هذا كان يشفى قلوبنا
ن الشفاء مما تجد .

« وفى هذه الأثناء كنت تسمع من جميع
ـاء المطار صوتين : الأول الدمدمة
ريعة العالية من المدافع المركبة فى أجنحة
الطائرات ، والغرض منها التثبت من الهدف ،
يتبعه الصوت الآخر — وهو أبطأ — من
مدافع القنابل التى يقذف بها الهدف . أما
الصوت الثانى فكان أشد تخليعاً للفؤاد ، وهو
يبدأ بهسيس متعال معناه أن رصاصة اخترقت
خزان البنزين فى إحدى قلاعنا الطائرة ،
ويلى ذلك عجيج عظيم معناه أن البنزين
المحترق قد فجر قنابل الطائرة .

« وانتهت الغارة فجأة ، وارتفعت طائرات
ناكاجما وزيرو عن المطار كالغربان عن جثة
وقعت عليهـا بحسن حظها ، وأصابت منهـا
شبعها ، ثم انتظمت فى أسراب ، واختفت
فى اتجاه حاملة طائرات كانت فى مكان ما على
مقربة من لوزون .

« وبرزنا من جحورنا ، لنعود إلى خيمة
العمليـات وندلى بتقـاريرنا ، ولـكنه كان
علينـا أولا أن ندور حول حطام الطـائرة
المسـكينة التى كانت لا تزال تحترق ، كأنهـا
جواد حرب أصيل فى اصطبل يحـــترق ،
وكنا نناى عنها ونحن نطوف بها ، لا من
شدة حر النار فحسب ، بل لأن ما أصابهـا
كان أليماً ، ولم نـكن نطيق أن ننظر إلى
ما صارت إليه .

«وكانت خيمة العمليات قد نجت بأعجوبة ،
ورأينا فى وجه الصاغ جبز الأثر الذى كنا
نعلم أنه ارتسم على وجوهنا ، لما أدرنا عيوننا

فى حراب المطار، وفى الحطام المحترق، لما كان أقوى أسطول جوى من القاذفات ذوات المحركات الأربعة، فى العالم .

«وقال جبز: «فرانك، يحسن أن تذهب إلى طائرتك لترى هل لا يزال فى وسعها أن تطير» .

«ولعلكم تذكرون أن الطائرة رقم ٩٩ كانت بعيدة عن الأعين وراء المرتفع الذى فى مدرج المطار .

«فركبت دراجتى، وقد حدثتكم بما رأيت — وكيف وجدت رجالى صرعى، وكيف ذهبت أخطو إلى جانب صفهم، وأحادث كلا منهم وهو راقد، كأنما أريد أن أشرح لهم ما وقع وأفسره لهم .

«ثم صار فى وسعنا أن نحصى ما أصابنا من خسارة . وكان كل ما بقى سليما هو رقعة واحدة من مدرج الطيران يمكن أن تنظف وتستعمل . وتذكرون أن فرقة القذف التاسعة عشرة كانت مؤلفة من ٣٥ قلعة طائرة أبية، وكانت اثنتا عشرة منها قد ذهبت إلى مطار «ديل مونتى» فى مندانا و، فسلمت من هذه الغارة . وفيما عدا هذه لم يسلم من البقية التى كانت فى مطار كلارك سوى خمس يمكن أن تسمى طائرات، وحتى هذه الخمس أصيبت بعطب شديد، ولم تكن واحدة منها تستطيع أن تطير . ولكن إذا أخذنا الحطام كله وجمعناه، وأبدلنا جناحاً هنا، وذنباً هناك، وانتفعنا بمحركين سليمين من طائرة، فإن فى مرجونا، على ما قال قائد سربنا القائمقام يوبانك، أن نخرج من الأربع والعشرين طائرة التى كانت على أرض المطار فى ذلك الصباح، بثلاث طائرات قد تستطيع أن تصعد إلى الجو بعد إصلاح مدرج الطيران .

«وكان النهار قد ارتفع، فقال القائمقام يوبانك: إنه ليس ثم شىء يستطيع الطيارون أن يصنعوه، فعلينا أن نغادر منطقة الهدف إلى الصباح . فوجدت أنا وطيار آخر غرفة فى بيت لأحد الأهالى، وتساءلت وأنا أبسط فراشى: أترى سمعت مارجو فى نصف الكرة الآخر، بشىء ؟ وكم ترى سيمضى من الوقت قبل أن يتسنى لى أن أخبرها أنى أنا وإيدى أوليفر كل من بقى من الطائرة رقم ٩٩ التى ودعتها فى البوكيرك قبل ستة أسابيع ؟

* * *

«وفى الصباح الباكر عدت إلى المطار وقدمت نفسى إلى القائمقام يوبانك فعهد إلىّ فى القيام على برج المراقبة فى المطار، وكانت ست من القلاع الطائرة التى فى مندانا و قد عادت من مطار «ديل مونتى»، وهبطت إلى ما بقى من مدرج الطيران سليما — ومن

ار كله — وكان طول هذه الرقعة ٢٠٠٠
. ثم فُـرِّقت فى الأرض ريثما تتزود من
ين والقنابل ، واجتمع طياروها حول
ئمقام الذى عين لهم أهدافهم . وكان
ـولهم جميعاً وهم وقوف ، حتى لكأنه
رف عليهم ، صديقى القديم كولين كيللى .
ى لأرى الآن شعره الأسود المتجعد ،
إمته المديدة المعتدلة ، وكتفيه المرتدتين
الوراء كعادته . وكنت أعلم أنهم سيرسلون
مهمة كثيرة الأخطار ، ولم أستطع أن
بح نفسى عن الدنو والإصغاء ، بينما كان
ئمقام يبين لكولين هدفه ، وكنت أشعر
بطف الأخ الأكبر ، فقد كان أحد أعوانى
قيادة الطائرة فى مطار مارش ، فالآن
لت إليه أول مهمة حربية ينهض بها .
ان الهدف الذى اختير له هو سفن النقل
ى جاءت الأخبار بأنها فى شمالى لوزون ،
هذه لا بد أن تكون وسائل الدفاع عنها
ية . وكان التعب بادياً على كولين ، فقد ظل
ير طول الليل ، ولم ينم إلا غرارا ، وكانت
لته الأنيقة فى العادة ملوثة بالشحم كأنما كان
ح طائرته بنفسه ، ولم يتسع الوقت لأكثر
ن تبادل التحية بإشارة اليد وهو يمضى
، طائرته ، وعدت أنا فصعدت إلى البرج .
ن البرج قد صار كأنه غربال من كثرة
صاص الذى اخترق حديده أثناء الغارة أمس .

« وكان علىّ أن أتولى أنوار البرج ، فأعطى الطيارين إشارة النزول حين يقبلون ، ولكن القائمقام لم يشأ أن يجازف أو يعرض أى شىء آخر للخسارة ، فأمرنى أن أبقى كل قلعة طائرة تجىء ، فى الجو تدور فوق المطار ، حتى يصدر هو أمراً آخر .

« وإنى لهناك وإذا بطائرة صغيرة واطئة من طراز ب ٣٦ التى يستخدمها سلاح الجو الفليبينى ، مقبلة ، وهى طائرة قديمة تصلح أن توضع فى متحف ، فأشرت إلى الطيار بالنور الأخضر ، لأنى تبينت أن طائرته كلها ثقوب من الرصاص الذى أصابها ، فلا قدرة لها فيما رأيت ، على البقاء فى الجو .

« ووثب الطيار الفليبينى المقاتل الصغير الجسم ، وكان كل ما يطلبه هو أن يملأ خزانه بنزيناً ، وأن يزود بالكفاية من القذائف لمدفعه الصغير من عيار ٣٠ ، ثم إذا به فى الهواء مرة أخرى . ألا لقد أبلى هؤلاء الفليبينيون الصغار الأجسام بلاء حسناً دفاعاً عن جزائرهم بهذه الطائرات العتيقة .

« وكانت مقاتلاتنا فى ذلك الصباح ، وقد نجا منها من غارة الأمس على مطار إيبا حوالى ١٥ من الأربع والعشرين التى كانت هناك ، تقوم بعمل بديع ، وتتعلم أيضاً ، فقد كان هذا أول عهدها بالقتال الحقيقى .

وما أكثر مالا يستطيع أن يعلمه أحـد عن الحرب فى المناورات! واسأل « بز واجنر » خير هؤلاء القاتلة جميعاً ، يقل لك ما أقول أو على الأصح ، كان خليقاً أن يقول لك ذلك قبل أن يموت .

« وقد قام بز واجنر فى ذلك الصباح ، وبطائرة واحدة من طراز ب ٤٠ ، بعمل لا يضطلع به فى العادة أقل من سرب كامل ؛ فقد أرسل فى بكرة الصبح بذخيرة كاملة لمدافعه ، وتحت جناحيه قنابل زنة الواحدة منها ثلاثون رطلا ، فكان فى وسعه أن يعصف بكل ما يلتقى به أو يراه .

« وخرج إلى البحر شمالى لوزون ، فلمح أربع طائرات مقاتلة يابانية، محلقة فوقه ، فهمّ بأن يرمى قنابله تخفيفاً لحمله،وليكون أسرع وأقدر على المحاورة والمناورة ، ثم بعد ذلك يرقى فى الجو لينازل العدو ، ولكن القنابل التى زود بها كانت قد أعطيت له ليلقيها على طائرات جاء بها اليابانيون ووضعوها فى مطار قرب لنجاين ، فمضى واجـنر فى طريقه .

« وإنه لآخذ سمته إلى غايته،وإذا بما يملأ حوالى ثلاثة أصـواع من الرصاص الحامى الأحمر المتوهج ، يهسّ ماراً على مقربة من برجه — فقد انقضت عليـه اثنتان من المقاتلات اليابانية لتدمره .

« وكانتا مقبلتين عليه بعزم صارم فقام بمناورة بارعة — رد طائرته بغتة ليدعهما تمران إلى جانبـه بسلام ، ثم صب ناره على ذنبيهما ، فأصابهما من ذلك ما أشعل فيهما النار . فبورك فى هذه المدافع من عيار ٥٠! وكان بطراز ب ٤٠ ستة من هذه المدافع ، وكانت إذا تكلمت ألسنتها الحامية لم يبق لغيرها ما يقول .

« ولا تنسوا أن واجنر لم يلق قنابله فى البحر ، طول هذا الوقت ، وقد كان من السهل أن يكلفه احتفاظه بها حياته ، ولكن مهمته كانت أن يصل إلى مطار لنجاين وكان على موعد هنـاك مع الملازم رسل تشرش .

« ولما اقترب من لنجاين رأى « رسل تشرش » الذى سار إلى جانبـه ثم أبصر هدفه — كل هذه الطائرات اليابانية جاثمة على الأرض كأنما هى معدة للتفتيش العادى فى زمن السلم . وأود هنا أن أنبهكم إلى أمر هو أن السلاح الجوى الأمريكى ليس هو الوحيـد الذى يؤخذ على غرة ويفاجأ من حيث لا يحتسب .

« وهكذا سـارا — واجنر أولا ويليه رسل — مارين بالمطار ، ولما صار أول هدف قيد عيونهما ، ألقى واجنر القنبلة الأولى ثم غيرها من قنابله زنة ٣٠ رطلا ، ورد بصره

الوراء ، فرأى رسل فى أثره . وعبر
ر المطار ثم دار دورة سريعة ليراقب
رسل وهى تسقط . وكان ذنب
رة التى يقودها رسل قد اشتعلت فيه
من قذائف المدافع اليابانية المضادة ،
رسل يعرف ذلك، ولكنه واصل عمله
اب الطائرات اليابانية المصطفة بانتظام
بات مباشرة . وكان واجنر لا يزال
به ، فرآه يدور عند آخر المطار وهو
قليلا ثم يهوى إلى الأرض . ويقول
جنر : إن من الممكن أن يكون رسل قد
تطاع أن يتخلص ويلقى بنفسه بالمظلة ،
كن واجنر لم يستطع أن يتلكأ ليستثبت ،
ه كان يقوم حينئذ بجولته الثانية فوق
ار ، وحده . فمرق مرة أخرى بين
ائف المدافع المضادة وأطلق على هذه
لطائرة الجاثمة مدافعه من عيار ٥٠ ، وكان
من الطائرات يحترق ، واجتاز المطار ،
بجولة ثالثة، وإذا بقذائف تسديد الهدف
انية تصفر من خلفه ، فأدار عينه فرأى
ائرتين الباقيتين من الأربع اليابانية من
از زيرو تنقض عليه . ولم يكن يسعه
ء سوى أن يستحث طائرته على أقصى
عة تدخل فى طوقها ليفلت ، وصارينأى
طائرتى زيرو شبراً فشبراً ، حتى عاد
لم المطار » .

واستطرد فرانك فقال: « ولكن مهمتى
كانت أن أكون فى برج المراقبة ، لا أن
أذهب فى مهمات . فبعد الظهر بقليل اتفق
أن صعدت طرفى إلى غمامة تأدَّى إلى من
ورائها أزيز إحدى طائراتنا ، وكان يبدو
أنها تحاول أن تنزل ، وإذا بى أرى مظلة
تنفتح تحت الغمامة ، ثم أخرى ، فثالثة ،
وقد عددت من هذه المظلات ثمانى ، فلابد
أنها إحدى قلاعنا الطائرة ، ولكنى لم أر
التاسعة ، ورأيت بدلا منها جسما أسود يهوى
إلى الارض . هى إحدى قلاعنا ، ولكن
من الطيار ؟ ولم أعرف إلا فى المساء أنه
كولن ، وكان قد خرج ليقوم بالمهمة التى
وكلت إليه فى الصباح على مسمع منى، فأصاب
أكبر هدف يطمع فى مثله طيار إصابة
مباشرة ، ولما انثنى عائداً تبعته طائرتان
مقاتلتان يابانيتان، وأصابتا أنابيب الأوكسجين
بقنبلة محرقة ، فشبت النار كأنها فى قطن
مغموس فى البنزين . ولكن لم يضطرب
ولم يرتبك ، فأمر الثمانية الآخرين من
رجال طائرته أن يغادروا الطائرة ، ففعلوا .

« ومن القواعد المقررة فى قلعة طائرة
أن يكون الطيار آخر من يغادرها ، وهذا
فى السلاح الجوى لا يعد مسألة شهامة أو
بسالة ، لأنه لا بد من بقاء بعضهم أمام عجلة
القيادة ليحتفظ للطائرة باستوائها وارتفاع

جانبها الأيمن ، ريثما يقفز منها الآخرون . والبعض الموكول إليه هذا هو الطيار .

« وقد بقى كولن أمام عجـــلة القيادة وطائرته تهبط والأوكسجين يحترق ، وخرج الثمانية جميعاً ، ولـكن لما جاء دور كولن كان قد دنا من الأرض جـداً فلم تتح له فرصة للخروج .

« وقد سمعت أيضاً ، حين سمعت كل هذا ، بالهدف الضخم الذى أصابه كولن ، وكان بارجة يابانية ضربها وأغرقها ، ولـكنى لم أعبأ بهذا كثيراً فى ذلك الوقت ، ولا أظن أن كولن عبأ به شيئاً .

« وبعد الظهر بقليل أقبلت إحـدى مقاتلاتنا تضطرب كالطير المجروح وقد فقدت قطعة من جناح ، وبينما هى تهوى إلى المدرج الضيق اصطدمت بجناح إحـدى قلاعنا المعطوبة قليلا فأطارته ، وانقلبت فاصطدمت بالأشجار ، فقتل شاويش كان يعمل فى طائرة أخرى هناك ، ولم يصب الطيار بسوء ، ولـكن طائرة أخرى من مقاتلاتنا القلائل الثمينة ذهبت .

« وكانت تلك الليلة مضنية ، وقد قضيت معظمها فى البرج . وكنا قد لفقنا نظاماً من الأنوار لمساعدة الطائرات على النزول ، لم يصلح إلا نحو نصف الوقت ، وكنا إذا استطعنا أن ننزل طائرة على الأرض ، يمشى على جانبيها — عند طرفى الجناحين — اثنان يحملان مصباحين ، ليهدياها إلى مكانها فى منطقة التوزيع ، وليحولا بينها وبين التردّى فى إحدى الحفر التى أحدثتها القنابل .

* * *

« وفى اليوم التالى صار من الواضح أن علينا أن نرحل عن مطار كلارك فيلد ، فقد كان غاصاً بحفر القنابل ، وكنا فى متناول فورموزا ، ولا مقاتلات تدافع عنا ، وليس لنا إلا أقل من القليل من المدافع المضادة للطائرات .

« من أجل هـذا بدأ الجلاء فى صباح اليوم التالى ، وقد أعطونى إحدى الطائرات التى رقعوها ، فقمت برحلتين ذهاباً وإياباً إلى ديل مونتى ، ومعى فى كل رحلة رجال من عمال الطائرات على الأرض ليقوموا على خدمة طائراتنا فى ديل مونتى .

« ولن أنسى أبداً آخر رحلة ، وكانت ليلا كما هو مفهوم بالبداهة — فقد كان الطيران نهاراً غير مأمون — وقد حلقت فى الساعة الثالثة صباحاً ، وإذا بأحد الميكانيكيين يخبرنى فجأة أن فى أنبوبة البنزين ثقباً كبيراً فماذا كنت عسى أن أصنع ؟ كل ما كان يسعنا أن نصنع هو أن نلف حول الأنبوبة المثقوبة شريطاً لاصقاً ، ونسرع ما استطعنا ، ونسأل الله أن يقينا شر اندلاع النار ونحن

الجو . وقد نجحنا ، وشاءت المقادير أن
ن هذه آخر رحلة لي في مطار كلارك ،
اليابانيين عادوا في اليوم التالي ودمروا
ما بقي فيه . وقد فقدت في هذه الغارة
جرائها كل ما كان لي ، وفي جملتها
عات الصغيرة ، واليوميات ، والمحافظ
كانت لرجال الطائرة رقم ٩٩ .

« والآن صرنا في ديل مونتي ، ومعنا
عشرة من القلاع الطائرة ، ولكنها
وغة وسيئة الحال ، حتى لنعد سعداء إذا
طعنا أن نرتفع بست منها عن الأرض
قت معاً .

«ولكن البقعة كانت، فيما عدا ذلك، أنيقة
ة ، فقد كان فيها أرض خضراء زكية ،
مصنع كبير للأناناس المحفوظ ، وناد
بركة للسباحة ، وملاعب للتنس ، وعدد
النساء البيض ، حتى لراح كل فتياتنا
لقون ويحدقون في وجوههن ، ولكنه
كن هناك لا مدفع مضاد للطائرات ،
طائرة قتال تحمينا في دائرة يبلغ قطرها
من الأميال .

« وازداد قلقنا على الأيام . فهنا في هذا
ر الجميل ، رأينا اناساً لم يكن يبدو
أنهم يعرفون أن الحرب قد قامت .
كل ما حولنا من العسكريين جماعة
فرق النقل . وفي أول يوم نزلنا فيه
دعوت اثنين من الجنود وأمرتهما أن
يحجبا الأنوار الكاشفة في كل سيارة تدنو
من المطار ، كائناً من كان صاحبها أو
راكبها ، فنفذا أمري ، واتفق أن وقفا
سيارة لأركان حرب في فرقة النقل ، فتوعد
هذا الضابط أن يضع حداً لهذه السخافات .

« وقبل أن يزورنا اليابانيون، استطاعت
فرقة القذف التاسعة عشرة ، أو ما بقي منها ،
أن تضربهم ضرباً وجيعاً . مثال ذلك بعثة
خليج ليجاسبي . وكان قلم استخباراتنا قد
أنبأنا أن حشداً كبيراً من السفن اليابانية
يتحرك جنوباً نحونا على شاطىء لوزون ،
وكان هذا معناه هلاكنا ، ولا سيما إذا كانت
إحدى السفن حاملة طائرات ، وعليها
طائرات زيرو، فتستطيع أن تضربنا بمدافعها
الرشاشة ونحن على الأرض . ولا تنسوا أنه
لم يكن لنا طائرة قتال واحدة في دائرة
قطرها خمسمائة ميل، حول مطار ديل مونتي

« فكان علينا أن ننهض ونصنع كل
ما يدخل في وسعنا . وكنا نعمل كالشياطين،
حتى صار عندنا ست طائرات ، ظننا أنها
صالحة لأداء هذه المهمة . ولكني في ذلك
الوقت لم يكن لي طائرة أقودها ، ولهذا
يحسن أن يقص هاري هذا الخبر عليكم ، فقد
كان هو الملاح في الطائرة التي قادها
جاك أدامز » .

فقال هاري : «كان على الطائرات الست أن تقـوم فى الساعة العاشرة ، فراح جيم كونالاى يدرج بطائرته ، وإذا بإطار عجلته يثقب ويخلو من الهواء على المدرج ، فمالت الطائرة واصطدم جناحها بالأرض ، وأصابه من ذلك تلف، فبقيت خمس طائرات ولم يكن هـذا مما يحمد ، فإن فى الكثرة الأمن والسلامة ، إذا كانت الطائرات من القلاع ، وكلما كانت النار التى تصبها على طائرات زيرو أقوى ، كان ذلك أدعى لسلامة القلاع وعودتها إلى قاعدتها . ولكنا قمنا على كل حال .

«وكنا نطير فى نظام، ونرقى فى الجو باطراد إلى الارتفاع المتفق عليه وهو ٢٥٫٠٠٠ قدم . وبعد ساعة من خروجنا من مطار ديل مونتى ، تخلفت عن الصف إحدى الطائرات فقلنا : لعل بمحركاتها شيئاً لا يساعدها على المواظبة على الصعود . وبعد نصف ساعة تخلفت طائرة ثانية ، ولما دنونا من هدفنا تخلفت ثالثة ، وكنا نستطيع أن نرى محركاتها ضعيفة ، وأنها لا تستطيع أن تصعد إلى الارتفاع المنشود .

«وكنا لاعتقادنا أن طائراتنا ستظل ستة قد اتفقنا على تقسيمها إلى سربين ، فى كل سرب ثلاث طائرات ، وإذا بكل ما بقى طائرتان ليس إلا ، فقرر أحد الطيارين

الاثنين أن يزعم أنه السرب الأول ، وأ[...] يكون الطيار الآخر هو السرب الثانى[...] اثنان ضد هذه العصابة الكبيرة من الس[...] اليابانية .

« وكان على جاك أن يكون هو البادى[...] ولكن السحب كانت من الكثافة بح[...] كان لا معدى من الهبوط إلى ارت[...] ١٨٫٠٠٠ قدم ، قبل أن نستطيع أن [...] الهدف . وقد رأيناه ، وهو صف من س[...] النقل معها سفن حربية للحراسة ، [...] تنسوا أننا هبطنا إلى ١٨٫٠٠٠ قدم . ول[...] هذا بالارتفاع الموافق لنا فإن الطراز الق[...] « د » من القلاع الطائرة ، مصنوع لك[...] أفعل على ضعفى هذا الارتفاع تقريباً . [...] ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم فهو أصلح ما يك[...] لطائرات زيرو .

«وإذا أردت أن تعرف طراز «د»[...] القلاع الطائرة معرفتها، وتلم بطريقك [...] فتصور أن أنفها رأس سمكة مصنوع [...] صلصال شفاف . وفى الفك الأعلى يقعد ال[...] وزميله جنباً إلى جنب ، وهذا هو [...] الطيارين، وفى وسعهما أن يريا ما أمامه[...] وما على الجانبين، ولكنهما لا يستطيعا[...] يبصرا ما تحتهما . وتحت مقعديهما ا[...] الأسفل فى رأس السمكة ، وتصل إليه[...] باب صغير كباب الفخ ، وهنا مكان ا[...]

ى ، ومكانه مصنوع أيضاً من صلصال
ف ، وفيه يجلس معــه قاذف القنابل ،
وسعهما أن يريا ما أمامهما وما تحتهما ،
كنهما لا يبصران ما فوقهما .

« ومتى وصلنا إلى الهدف فإن وظيفتى
ح تنتهى إلى حين ، فأرتد إلى مستودع
بل حيث تـكون معلقــة بحمالات على
ى ممشى صغير ، فأساعد على نزع دبابيس
لاق للقنابل . والمـكان مظلم لا يضيئه
مصباح كهربائى صغير .

« والآن يفتح باب المستودع فيغمر
ء القنابل ، ثم تذهب القنابل ، وقبل
رد الأبواب وتوصد ، ألمح جماعة من
ات زيرو منطلقة فى أثرنا .

« فأخبر جاك أدامز ، فيتجه إلى سحابة
أنها على عشرة آلاف قدم فننحدر إليها
وتنا ، وفى أثناء ذلك تكون طائرات
فى أثرنا وتدنو منا، ولاتلبث أن تطلق
ا علينا ، وبينما نحن مسرعون إلى
ابة ، يقوم المدفعيون بالرد على العدو .
وكان هناك خمس من طائرات زيرو
ا وتصعد إلى ما فوق ذنبنا ، وقد
ل مدفعينا التحتى " أقرب الخمس ، ولـكن
ع الأخرى ظلت مقبلة فى نظام متماسك،
جاك أدامز يحرك ذنب الطائرة إلى
وإلى تحت ، ليمكن المدفعيين العلويين

من ضرب المطاردات . وقد كان . أصاب
المدفعى العلوى واحدة، فبقيت ثلاث.

« ورأى جاك أن يكبح الطائرة فجأة ،
فتجاوزتنا إحدى طائرات زيرو إلى الشمال
فصارت صيداً حسناً لمدفعينا الجانبى . ثم
أقبلت أخرى تحت جهاز التوازن فى الذنب
ففاز مدفعينا التحتى بصيده الثانى فى يومه ،
وهكذا دمرنا أربعاً وبقيت واحدة كانت
لا تزال تهاجمنا على الرغم من كل ما فعلناه .

«ومما زاد الحال سوءاً أن هذه السحابة
اللعينة التى قدرنا أن تكون على ارتفاع
١٠٫٠٠٠ قدم تبين أنها على ارتفاع
٤٫٠٠٠ فقط ، وليس ثم أحجام قياسـية
للسحب ، فلا يسعك أن تعرف على وجه
التحقيق مبلغ بعدها منك ، ولـكنا دخلنا
أخيراً فى سحابة .

«غير أنه لما أراد جاك أن يخرج من
مخبئنا وينطلق ، وجد أنه لا قدرة له على
ذلك ، لأن طائرات زيرو كانت قد أصابت
وعطلت المحركين رقمى ١و٢ ، فصرنا نفقد
سرعتنا وارتفاعنـا أيضاً ، ونهبط ببطء فى
هذه السحابة على الرغم مما بذلناه من جهود .

« وكانت طائرة زيرو الباقية قد تبعتنا
فى قلب السحابة ، وكانت لا تنفك، من حين
إلى حين ، تضربنا برصاصها ، ولن ننسى
أبداً صوت هذا الرصاص اليابانى وهو ينثر

فى قلب طائرتنا ، فقد كان يخترق قشرة الألومنيوم كأنه جلد إنسان، ويصيب موضعاً من الدرع ، ثم يرتد . وما لبثنا ونحن نهوى فى كفاف هذه السحابة وأسافلها أن صاح بنا الطيار المساعد أن نستعد لنزول اضطرارى . وكان جاك يبحث عن رملة مستوية يهبط عليها ، غير أنه لم يكن ثم رملة ما ، ولا شىء غير صخور يدور بها ويلتف عليها الزبد . فاتجه جاك إلى الأرض ، فرأينا أمامنا جماعة كبيرة من الشجر يبلغ علوها ستين قدماً ، فلم يبق إلا أن نصلى ونبتهل إلى الله . ولكن جاك ارتفع بها إلى ما فوق الشجر، ثم نزل بها على بطنها فى مزرعة أرز خير نزول يمكن أن نطمع فيه .

«ولعلكم نسيتم طائرة زيرو الباقية ! أما أنا فما نسيتها، لأنها طاردتنا على طول طريقنا ونحن نهبط ، ولقد خرجت زاحفاً من الطائرة بأسرع ما استطعت ، وذهبت أعدو . والمضحك أن « بيل ريلنج » ، الطيار المساعد ، كان إما مذهولا أو راضياً عن المكان الذى هو فيه من الطائرة ، فقد بقى فى مقعده بينما كانت طائرة زيرو تدور، ثم أقبلت ومدافعها تقذف النار ، وقد وشم الرصاص جناح القلعة كله ، بينما كان ريلنج قاعداً يحلم مستريحاً فى مقعده والرصاص يتناثر من حوله . وصدقونى أو لا تصدقوا ! فما أصابه شىء ، حتى ولا خدش . وهنا يثبت أنه يستوى أن تجرى فى أية ناحي[ة] أو لا تجرى على الإطلاق » .

* * *

وقال فرانك : « ومر بالطائرة الأخرى وقت عصيب أيضاً ، فإن الطيار فاندفانتر حلق فوق الهدف بعد أدامز بثلاث دقائق، وطورد حتى دخل فى سحابة، وظلت طائرات زيرو تطوف حول السحابة حيث بقى محبوساً فيها محتنقاً بها زمناً ، وكلما بدا منه جناح صبت عليه طائرات زيرو نارها، ولكنه تمكن من العود بطائرته » .

واستأنف الملاح هارى حديثه فقال « وعانينا بعض المتاعب من جراء ما أصاب طائرة أدامز . فإنى لما نهضت عن الأرض بعد أن انتهت طائرة زيرو من قذفنا برصاص مدفعها الرشاش، وجدت أن شاويشاً أصيب فى ساقه برصاصة ، وأنا أيضاً أصبت بخدش من رصاصة ، ولكنه لم يكن شيئاً يستحق الذكر .

« وأحسب أن لكم أن تقولوا إن إجازتى من السلاح الجوى تبدأ من هذه النقطة، فما وقعت عينى على أحد من رجال الفرقة التاسعة عشرة إلا بعد أن وصلت أستراليا فى شهر مارس . وكانت الفرقة قبل ذلك قد طوردت إلى مطار ديل مونتى ، ثم ألقى

ذلك من بقى منهم فى معارك جاوة .
، أثناء ذلك وقع لى كثير .
« فبعد ثلاث دقائق من نزولنا الجبرى
حقل الأرز ، أحاط بنا جماعة من
بينيين ، وهم جميعاً يلوحون بأطول
حدّ مدى تود أن تراها . ولكننا أقنعناهم
ا السنا يابانيين ، فبذلوا لنا جميعاً معونتهم ،
خبرونا أننا فى جزيرة ماسباته ، وصنعوا
ة مريحة للشاويش المجروح .

« وأراد هؤلاء الأهالى أن يكرموا
باط الأمريكيين الذين يحاربون فى سبيل
ـهم ، فجاءونى بحمار أركبه ، وكان الرفض
قاً أن يعد إهانة لهم ، ولكنى لم أكن
ور مبلغ العناء الذى تكبدته .

« فقد كان هـذا الحمار كأنه محروم من
عام ، وكانت عظمة ظهره ناتئة ، ولم يكن
من وسـيلة للسيطرة عليه ، فقد كان
لف ويقف ليأكل بعض الحشيش ،
يلمح أمامه أتانا فيذهب يعدو ليدركها ،
ا ذهب يعدو فإنى أنا أرتج ، فأرتفع
حط على تلك العظمة البارزة .

« وبلغنا قرية بعد قليل ، ووجدنا طبيباً
، بساق الشاويش .

« ومضى نحو أسبوع قبـل أن نبرح
ه الجزيرة فى زورق طويل ، نزلنا منه
باناى . ولما قدمنا أنفسنا إلى الجنرال
تشينويث قيل لنا إن الفرقة التاسعة عشرة
غادرت منداناو إلى أستراليا . وأخذونا
وألحقونا بألاى مدفعية ميـدان من القوة
الفليبينية ، وولوا كلا منى ومن جاك أدامز
وبيل ريلينج ، قيادة كتيبة فعددنا ذلك شرفاً
عظيما لأننا لم نكن أكثر من ملازمين » .

« وأدرنا عيوننا فى جنودنا فألفيناهم كلهم
فى سن طلبة المدارس العليا ، ونصفهم لا يتكلم
الإنجليزية . أما المدفعية فكانت عبارة عن
اسمها زائداً ست نظارات لمدافع فرنسية من
عيار ٧٥ ، مما كان يستعمل فى الحرب الماضية.
أما المدافع نفسها فغرقت مع سفينة تموين
فى خليج مانيلا ، وقـد نظفت النظارات
وصارت فى أحسن حال !!

« وقد أرسلت جماعتنا إلى مكان على
نهر يسمى كارمن فيرى ، حيث يصل طريقان
من مدينة دافاو فى الجنوب وكانت فى يد
اليابانيين ، وكان علينا إذا قام اليـابانيون
بهجوم أن نمنعهم من عبور النهر .

« ولم تكن هذه البقعة مما يطيب لى ،
ولا سيما الحيات . وكنت أنام فى خندق ،
وقبيـل الصبح يبترد الجو ، فتقبل عليك
الحيات لتدفأ بك فى الظلام ، وكانت غليظة
كالساق ، ولم يكن هذا مما يخفف على نفسى .
وأرجو ألا تظنوا أنى أذم الحيات أو أنتقدها
فقد كانت رفيقة رصينة . ولـكن المكان لم

يكن يبدو لى كأنه يبقى ، فكان هذا سبباً آخر يضاف إلى أسباب شتى بغضت إلى العمل على الأرض ، وقد يكون العيش هناك مأموناً كما يزعمون، ولكنك لا تشعر أبداً أنه كذلك .

«من أجل ذلك اغتبطت أعظم اغتباط حين أمرت أن أعود إلى مطار ديل مونتى ،حيث كان الطيارون الذين لا طائرات لهم يجمعون للجلاء إلى أستراليا . وقد جاء الملازم بيز — وهو من الفرقة التاسعة عشرة — بقلعة طائرة ذات ليلة وحملنى مع خمسة عشر طياراً آخرين ليس لهم طائرات . وأقول الحق ، إنى شعرت بالغبطة لما صرت مرة أخرى فى جوف طائرة ، واختفت عنى عظام ذلك الحمار ، وكل هاتيك الحيات المتوددات ، فى ظلام الأفق . فما خلقت قط لعمل المشاة » .

* * *

وقال فرانك كورتز الطيار : « ولشد ما كان سرورنا بك يا هارى لما عدت إلى الفرقة التاسعة عشرة فى أستراليا ! فقد كنا سلكناك مع الموتى لما لم ترجع من خليج ليجاسبى مع الآخرين ، وقد رآك فاندفانتر منطلقاً بالطائرة إلى سحابة ،وفى إثرك خمس من طائرات زيرو . وجدتنا أنفسنا أنك لم تستطع قط أن تصل إلى تلك السحابة وتدخل فيها .

«وهكذا صارت الفرقة التاسعة عشرة فى مطار باتشلور بقرب داروين بأستراليا .

«وهى رقعة قاحلة قليلة السكان، وبورت داروين قائمة هناك على حافة لا شىء على الإطلاق ، وشوارعها واسعة ، وفيها فرقة موسيقية تعزف فى المتنزه ، وحديقة حيوان فيها عدد قليل من الكانجارو والدببة وغيرها . وليس بها خضر طازجة ، وكل شىء يستورد فى العلب . وهذه هى داروين

« أما مطار باتشلور فعلى مسافة أربعين ميلا إلى الوراء فى الغابة ، وفيها مدرجان أو أسلوبان للطيران مرتجلان ،(فقد كان من الصعب الحصول على آلات للتمويه أو ديناميت لنسف الجذوع) ، وحظيرة يتولى أمرها السلاح الجوى الملكى الأسترالى .

« وكان حسناً بضعة أيام أن يكون الرز بمنأى عن الخطر ، وأن نشرع فى ترميم طائراتنا الست وإصلاحها ، ولكن للسلاح متاعبه . فقد كانت أستراليا لا تعرف إلى ذلك الوقت أن هناك حرباً . وكان رجال السلاح الجوى الأسترالى ، على ظرفهم معنا يبدون كأنهم يتكلمون لغة أخرى . ذلك أننا نحن قاسينا أهوال الجحيم ، وكنا نعرف أن الجحيم تمشى إلينا بخطوات مطردة .

لكن هؤلاء الطيارين الأستراليين ، حيونا كأنما كنا قد هبطنا عليهم بعد رحلة عادية تنزنا فيها البحر .

« وفى ذلك الصباح الأول خرجنا جميعاً ، ن ضباط وجنود ، وشرعنا نحفر حفراً نختبئ فيها على سبيل الاحتياط من غارة يقوم بها اليابانيون علينا قريباً . فدهش الأستراليون وقالوا : يالها من ديمقراطية ! لم يخطر لهم قط أن يحتفروا شيئاً لأنفسهم .

« وشرعنا بأسرع ما نستطيع نقوم حلات . وكان مطار ديل مونتى لا يزال أيدى الأمريكيين فكان فى وسعنا أن تخذ منه قاعدة أمامية ، وكنا نذهب إليه ننزل به على حذر كأنما هو أتون حام ، قد كانت المسافة ١٧٠٠ ميل من داروين ى ديل مونتى . فكنا نغادر داروين فى الصباح ، ونطير طول النهار ، وننزل فى ديل مونتى بعد المساء ، لنكون بمأمن من اليابانيين ، ثم نتعهد الطائرة ونأكل وننام قليلا ، ثم نملأ خزان البنزين فى وقت يمكننا من القيام بغارة فى الصباح الباكر على أسطول الغزو اليابانى على مقربة من لوزون . ثم نعود إلى ديل مونتى ، فى وضح النهار ، فى ذلك خطر عظيم ، ولهذا كنا ننزل نتزود بسرعة من البنزين والقنابل ، ونذهب فى غارة أخرى بعد الظهر ، ونرجع إلى ديل مونتى فى الظلام ، ولله الحمد ، حين لا يكون هناك طائرات قتال يابانية فى الجو ، ونصل حوالى نصف الليل ، ونرقد مثل رقاد القطط ، ونتزود من البنزين ونثنى إلى أستراليا .

« وتصور حال الطيارين وأعوانهم ، وإلى أى حد يطحنهم الجهد يوماً بعد يوم ، ثمانى عشرة ساعة فى بعض الأحيان بغير انقطاع .

« ولكن الذى كنا نخشاه أكثر مما نخشى سواه هو عيد الميلاد ، وكان قد شارفنا عيد الميلاد ، ونحن فى هذه الهزيمة وعلى هذا المطار الصحراوى المجدب الحار الكثير التراب ، ومن غير أن نسمع كلمة أو يأتينا بريد من أهلنا وقومنا .

« وكنا نعلم أنه لن يأتينا بريد ، فكان من الطبيعى فى يوم عيد الميلاد القائظ أن يدلف بعضنا إلى كوخ الراديو عند الأستراليين ، لنلقط ما يمكن أن نلقط من كلمات عن بلادنا .

« وينبغى أن أقول هنا أن بعضنا ذهبوا فى مهمات إلى الفليبين — ست قلاع طائرة فى جملتها طائرة أل مويلر ، وهم الآن ينبغى أن يكونوا فى رحلة الإياب إلى مطار باتشلور وهى تستغرق تسع ساعات طويلات مضنية . ولشد ما رجونا أن لا يدهم منها شىء فى عيد الميلاد .

« وكان الأستراليون غاية في الظرف معنا ، وقد أعطونا البطاقات التي تلقوها في عيد الميلاد لنقرأها ، ثم كانوا يسألوننا : « من أية ناحيــة في الولايات تجيء أيها الأمريكي ؟ » ، فكان يسعنا أن نحدثهم عن زوجاتنا أو عن صديقاتنا من الفتيات إذا شئنا ، وكان أكثرنا يفعل . ولكنا كنا قلقين على طائراتنا التي ذهبت في مهمة ، وإن كنا لم نتحدث عنها . ولم نكن ندري أنها تعرضت لمخاطر جدية ، وأن طائرات زيرو ضربتها على ارتفاع كبير ، وأن طائرة أل مويلر ضربت بالمدافع الرشاشة فدخلت الرصاصات في القسم الذي فيه الراديو . وقد أصيب الشاويش كيلين عامل اللاسلكي في يافوخه وهو يساعد المدفعيين على التعبئة ، وجرح اثنان آخران جروحاً بليغة . ولما كان هذا قد حدث على ارتفاع كبير فقد كان الأمر خطيراً جداً ، لأن المصاب قد يسقط فتنزع عنه كمامة الأوكسيجين . وليس ثم شيء يستحق الذكر تستطيع عمله لجريح أثناء المعارك الجوية على ارتفاع كبير ، وأقصى ما يدخل في طوقك هو أن تضع كمامة الأوكسيجين على وجهه ، حتى لا يتحول وجهه إلى الزرقة ويختنق على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وأن تدعو الله أن لا يلح عليه النزف فيموت ، فما يسعك أن تكف عن القتال فتضمد جرحاً .

« ولنرجع إلى أل مويلر . إنك حين يصاب رجال طائرتك يكون همك أن تهبط إلى ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم على الأقل بأسرع ما تستطيع ، حتى لا يضنيهم التنفس من خلال كمامة الأوكسجين ، ولكن طائرات زيرو كانت تحتهم أيضاً . وكان أل يدرك أنه إذا ترك السرب وانقض بمفرده ، فإن اقتناصه يكون سهلا ، ولهذا صنع خير ما يمكن أن يصنع — بقي مع السرب ، ولو أن هـذا كان من أقسى الأمور في عيد الميلاد ، إذ كان معه هؤلاء الجرحى يكافحون في سبيل التنفس في طبقات الجو العليا .

« ولم نكن ندري شيئاً عن هـذا ولكن عامل اللاسلكي الأسترالي كان يدير المفاتيح ، فسمع شيئاً ، وبعد أن كتبه والسماعة على أذنه ألقى إلي نظرة غريبة تنطوي على الحيرة والارتباك ، وناولني الورقة .

وكان الذي فيها من أل مويلر ، فقد انتظر حتى خرج من منطقة الخطر قبل أن يقطع صمت جهازه اللاسلكي ، وقد قال في رسالته : إنه سيصل بعد المساء ومعه في الطائرة قتيل ، وطلب أن تكون سيارة الإسعاف في المطار ، ومعنى هـذا أن معه جرحى . فلم تبق لنا متعة بعيد الميلاد .

* * *

« ولما وصلت طيارة أل كانت من
تلف بحيث قررنا أن نعدها حطاماً ، وكانت
حاجتنا شديدة إلى حطام فى المطار ، لنأخذ
ه قطعاً للتغيير لإبقاء الطائرات الأخرى
درة على الطيران . وكانت بنا حاجة إلى
كل شىء ، ولكنها أشد ما تكون إلى
خزانات للبنزين .

« ذلك أن خزان البنزين الرئيسى فى
از « د » من القلاع الطائرة محمول
أجنحتها ، ولكنها تستطيع أن تحمل أيضاً
انات إضافية على الرفوف فى المكان الذى
القنابل ، فإذا أصابتنا الطائرة المقاتلة
ن هذه الخزانات تلقى مع القنابل لتكسب
طائرة مزيداً من السرعة فتنجو ، وإذا
انت الخزانات خالية فإن هذا يكون
عى إلى إلقائها . وكثيراً ما تخترق رصاصة
زان بنزين مترع ولا تشعل النار فيه ،
كن الخزان الفارغ يكون فى الحقيقة
وءاً بمزيج من الهواء وبخار البنزين
جر كالقنبلة ، كما يعرف اليابانيون حق
رفة ، وقد اضطررنا إلى إلقاء خزانات
ين كثيرة مما يوضع مع القنابل ، حتى صارت
اوى عندنا وزنها ذهباً .

« ومن البديهى أننا كنا على حال بالغة
السوء ، فقد فقدت الفرقة التاسعة عشرة
قوتها الأصلية فى ثلاثة أسابيع ، ولم يبق
لنا الآن إلا حوالى اثنتى عشرة طائرة .
ولكن كان هناك أمر واحد يبعث على
الأمل ، ذلك أنه لم يدمر فى المعارك الجوية
من الأربع والعشرين التى فقدناها ، سوى
اثنتين ليس إلا ، هما طائرتا كولن وجاك
أدمز . أما البقية فدمرت وهى على الأرض ،
وقد تحطمت إحداها على الشاطىء لإنقاذ
من فيها ، لما عجزت عن الأوبة إلى قاعدتها .

« وإنا لنحصى هذه الخسارة ونتساءل
عما عسى أن يحل بنا بعد ذلك ، وإذا بالجنرال
بريرتون يهبط فى المطار ، ثم دعينا على
الفور إلى اجتماع يعقد فى حجرة العمليات .

« وقد أبلغنا أن سلاح الجو التابع
لجيش الولايات المتحدة فى الشرق الأقصى ،
وهو الذى يقوده ، سينقل قاذفاته فوراً إلى
جاوة ، وستكون قاعدته الرئيسية فى مطار
قرب مدينة مالانج ، ومن هناك نعمل من
قواعد أمامية أعدها الهولنديون فى جزائر
بورنيو وسيليبس ، ومن هذه القواعد
الأمامية سيكون همنا موجهاً إلى تحطيم
حشد كبير من سفن النقل اليابانية ، يجتمع
فى خليج دافاو ، على الطرف الجنوبى لجزر
الفلبين .

« وكنا ، وهو يتكلم ، نسائل أنفسنا
عن هذا السلاح الجوى الأمريكى ومبلغ
قوته ، إذا كان سيوكل إليه أن يحطم اليابانيين

فى جزر الفليبين ، ويمنعهم أن يصلوا إلى جزر الهند الهولندية ؟ ولما تبينا أن السلاح الجوى التابع لجيش الولايات المتحـدة فى الشرق الأقصى ، هو نحن ليس إلا ، لم ندر : أنرثى لأنفسنا أم للجنرال بريرتون الذى لا يقود سوى هذه القوة الضئيلة ؟

« غير أنه كان هناك نبأ عظيم لى ، فمذ دمرت الطـائرة رقم ٩٩ بقيت طياراً بلا طائرة ، كأنى شبح يمشى على الأرض — أو رأس بغير بدن — بيد أنه تقرر الآن أن يذهب « لى كوتس » مع الجـنرال ألى بريسبين كضابط مهندس ، وأن أتولى أنا قيادة طائرته ورجالها فى معركة جاوة . فأتيح لى أخـيراً أن آخذ بثأر الطائرة رقم ٩٩

« وقيل لنا فى الأسبوع التالى ، أو حوالى ذلك ، أننا لن نقاتل بعد الآن وحدنا لأن القلاع الطائرة لن تلبث أن تجىء لنجدتنا مجتازة أفريقية وآسيا وشـبه جزيرة مالايا إلى جاوة ، ولن نـكون بغير حماية من المقاتلات ، لأن طائرات القتال من طراز ب ٤٠ تنقل بحرا بالسفن . وعلى الجمـلة قيل لنا إن أمريكا قررت أن تلقى بأكثر من ألف طائرة ، فى خلال الأشهر الثلاثة المقبلة ، فى ميدان الشرق الأقصى لتصد اليابانيين عن التقدم .

« فلا عجب إذا كانت نفوسنا قد انتعشت فذهبنا إلى جاوة وقد اعتدلت رءوسنا فوق أكتافنا . وماذا ترى لو كنا لا نزيد على اثنى عشر ضد الإمبراطورية اليابانية كلها إن هذه ليست إلا غمزة من ذبابة الحرب وستجىء البقية قريباً على التحقيق .

« وهكذا طار عشرة منا فى صباح آخر يوم من السنة إلى جاوة ، وآمالهم كبيرة منبسطة ، وكنا واثقين أن سنة ١٩٤١ قد مضت بالأغلاط كلها ، وأن سـنة ١٩٤٢ ستكون مختلفة .

* * *

« والرحلة من أستراليا إلى جاوة تستغرق يوماً كاملا حتى من قلعة طائرة ، ولـكن الجو كان طيباً ، وكنا جميعاً على أحسن حال ، وكان المحيط عميق الزرقة ، وكنا لا ننفك نمر بجزائر خضراء يانعـة النبات ، وهى بمثابة نقط وثوب بين آسيا وأستراليا .

« ولعل آخر الجزر كانت أجملها — جزيرة بالى المشهورة ، قبل جاوة بقليل .

« أما جاوة فى العصر فكانت من فرط الجمال كما قيل إنها ستكون ، خضرة يانعة كأنفس مخمل لمسته يدك ، إلا حيث يرتمى نور الشمس المنحدرة للمغيب ، على مزارع الأرز فتتوهج المياه كالعسجد وسط الوحل الأسود

« وطرنا فوق مرفأ سورابايا الـكبير ،

إلى مدينـة مالانج الصغرى على مسـافة ٦٦ ميلا من الأولى ، ومالانج هى قاعدتنا . كان قد قيـل لى إن المطار مموه تمويهاً متقناً ، ولـكنهم بينوا لى موقعهـا على الخريطة بدقة ، فلم أجد مشقة فى الاهتداء إليها . وكان التمويه خيراً من كل ما حلمنا فى الفليبين ، وقد صوبت عينى إلى المطار من الارتفاع الذى كنت فيه ، فخيل إلى أنه حقل حنطة يخترقه خط حديدى .

« وما كدنا نهبط حتى كان الفتيان كلهم يحترقون شوقاً إلى زيارة المدينة ، ولـكنه كان علينا أن نشهد أولا اجتماع الطيارين المألوف ، وهو اجتماع لا يختلف ولا يتغير فيه شىء ، وليـكن القـائد من يكون ، آغاً أو يوزباشياً أو بكباشـياً — فإنه لابد أن ينهض على قدميـه ويروح يلوك كلاماً محفوظاً عما علينا أن نصنعه هنا وههنا ، على حين يكون السامعون لايكادون يستقرون من فرط الرغبة فى زيارة المدينة .

« ولـكن هذا الاجتماع لم يبلغ هذا المبلغ من الثقة ، لأننا كنا سنعمل أخيراً ماتدربنا سنوات عديدة عليه بقلاعنا . ومتى جاءت نجدات وتدفقت ، فإنه يكون فى وسـعنا حينئذ أن نخرج فى أسراب كبيرة ، وأن نلقى من القنابل حمـلا لا يخفى مدلوله وأثره . بدلا من أن تخرج طائرة واحدة فتنثرهم نثرات ، نخرج لإلقاء ذلك المستطيل الضخم الكثيف من القنابل ، الذى لا يتسنى لسفينة أن تفر منه .

« ثم انتهى الاجتماع ، ووسعنا أن نستقل سيارة المطار لتحملنا إلى مالانج التى كانت مدينة ذهبية فى نظر هؤلاء الرجال ، الذين خاضوا غمـار الحرب شهراً ونصف شهر بلا انقطـاع . ومـما زاد فى قيمة المدينـة وقدرها ، أن الحرب لم تدركها ، ففيها المخازن والدكاكين التى تستطيع أن تشترى منهـا ما تشاء ، ودور السينما والمطاعم .

«وسرنا إلى ردهة « بلاس أوتيل » لتناول العشاء معاً فى ليلة رأس السنة ـ وكان يدير الفندق هولندى هرم بدين أحمر الوجه يسمونه «دى فرين» ، ولـكن رجالنا كانوا لا يستطيعون أن يلقوا نظرة على قائمة الطعام لأن بنتيه الجميلتين دخلتا تنسابان فى الحجرة ، وكان شـعرها الجميل منفوشاً ، ولم تسلبهما الشمس الاستوائية امتزاج اللونين الأرجوانى والأبيض ، الذى يمتاز به الهولندى . وكانت الفتاتان وهما تقطعان الحجرة تغضان بصرهما حياء وخفراً ، ولا تجودان إلا بأيسر نظرة بمؤخر عيونهما على الطيارين الأمريكيين ، وكان رجالى قد أتعبتهم الرحلة الطويلة ، ولـكن هاتين الفتاتين دخلتا ، فكأنما سرى تيار كهربائى فراح كل فتى جالس إلى المائدة

يرفع يديه ليصلح رباط رقبته ، وعادت إلى عيونهم ، اللمعة القديمة .

* * *

« وفى اليوم التالى شرعنا فى العمـل ، وكان المقرر أن نغادر هذه القاعدة الرئيسية فى مالانج ، وأن نطير إلى قاعدتينا الأماميتين سمارندا فى جزيرة بورنيو ، وكنداری فى فى إحـدى جزر سيلبيس . فأما الأولى فواقعة على نهر استوائى ، ولـكننا حُـذّرنا من الطيران إليها مباشرة ، لأن طائرات الاستطلاع اليابانية قد تلمحنا فتعرف هـذا المطار الأمامى الصغير على الرغم من تمويهه .

« ولهذا كان علينا أن نتقى الطيران إلى مطار سمارندا مباشرة ، وأن نسير فى طريق غير منتظم إلى ساحل بورنيو ، ثم نحلق دقائق فوق النهر ، ثم نهبط إلى ارتفاع منخفض ، وعندئذ نـكون فوق المطار ، ونـكون أدنى إليه من أن نخطئه على الرغم من التمويه .

« وشىء آخر : إذا التقينا بطائرات قتال تشبه طائرات بروستر المقاتلة الأمريكية ، فيجب أن لا نطلق عليها النار ، وعلينا أن نعطيها إشارة التعريف المتخذة فى ذلك اليوم بمصباح «ألديس» ، لأنها طائرات بروستر حقاً ، وقد اشترتها الحـكومة الهولندية قبل الحرب ، ويستعملها الآن طيارون هولنديون ، ويتراوح عددها بين ١٢ و ١٥ .

« وفى ذلك الصبـاح استصحبت رجا الجديدين فى رحـلة تجريبية ، ولم أك أعرفهم ولا كانوا هم يعرفوننى ، وقد تدر طبعاً على أعمال المدفعية فى الولايات المتحد ولـكن المهمة التى كنا سنقوم بها فى اليو التالى كانت أول صيد لهم بطعم حى ، وفر بين الأمرين . وقد بينت لهم ما يجب أ يتطلعوا إليه ، ثم دربتهم على رفع النوا الشفافة التى تـكون أمام كل مدفع ، وه ما نصنعه دائماً قبل الشروع فى إطلاق النار

« وقد قاموا بالتدريب بروح حسنة ولم يفتنى أنهم يتأملوننى ، وقد تعلمون أ السلاح الجوى ديمقراطى ، ومتى ارتفع عن الأرض ، فإن الرتبة التى تلمع شارتها كتفك لا تـكون لها قيمة تذكر ، إلا إ رأى رجالك أنك تجيـد عملك ، وه ما ينبغى أن يكون .

« وثم أمر آخر : هو أنهم جميعا كا شديدى التعلق بطيارهم السابق ، وأحسب هو أيضاً كان يشعر لهم بمثل ما كنت أش به لرجالى فى الطائرة رقم ٩٩ ، ومهما يك من ذلك ، فإن الذى حدث هو أننا كنا فى الجو نعين لـكل رجل مكانه فى و القتال ، ونطلق بعض الطلقـات للتدريب التفت إلىّ الشاويش شارل ، وهو رئيس جماعتى ، وقال لى وهو يحدق فىّ :

« لعلك تعلم يا سيدى الملازم أنه كان لنا
ار لا أعرف من هو خير منه فى أية
ئرة » . وكان هـذا صحيحاً ولا شك ،
كن هذا لم يكن وقعه حسناً فى نفسى ،
يكن شارل يريد أن يسرنى . غير أن
دواعى ارتياحى أنه بعد الرحلة الثانية
ءنى وقال لى إنه خرج عن طوره قليلا .
« وفى اليوم التالى خرجنا إلى بحر جاوة
جهين إلى بورنيو ، واسترشدنا بتعليماتنا
جدنا نهراً كالذى حدثونا عنه ، واهتدينا
العصر إلى مطار سمارندا ، وكان تمويهه
ما رأيت ، وخيراً من التمويه فى مالانج ،
فى الفلبين فلم يتسع الوقت للتمويه .
ا دنونا من الأرض رأينا المطار مغطى
مير خشبية ، تودى بأية طائرة تحاول أن
ل بينها ، فإذا طفت بالمطار من فوقه ،
ت جمعاً من الأهالى يجرون ويرفعون
ه الحمر الخشبية ، ويزحزحونها عن المدرج
ى ستهبط فوقه . ومتى بلغت الأرض
روا إلى تغطية المدرج من خلفك بهذه
ر . ذلك أنهم كانوا يتقون أن يغافلهم
بانيون وينزلوا خلسة فى المطار ، فأعجبنا
ؤلاء الهولنديين ، فقد فعلوا كل ما يدخل
الطوق للدفاع عن جزرهم ، ولم يتركوا
ماً يسع أمة عزلاء .
« وبينما نحن نمضى بطائرتنا إلى مكانها ،
أقبلت ممرضة هولندية وسيمة فى ثياب بيضاء
مكوية ، ونظرت إلينا نظرة فى طيها القلق
والأمل ، كأنما كانت تخشى أن تكون
طائرات زيرو قد ضربتنا وجرحت بعضنا ،
وكانت تجيد الكلام بالإنجليزية ، وقد تطوعت
للعمل فى قلب هذه الأدغال الحامية ، لما علمت
أن الأمريكيين سيستخدمون هذا المطار .
وسرعان ما تبين الرجال أنها حصان جادّة ،
وكانت إلى هذا ظريفة أنيسة وكفؤاً لعملها
وذكية أريبة . وكان من بواعث سرورنا
أن نعلم أننا سنجدها فى انتظارنا فى المطار
إلى جانب سيارة الإسعاف المفتوحة الأبواب
إذا أصابت أحدنا رصاصة يابانية .

« وشهدنا اجتماع الطيارين ، وفيه رسمت
الخطة للغارة على خليج دافاو . وكنا نعلم
أنها رحلة طويلة فى الذهاب والإياب ، وأن
الهدف أقوى تحصيناً مما رأينا حتى فى جنوبى
فورموزا نفسها . وكان مما أمضّنا أن هذا
الهدف اليابانى الحصين قائم فى أرضنا
الفلبينية ، حيث لا يزال جنودنا يقاتلون ،
بل كان على نفس جزيرة منداناو التى يقوم
فيها مطار ديل مونتى . ففيم الإرجاء
والتسويف ؟ فلنذهب إليهم لنعجنهم .

« وبعد منتصف الليل بقليل كنا فى
طريقنا إلى غايتنا ، وقد قيل لنا إن الجو
سيكون رديئاً فوق البحر ، فكان ما قالوا .

وكنت أنا ومساعدى كولوفن نتبادل القيادة
وعيوننا تدمع وتتأذى من فرط التحديق
من خلال النافذة ، فى الأضواء الخضراء التى
فى ذيول الطائرات المتقدمة ، وكان السرب
يطير بين سحاب متقطع ، ولكننا فى الليل
لا نرى ذلك ، وكل ما نعلمه هو أن الأنوار
التى نراها تختفى فجأة ، لأن الضباب يحجبها
ثم تعود فتظهر فجأة . وحوالى الساعة
الرابعة صباحاً ، أمرت رجالى فى الطائرة أن
يطفئوا سجايرهم لأننا سنملأ خزان البنزين
من الخزانات الاحتياطية ، وقام رئيسهم
الشاويش شارل بإدارة الصمامين اللذين
يسمحان بأن يمتص البنزين الذى فى الخزانات
الموضوعة على الرفوف فى ردهة القنابل ،
إلى الخزانين المركبين على الجناحين . وقد
نضطر إذا أصابتنا طائرة زيرو أن نرمى
هذه الخزانات الاحتياطية ، وسنحتاج إلى
كل قطرة من هذا البنزين الثمين ، إذا أردنا
أن نعود من هذه الرحلة الطويلة .

« وكانت الخطة أن نضرب دافاو فى
الفجر ، وكنت أتساءل هل يستطيع
ملاحونا أن يبلغونا جميعاً هدفنا فى الوقت
المعين ؟ لأننا إذا تأخرنا كنا حريين أن نلتقى
بدوريات الفجر من المقاتلات اليابانية ، وأن
نجدها فوقنا فى انتظارنا ، وإذا وصلنا قبل
الأوان ، فقد نحتاج إلى التطويف نحو ساعة
حتى يطلع الفجر ، ويتسنى لنا أن نر
الهدف ، وفى هذه الحالة قد لا يكون ف
بعض الطائرات من البنزين ما يكفى للانتظا
إلى الصباح ، فيضطرون إلى الرجوع ، فتكو
الطائرات الباقية لضرب الهدف أقل م
الكفاية للأمن .

« وبدأ الجو يصفو ، وكان سربنا يط
على هيئة الدال ، وكنت أنا فى المؤخرة م
جيم كونالاى ، وهذا وضع ثقيل ، لأن معظ
الهجمات اليابانية فى ذلك الوقت كانت تأ
من المؤخرة .

« وكنا نرقى فى الجو باطراد . بض
مئات من الأقدام فى الدقيقة ، فبدأ البر
يشتد ، فطلبت من الشاويش أن يطل
الحرارة ، ودعوت إليه فى سرى أن لا تخذ
الحرارة فى ليلتنا هذه حين نفتقر إليها
فليس أسوأ من أن تغير على الهدف وبك
خدر من البرد ، وينبغى أن تكون أصاب
القاذف دافئة ومتمثلة كأصابع العازف ع
الكمان ، إذا كان يريد أن يصيب هدفه
وأصابعه مضافاً إليها حسن قيادتى — وهو
ما ينبغى أن أتكفل به وأكفله — هى
التى يعول عليها فى إحكام الرماية . وقد
نستطيع أن نغرق سفينة تقل وعليها بضع
آلاف من اليابانيين .

وبدأ النور يفيض قليلا ، وبدت النجو

ة ، ومعنى هذا أن الفجر قريب . فرحت
كر فى طائرات اليابانيين المقاتلة ، ولم يقل
. شيئاً ، ولكنى كنت أعرف أن رجالى
كرون فى هذا أيضاً ، فهل ترى يعرف
انيون أننا قادمون ؟ إن لهم طريقة
ون بها الطائرات المائية الكبيرة فى أنحاء
عدة فى البحار ، وترى هذه الطائرات
ى الماء كأنها الطيور ، فإذا سمعت أزيز
كاتنا بعثت باللاسلكى تحذيراً إلى القاعدة
بانية . وعسى أن نكون قد مررنا فوق
ى هذه الطائرات، ولعل المقاتلات اليابانية
ق الآن فى الهواء خارجة من دافاو
لة علينا .

« وصرنا على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ولم
ى بيننا وبين الهدف سوى عشرين دقيقة ،
رت رجالى أن يتخذوا مواقفهم . وعلى
غم من التوتر المتزايد شعرنا بالراحة لأننا
شرع فى العمل قريباً . وقد صفا الجو
ه الحمد ، وبدأ الفجر يطلع ، وفرغنا من
ر ودخلنا فوق الأرض ، أرض
بداناو ، وقد نستطيع إذا أسقطت
رتنا أن نفلت من بعض هؤلاء الثلاثين
اً من اليابانيين المقيمين حول مدينة دافاو ،
لذين نطير فوق مزارعهم . وقد نستطيع
ن نزحف من خلال النبات إلى مطار ديل
تى الذى لا يزال فى أيدى الأمريكيين .

« وكان قائدنا سيسيل كومز ، وكان
يسير بنا بسرعة ٣٠٠ ميل فى الساعة .
فلماذا نكلف محركاتنا كل هذا الجهد ؟
ألا ينبغى أن نريحها وندخر قوتها ؟ ولكن
لعل سيسيل على حق ، فإنه يريد أن يسرع
وهو يضرب الهدف، ويجتاز منطقته، وينقذ
رجاله وطياراته ولو بإرهاق الآلات .

« وبلغنا نقطة متفقاً عليها من قبل، وعلينا
فيها أن ننثنى مقدار ١٢٠ درجة ونمضى إلى
دافاو مباشرة . وإنى لأنثنى انثناء حاداً وإذا
بى أبصر الهدف للمرة الأولى ، والعادة أن
لا يراه الطيار رؤية مفصلة ، فإنه وهو
فى مقعده لا يرى إلا السماء والأفق البعيد .
وقاذف القنابل هو الذى يستطيع أن ينظر
إلى ما تحته ، وهو الذى يوجه الطائرة إلى
تلك النقطة الصغيرة التى سنهاجمها ، وهى
تبدو كرأس الدبوس . ولكنى الآن ، وقد
ارتفع أحد جناحى جداً ، أستطيع أن ألمح
من خلال النافذة الجانبية المائلة ـ والمدينة
ما زالت نائمة ، وخليج دافاو كالفضة من
نور الفجر ، ويا ما أحلى هذا المنظر !
سفينة كبيرة بعيدة من الشاطىء ، تحيط بها
مدمرات تحميها ، وهى جميعاً لا حركة بها .
ألا لقد داهمناهم وهم نيام يغطون وهذا
ما كنا نبغى .

« ولكن تغييراً حدث ، فقد سمعت من

تليفونى الداخلى « ستون » ، قاذف القنابل فى الطـائرة القائدة ، يقول لـكومز الذى يقودنا :

« هل تسمح بأن ندور ؟ إنى أرى هدفنا الحقيقى الآن » .

« فوقف كومز، وملنا مرة أخرى واتجهنا على ما يظهر إلى ميناء دافاو الداخلى ، وأتيح لى مرة أخرى أن أرى ما تحتى ، ففهمت سبب التغيير ، فقد كان هناك أكبر حشد من السفن رأيته فى حياتى – من بوارج ، وطرادات وناقلات وغواصات ومدمرات ، وكلها منثورة على الماء ، ومتقاربة مع كثرتها بحيث لا يمكن أن نخطىء . وجاء وقت القذف ، فأنا أعـدل الطائرة وأكسبها الاتزان، طبقاً لآلة التوجيه التى عند الطيار ، وهذا جهاز لاترون أنتم فيه أكثر من إبرة تختلج وتضطرب على اللوح ، ولـكنه متصـل بمنظار قاذف القنـابل فى القسم الأسفل ، وكلما تحركت أصابع القاذف الحساسة قليلا على آلاته ، سجل الجهاز هذه الحركة بفضل هـذه الإبرة . وأنا لا أرى الهدف ، ولـكنى أتبع ما تشـير به الإبرة فلا أخطىء .

« وبدأت أعصابنا تتوتر ، فأنا أنظر بسرعة إلى ما أمامى ، فأرى سيسيل كومز يطير فوق الهدف . ولما كنا فى المؤخرة ، فإن سيسيل منى على مسافة تسعة أميال وقلعته الطائرة لا تبدو أكبر من طير وهذه السماء أمامى ملأى بنفخات من الهبا[ء] الأسود من الدافع المضادة ، وهو يكو[ن] طبقة سوداء فوقه ، فقد أبعـد اليابانيو[ن] مرماهم قليلا ليصيدوا سيسيل ، ولـكنى كن[ت] أعرف أنى بعد ثوان قليلة سأرى هذه الدا[ئرة] عن كثب ، ودعوت الله أن لا يخطى[ء] القاذف الذى فى طائرة سيسيل ، وقلت لنفسى « ألقها عليهم يا ستون ! ألقها يا فتى ! »

« ولـكن هذا الفتى لايخطىء ، فإنه م[ن] خير القاذفين ، وإنه الآن لهيىء لليابانيي[ن] مثل صنيعهم ببيرل هاربر . فقد كان الهد[ف] هنا شبيها به هناك ، سـوى أنه لم يكن ل[نا] سوى عشر طائرات نغير بها ، أما اليابانيو[ن] فضربوا هاواى بعشرات وعشرات .

« وكانت سماعات التليفون تقرقر م[ن] جراء لغط رجال الدفعية الرشاشة ، وكله[م] يتطلع من النافذة حذراً من إقبال طائرا[ت] زيرو . وكانت مهمتى أن أتقيد بما تأمر ب[ه] الإبرة ، وأن أوجه طائرتى طبقاً لها ، وينبغ[ى] أن يكون التوقيت دقيقاً محكما كما يكو[ن] بين اثنين من العازفين على الـكمان[؛] فالقاذف فى طائرتى يحتاج إلى خفـة لمس العازف، وأنا لا بد أن أتبعه بمثل هذه الخف[ة] فى لمس الدفة . فإذا اضطرب وحرك آلا[ته]

أبعد مما ينبغي، فإني أنا أيضاً أطيع الإبرة بدفع الدفة إلى أبعد مما يجب، فتخرج ...ائرة عن نهجها .

« وتمتمت : « لكأني أسأل الله أن يفعل ذلك ، هيا يا صاحبي لا تبالغ الإحكام » .

« والآن أخاطر برفع عيني هنهة عن ...رة لألقي نظرة على ما أمامي، فأرى الطائرة ...ية تدخل في نطاق الهدف ، وتجتاز خط ...ف . وكانت المدافع المضادة قد أبعدت ...ن ، فالآن صارت قذائفها تنفجر تحت ...رة ، ومعنى هذا أنهم يتوخون أن ...رونا بين قوسين من النيران، ومتى جاء ... كان التسديد محكما .

« وإني لفي هذا ، وإذا بي أسمع المدفعي ...ح بالتليفون :

... طائرات القتال صاعدة إلينا من جهة ...ل » ، ولم أكن أستطيع أن أراها ...ذ ولكني كنت أسمع رجال المدافع ...ي يقولون: « أنها تصعد في خط حلزوني ...ل بطيء كالنحل خارجاً من عشه ، ...تصعد عمودياً تقريباً ، حتى لتستطيع أن بطونها وكأنها معلقة من مراوحها » .

« ومالي أنا بهم؟ إن هذا شأن المدفعيين، ...أني أنا مرهون بشأن قاذف القنابل . ...ت طلقات المدافع المضادة في مستوانا ولقد استطاعت أن تحصرنا بين قوسين ، وسيكون على أن أدفع بالطائرة في هذا الجحيم ، إذا أردنا أن نظل على مجرى القذف وهذا ما لا مفر منه .

« ثم تثور ثائرتي ، فإن كتبنا المدرسية تقول إن المدافع اليابانية المضادة لا تستطيع أن تصيب شيئاً على ارتفاع يتجاوز ١٨٫٠٠٠ قدم . وها نحن أولاء على ضعف هذا الارتفاع تقريباً والقذائف تصل إلى مستوانا

« وإني لكذلك وإذا بأنف الطائرة يرتفع فجأة ويميل إلى الشمال ، وما كدت أردها إلى الاستواء ، حتى حاولت أن تنثني مرة أخرى . وكان السبب راجعاً إلى انفجار القذائف — وفي هذه الحالة تحدث موجات خفية من الهواء مع كل انفجار — فالطائرة الآن ترتج كأنها طراز قديم من سيارة فورد فوق طريق وعر . وقد جعلت الإبرة قيد نظري ، ودعوت الله أن يوفق القاذف .

« وفي هذه اللحظة تلقيت منه إشارة ، وفتحت أبواب مستودع القنابل ، وأحسست بالوطأة الخفيفة على الطائرة ، ثم سمعت الإشارة المزدوجة التي معناها أنه يقول: « امض على استواء يا فرنك من فضلك » ، ولا أجيبه إلا بقدمي ضاغطتين برفق على الدفة ، وأهيء له ذلك الاستواء التام الذي ينشده ، لأن

نصف درجة هنـا معناه خطأ يبلغ مئات الأقدام على الأرض .

« وأخيرا يضىء النـور الـكهربائى على اللوح أمامى ، ومعنى هذا أن القاذف يلقى فعلا قنابله واحدة واحـدة — وهى أربع ضخام زرق زنة الواحدة سـتمائة رطل ، يرميها وبين كل اثنتين نصف ثانيـة — وتظل قدماى على الدفة برفق حتى لتـكاد لا تلمسها .

« ثم نادى : « ألقيت القنابل » وفى هذه اللحظة نفرغ من العمل للحكومة، ونشرع فى العمل فى سبيل زوجاتنا وأسرنا ، لأن هذا معناه أن آخر قنبلة قد رميت ، فهمنا بعـد ذلك أن نعود سالمين ، وإن كان لك أن تقول إن هذا يعنى الحـكومة أيضاً ، من جراء المـال الذى أنفقته على تدريبنا نحن التسعة ، ولأننا فى طيارتها ، وهى تساوى ثلث مليون ريال .

« غير أن همنا الآن كما قلت هو العودة ، فأستخدم كل ذرة من القوة لدينا ، وأنقض انقضاضاً جانبياً لأ كتسب السرعة، وأحاول أن أفر من طائرات زيرو .

« وطائراتنا جميعاً تتدانى وتتجمع لتـكون مربعاً متماسكا غـير متفكك ، ولتـكون قوة نيراننا المجتمعة أفتك بطـائرات زيرو التى تلاحقنا . وعلى الطـائرة القائدة أن تتريث لأستطيع أنا وجيم أن ندركها .

« وكنا لا نزال نتساءل عن طـائرات القتال أين هى ، فهل تستطيع الطـائرات المقاتلة التى رأيناها كالمعلقة من مراوحها فوق دافاو أن تدركنا ؟ وهل عنـد[illegible] طـائرات أخرى فى الجو ستتعرض لنـا[illegible] فى طريق خروجنا ؟ ولاحظوا أنى لا أقو[illegible] «فى طريقنا إلى قاعدتنا» ، لأننا غير متجه[illegible] إلى هذه الناحية ، فقد كنا واثقين أن بـ[illegible] طائرات من طراز زيرو ، قد أرسلت وكلف[illegible] أن تطير تحتنا لتراقبنا وتعرف إلى أين نذهب[illegible] فإذا عرفت فإن قاعدتنا لا تلبث أن تضر[illegible] بعد بضعة أيام . فما دام من المحتمل أن تـكو[illegible] طـائرات المراقبة تحتنا ، فنحن نتبع طر[illegible] غير منتظم .

« والآن بعدنا حتى صارت طائرات زير[illegible] مضطرة إلى العودة ، ومن أجل هذا شر[illegible] فى الهبوط إلى ارتفاع أدنى ، ليتسنى للرجا[illegible] أن ينزعوا أقنعة الأوكسـيجين ، ويشعلو[illegible] سجايرهم ، وحينئذ يتولى رئيس الرجا[illegible] توزيع الساندويتش والقهوة الساخنـة[illegible] ولست أظن مذاقهـا يحلو ويطيب كما يحـ[illegible] فى هذا الوقت . ولست أدخن ولـكنه كا[illegible] يسرنى أن أشم رائحته ، وأعرف أن الذ[illegible] معى فى راحة .

« ودعوت القاذف والمـلاح أن يصعـ[illegible]

ـثانى بما صنعا باليابانيين ، ففعلا وهما
ـيان القهوة ويمضغان الساندويتش .

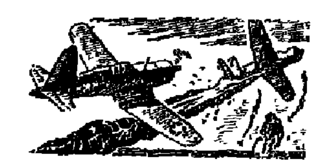
« قالا إنه كان منظراً يستحق أن يرى ،
استطاعت بضع طرادات ومدمرات
ة أن تسير وتخرج ، وكانت وهى تفعل
تتعرج لتتقى القنابل . وفيما خلا هذه
ن القليلة ، داهمنا اليابانيين وهم فى غفلة ،
كان عدد طائراتنا أكبر لنسفنا جانباً
الأسطول اليابانى لا يفيق بعده أبداً .

« وقد رأيا أربع إصابات مباشرة على
يابانية ، وشاهدا حطاماً يتطاير فى كل
، والدخان يتصاعد . وفضلا عن هذا
ـن سربنا ثلاث سفن أصغر — طرادين
لة — وقد رأيا إحدى السفن تميل
ـه ، وأخرى يرتفع مقدمها فى الهواء
جراء إصابة مباشرة فى مؤخرتها ، وقد
غرقت قبل أن تغيب عن أنظارنا .

« وقالا إن قنابلنا قد تركت المنطقة كلها
بيضاء من الزبد ، وإن آلافاً من رجال
البحر الحاذقين لا بد أن يكونوا قد قتلوا
أو جرحوا ، وإننا دمرنا الأرصفة .

« ونزلنا فى سمارندا قبل الغداء بقليل ،
وهذه هى الفتاة الهولندية الرائعة
تنتظرنا ، وأحلى ما سمعت من الأصوات
فى ذلك اليوم هو صوت أبواب سيارة
الإسعاف تغلق ، لتعود من حيث جاءت
فارغة ، حين قلنا لهم إنه لم يصب أحد .

«ولعل أملكم خاب ، لأنه لم يحدث شىء
أكثر استثارة للعواطف ، ولم يقتل أحد ؟
أما نحن فلا ! لقد قمنا بمهمتنا ، وعدنا
أحياء ، وهذا أعظم مايحرك النفس إذا كنت
تخوض المعركة ولست تقرأ عنها فحسب ! »



وقعت فى لسانه

كان جورج برنارد شو مدعواً إلى حفلة خيرية ، فرأى أن ينهض بما ينتظر منه ، فدعا سيدة نبيلة كبيرة السن إلى الرقص ، وفى أثناء الرقص سألته ، وفى لهجتها مزيج من الدلال والفخر : قل لى يا مستر شو ماذا حملك على مراقصة مسكينة مثلى ؟

فجاءها الرد فى الحال « أليست حفلة خيرية ؟ ! »

سبعة عقلاء من الشرق

من بضع سنوات قال كارول ملك رومانيا (سابقاً) ، لبروس لوكارت الكاتب والسياسى الأسكتلندى ، إنه اختار أربعة عشر شاباً من أنجب الشبان الرومانيين وأذكاهم ، لتدريبهم وإعدادهم لخدمة الحكومة . فأرسل سبعة منهم إلى انجلترا ، وسبعة إلى الولايات المتحدة ، لدراسة نظمهما السياسية والاقتصادية. قال كارول : وكان السبعة الذين ذهبوا إلى إنجلترا على جانب عظيم من النباهة ، وهم يشغلون الآن مناصب عالية فى بوخارست ، فقال لوكارت : وماذا حدث للسبعة الذى أوفدتهم إلى الولايات المتحدة ؟ فأجاب الملك : كانوا أذكى وأنبه من زملائهم ، فأقاموا فى أمريكا !

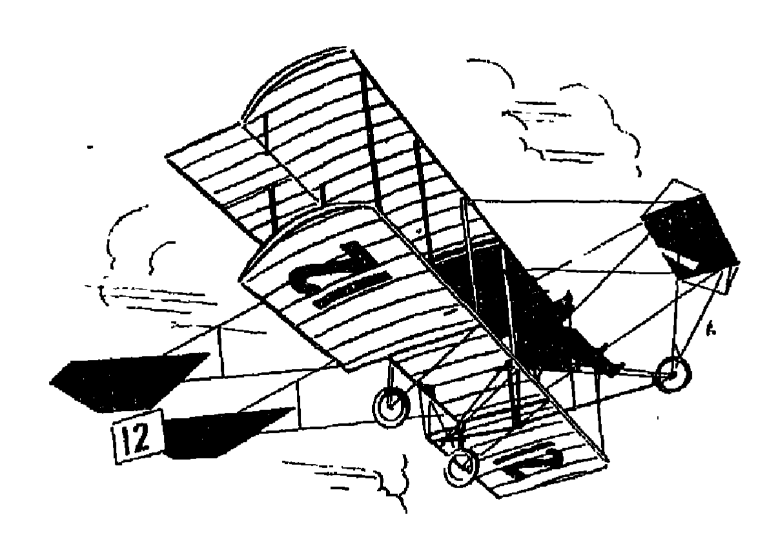
علاج الضجر

إذا غلب عليك الضجر فماذا تفعل وكيف تعالجه ؟

أجابت ليلى بونز ، مغنية الأوبرا المشهورة : أذهب إلى أقرب حديقة حيوانات ، فأنسى هموم العالم جميعاً وأنا أراقب الحيوانات أو أعطيها الطعام من راحتى .

وأجاب فرانك نوكس ، وزير البحرية : ليس عندى علاج للضجر لأننى لا أضجر مطلقاً ، فالحياة تستهوينى دائماً .

وأجابت دوروثى ديكس الصحفية الكبيرة : أشترى قبعة حمراء ! فليس فى الدنيا كلها هم لا تبدده قبعة حمراء ! إنها آخر ظفر للأمل على التجربة . إنها تحملنى على أن أصدق أنها تستطيع أن تصد الشيب ، وأن تخفض الوزن بغير التزام نظام خاص من الطعام ، وأن تعيد عجوزاً فى الستين فتاة فى السادسة عشرة . إنها طبعاً لا تحقق شيئاً من هذه العجائب ، ولكنها تحفز نفسى فتردنى إلى طريق الصواب .



منذ سنة ١٩٠٩ وهى السنة التى صنع جلن مارتن فيها طائرته الأولى (التى ترى صورتها فوق هذا الكلام) اشتهرت طائراته بإمكان الاعتماد عليها . أما اليوم فإن مصانع مارتن الكبرى فى أمريكا منصرفة إلى إنتاج الطائرات الحربية للأمم المتحدة . إلا أنها ستنتج طائرات تجارية هائلة لتوسيع نطاق التجارة وتمهيد أسباب السفر بين الأمم عندما تضع الحرب أوزارها .

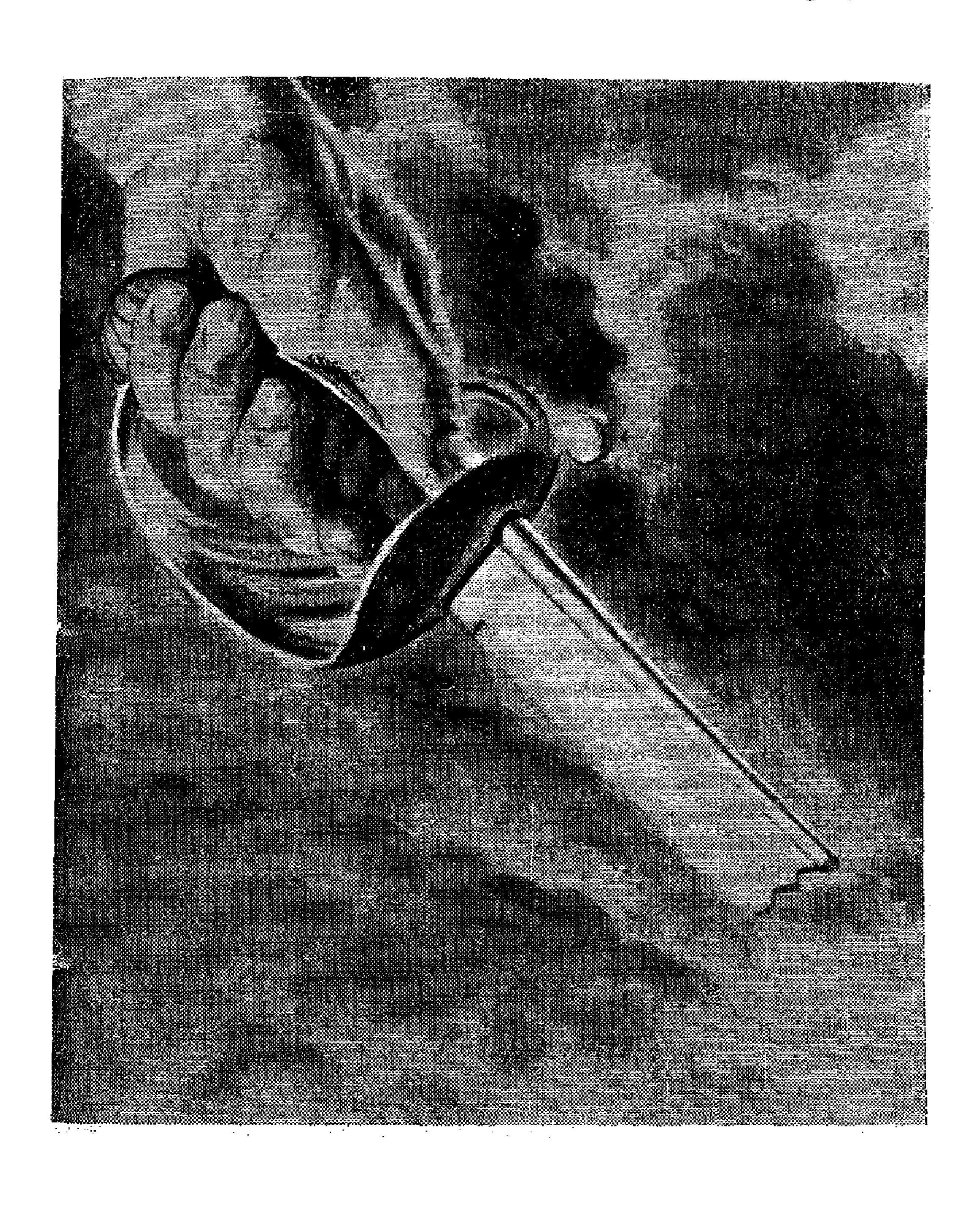


Builders of Dependable Aircraft Since 1909



شركة جلين ل. مارتن • بلتمور بالولايات المتحدة

إذا حكم العالم رجال ذوو عظمة صادقة
كان القلم أشد بأساً من السيف

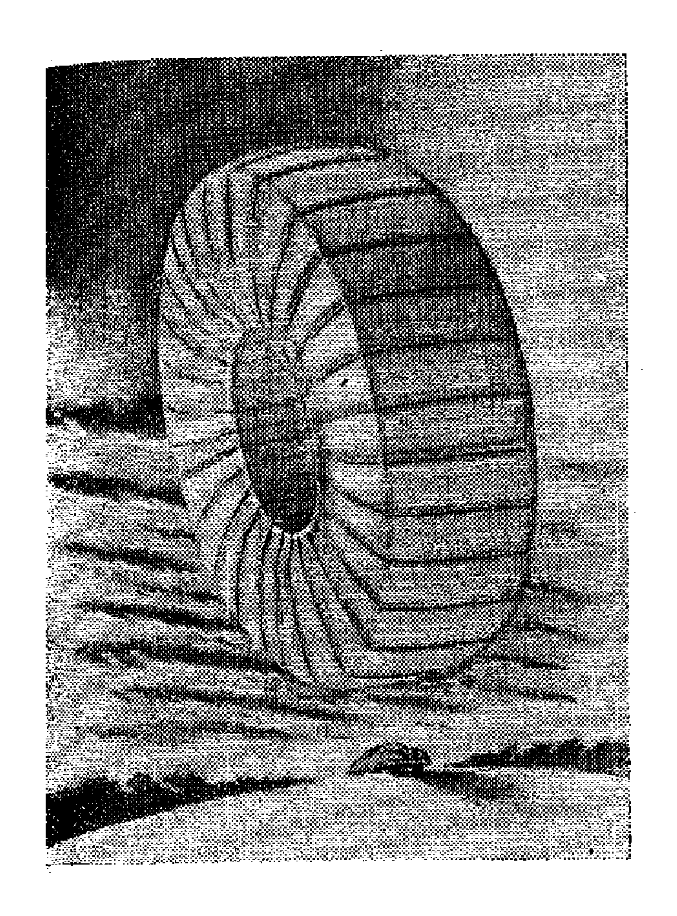


پاركر

فى يوم السلام ...

م يستتب السلام ستكون أقلام باركر
السهلة الكتابة متاحة مرة أخرى فى
كان . وأنت يامن تعودت الكتابة
ركر . . . وشعرت بانقياده لأصابعك
حول الكتابة إلى متعة تعلم
أصبحت هذه الأقلام البديعة الممتازة

مثالا يحتذى فى العالم كله . ونحن نأسف
لأن التاجر الذى تعامله لا يمكنه الآن إمدادك
بقلم باركر ، ولكننا نثق أنك مدرك موقفنا
إذ نخبرك أن صناع باركر المهرة سيحصرون
جهدهم فى إنتاج الآلات الدقيقة لقوات
الدول المتحدة إلى أن يعود الناس أحراراً.



إطار المستقبل

ماذا داخل الغلاف ؟ إنه إطار قد يدوم ما دامت سيارتك . . . وهو يحتاج إلى ضغط جوى أقل . . . ثم هو أخف وزناً ولكنه أمتن . أمصنوع من رايون ، نايلون ؟ عليك أن تنتظر لتعرف البقية ! .

ولكن ثق بهذا إن المركبات والعمليات الجديدة التي استحدثت وتمت في أثناء الحرب ، ستعطيك في يوم ما ، أجود ما صنع من « جنرال تير » !

أما في الوقت الحاضر . . . حافظ على إطاراتك الحالية . احترس في قيادة سيارتك . واستوثق دائماً من أن إطاراتها منفوخة نفخاً صحيحاً . اكشف عليها بانتظام . . . ولا تهمل ما تحتاج إليه من ترميم .



عـلامة الإنتاج الجيد

شركة "جنرال تير" وتصدير المطاط

أكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة

تلغرافيا : "جنتيروكو أكرونوهايو"

المصانع في الولايات المتحدة . وكندا . ومكسيكو . وفنزويلا . وشيلي . والبرتغال



إلى الرجال ذوى البصائر

إن الزراعـة الناجحة لازمة لرفاهية كل
ـعب ورخائه الاقتصادى . وهذه الحقيقة أصدق اليوم منها قبلا ... وتحقيقها أدنى إلى الامكان .
إن استعمال الجرارات الحديثة والآلات الزراعية تضمن حرثاً أفضل للأرض ، وزراعة أجود ،
ـاصيل أكبر ، وأرباحاً أوفر لمالك الأرض ، ويصنع محل أليس تشالمرز الجرارات والأدوات الزراعية
ـن أنواع وأحجام مختلفة ، ونحن نرحب بالاستعلامات التى يقدمها من يرغب فى تمثيلنا فى الشرق الأوسط

ALLIS-CHALMERS

فرع AD١٢٤٣ ، قسم الجرارات ، ميلووكى ، ويسكونسين ، الولايات المتحدة

● فوق : تصلح الزراعة الآلية للمساحات الصغيرة والكبيرة . ويبين الرسم جراراً صغيراً متعدد الأغراض مركب عليه محراث .

● إلى اليمين : جرار يشد حصادة « جميع المحاصيل » وهى تقطع وتدرس وتنظف ، وتضع القمح الناضج فى أكياس ، من النبات القائم فى الحقل .

● تحت : ويصنع أليس تشالمرز أيضاً من الأدوات اللازمة للمزارع الكبيرة هذا النوع الزاحف من الجرارات القوية الذى يقطع الأرض بسرعة ويفتت بجهاز مؤلف من أقراص دائرة على محور كتل التراب الكبيرة .



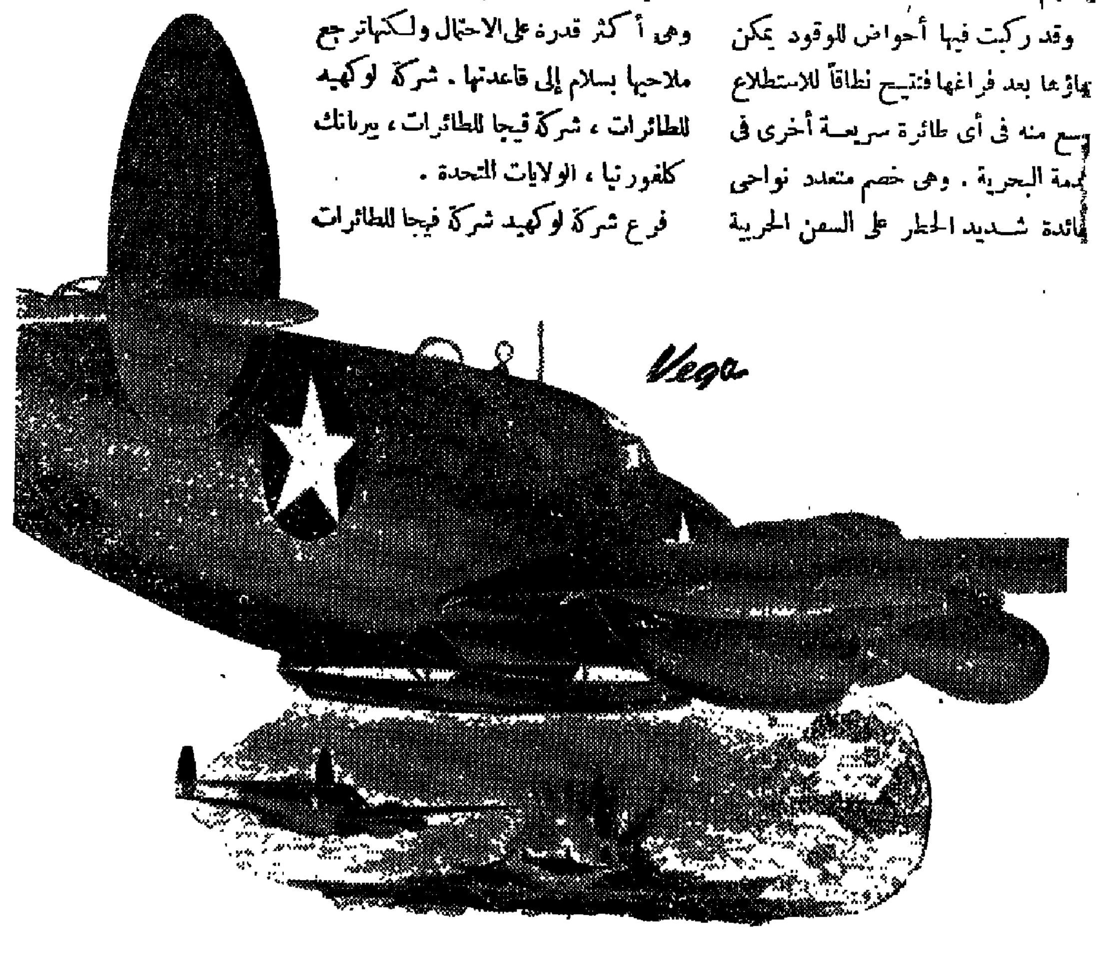
أمريكا تقدم قاذفة الأسطول الأولى التي تستند إلى البر

« ١ — PV » هو الاسم الذى أطلقته
رية الولايات المتحـــدة على طائرة ڤيجا
تورا وهى القاذفة الأمريكية الأولى ذات
المحركين التى تستند إلى قاعـــدة برية
تستخدم فى حراسة سفن الحلفاء وطرق
افلهم .

وقد ركبت فيها أحواض للوقود يمكن
ملؤها بعد فراغها فتتيح نطاقاً للاستطلاع
وسع منه فى أى طائرة سريعـة أخرى فى
دمة البحرية . وهى خصم متعدد نواحى
فائدة شـديد الخطر على السفن الحربية
المغـيرة أو الغواصـات ، إذا هى حملت
بالطوربيد أو بقنابل الأعماق .

والفنتورا أكبر وأسرع وأقدر على رفع
حمل أكبر من طائرة لوكهيد التى تشبهها
تماماً . وهى مثـل الهـدسون وطـائرات
لوكهيد الأخرى ، يمكن الاعتماد عليها —
وهى أكثر قدرة على الاحتمال ولكنها ترجع
ملاحيها بسلام إلى قاعدتها . شركة لوكهيد
للطائرات ، شركة ڤيجا للطائرات ، بربانك
كلفورنيا ، الولايات المتحدة .

فرع شركة لوكهيد شركة ڤيجا للطائرات




أمس...
اليوم...
وغداً
منذ ثمان وعشرين عاماً أصبح «جوديير»
أعظم اسم في صناعة المطاط، ولا يزال كذلك.
وخلال سني هذه الزعامة الصناعية ابتكر «جوديير»
منتجات عديدة من المطاط تشمل إطارات السيارات
وأنابيب من مختلف الأحجام والأنواع؛ أجهزة
للتوصيل، والإرسال، وأحزمة الروافع،
وأحزمة V ومختلف أنواع الأنابيب اللازمة
للصناعة. أما اليوم فإن خبرة ومهارة «جوديير»
قد جنتا من نشاط الإنتاج الحربي — مما ينبئ
بمنتجات (جوديير) أفضل لعالم الغد.
GOOD YEAR
GOODYEAR
THE GREATEST NAME
IN RUBBER

RCA تقدم

حدث الأنباء

مصباح علاء الدين في المستقبل القريب : تقوم صمامات

ا الالكترونيه بمعجزات فى الصناعة والعلم ... أنها تنظر ،

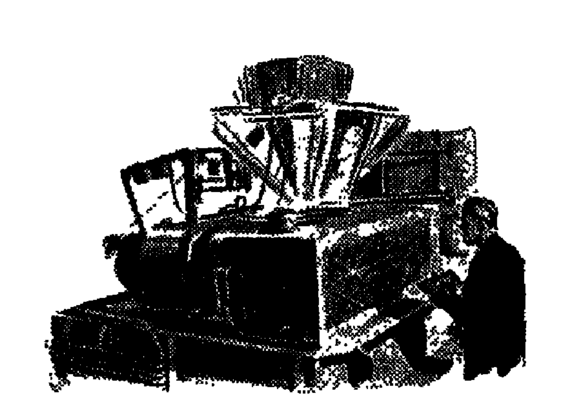
، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم .

: صمام RCA الكترونى خاص لكل غرض . وهـــذه

ت تستعمل الآن لتأييد قضية الدول المتحدة ولكنها

ك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب .





فتنة دائماً جديدة : فتنة ديناشور نجمة شركة وارنر السينمائية

بلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم

ب فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتوفون .

المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الالكترونية

أر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل

: والصوت بالمسرح .

يمكنها أن تهز منزلك ! لإتقان العدات اللاسلكية للطائرات

قبل تجهيزها للخدمة العسكرية اخترعت شركة RCA أجهزة

تهز اهتزازاً قوياً لمنع ضعف التركيب فى لاسلكى الطائرات .



يو كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R. C. A. فيكتور – كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة



نجم في مسارح الحرب

ميع ، سريع ، مراوغ . قليلة هي الأهداف التي أفلتت من هذا « الـ
ـنجم » . وتشهد بقوة هذه الزوارق وبأسها سفن الأعداء التي أغرقـ
أعطبت مما تبلغ حمولته مئات الألوف من الأطنان . ففي ساحات الحرب الحا
تلعب زوارق هجنز دوراً رئيسياً في مسرحية الحرب البحرية التي تكتب ا
وقد ورد ذكر الزوارق التي صممها هجنز وصنعها للدول المتحدة في معرض ا
على أعمالها الباهرة مرة بعد مرة . إن الجمال الذي تتميز به وبناءها التج
وخواصها التي يعتمد عليها ، وهي الأوصاف التي فازت من أجلها زوارق :
بالاستحسان مضمونة بوثائق التسجيل . ومن مصلحتك أن تصر على زوا
هجنز المسماة لاستعمالها في أغراضك زمن السلام .





أعظم صانعي الزوارق في العالم

مخترعي ومصممي زوارق هجنز أمريكا للتنزول إلى البر

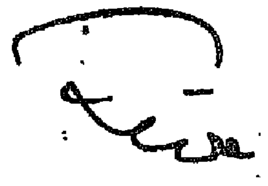

أكثر من مليون ميل
في اليوم . . .
مع
محركات
طائرات چاكوبس

التجارب الخاصة التي نستفيدها في معاشرة الناس من قيمة ممتازة ، فخير وسائل تهذيب النفس هي مطالعة ما ينتجه كبار الكتاب والأدباء . فلا غنى عن مطالعة صحيفة اليومية لتتبع أحوال عالم سريع متغير . ولا غنى كذلك عن المجلات سائرة والكتب إذا أردت أن تساير تيارات الفكر الحديث التي تدل على تجاه المدنية في المستقبل .

واعتقادي أن نشر مجلة « ريدرز دايجست » باللغة العربية يساهم بنصيب وافر في إمداد العالم العربي بالجيد الممتاز من ذخائر العلوم والآداب والفنون .

وقد تتبعت هذه المجلة من سنين طويلة وقرأتها في طبعتها الانجليزية ورأيت في كل عدد منها ما يحفزني إلى التفكير ، ويفتح لي آفاقاً جديدة فيه . ففي مقالاتها الحافلة المختارة من أشهر مجلات العالم ، ومن الكتب المنشورة بجميع اللغات ، يجد كل قارىء ما يجعله على صلة دائمة بأحدث الآراء والحقائق ، في أمور لها أعظم شأن في حياتنا الخاصة والعامة .

ويسرني أن تظفر بلادنا بطبعة عربية من هذه المجلة لتؤدي ما تؤديه أخواتها في الانجليزية والاسبانية والبرتغالية والسويدية . وإني لعلى ثقة بأن آلافاً من أصدقائي سوف يجدون في الطبعة العربية من اللذة والمتاع ما أجد . فقراءة أخبار من مجلة ريدرز دايجست ، طريقة مثلى تمكنك من متابعة تعليم نفسك وتهذيبها .



حاجتنا إلى تربية مستمرة

للدكتور توفيق شوشه بك
وكيل وزارة الصحة ، رئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، سابقاً ،
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كلُّ رجل فى عصرنا هذا يقف بسع سنوات قصار من حياته على المطالعة والدراسة واستماع المحاضرات ، يستطيع أن ينتفع من تجارب الملايين من الناس . وقد احتشدت فى كل ميدان من ميادين النشاط الإنسانى ذخائر مدونة ، فهى دانية لكل من يريد أن يتعلم . فليس عجيباً أن يكون من فاز بنعمة التربية الحديثة أقدر من غيره على الحياة فى هذا العالم الحديث ، وعلى المشاركة فى أسباب ارتقائه .

ومهما نقل فى قيمة المعرفة والتعليم ، فمستحيل أن يبلغ ما نقوله درجة الغلو فى تقديرها :

وأنا أنظر الآن لأرى اليوم الذى تهيأ فيه الفرصة لكل رجل وامرأة فى مصر ليظفر من التعليم بما يكفل له النجاح فى ممارسة فن الحياة .

وقد يظن البعض ممن نال منا حظاً كافياً من التعليم والتربية فى المدارس والجامعات ، أن ما يمكن أن نتعلمه قد انتهى بعد نيل الشهادة ، ولكنى لا أعرف رأياً هو أبعد عن الحقيقة من هذا الرأى . فما الشهادة إلا علامة منصوبة على مرحلة واحدة من المراحل الممتدة التى لا تنتهى ، على الطريق إلى المعرفة المتجددة المستفيضة التى تجعل الحياة لذيذة ممتعة . وإذا استثنينا ما للاسفار

[البقية فى الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية